

٥ قصص وأبحاث جغرافية وأثرية عن جزيرة العرب

# رحلة إلى بلاد نجد

تأليف  
الليدي آن بلنت

ترجمة  
محمد أنعم غالب

مكتبات دارالكتاب للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

AL-OBEIKAN



010005410  
SR-35.00

١) تصحيح وزينيات محمد رشيد وناظر محمد أمين جريدة الشرق

# رحلة إلى بلاد نجد

تأليف

الشيخ أبي بكر بن عبد

ترجمة

محمد أنعم غالب

الطبعة الثانية

١٣٨٩ هـ - ١٩٧٨ م

# شهادة

## كلمة عن هذه الرحلة

كان الدكتور عمر حليق قد كتب مقالاً نشرته مجلة اليامة ، بعنوان : ( مراجع أجنبية ، عن المملكة العربية السعودية ) في سنة ١٣٧٣ هـ في ص ٣٦٨ - ٣٥٣ من المجلد الثاني . ورد فيه وصف موجز لهذه الرحلة .

فلما زرت مدينة ( لندن ) في شهر أكتوبر سنة ١٩٦٠ م بحثت عن نسخة منها ، وكانت طبعت في سنة ١٨٨١ م فأصبحت نسخها نادرة ، وهذا ما كلفني بضعة عشر جنيهاً استرلينياً ثمناً للنسخة مستعملة ، لحضري على جمع ما يتعلق ببلادنا من رحلات ، ومؤلفات تاريخية وجغرافية .

ثم دفعت الكتاب الى اخي وصديقي الاستاذ محمد انعم غالب ، ليترجم الملائم من فصوله للنشر ، فكان أن عرّب جلّ ما يتعلق بنجد من تلك الرحلة ، باستثناء ما ورد فيه عن ( الحبل ) ونشرت ذلك في ( اليامة ) الصحيفة - في

حلقات متتابعة - العدد ٢٧٠ في ١/١١/١٣٨٠ - وما بعده -  
على أمل جمعها في كتاب يضم ترجمة كاملة لتلك الرحلة ،  
بنشرها .

وقد كتبت الى الاخ الاستاذ محمد انعم - المدرس في كلية  
بلقيس ، في عدن - أستعثه بإكمال الترجمة ، وإعادة النظر ،  
تيا ترجم ، فوعد بذلك ...

إلا أن عدم الاستقرار في تلك الناحية ، ومضي فترة  
غير قصيرة من الزمن - مما دفعني الى نشر الفصول التي ترجمت  
من الرحلة ، وهي خلاصة ما فيها عن بلاد نجد ، مما يح  
عمرة للقراء .

### صاحبة الرحلة :

وصاحبة الرحلة هي الليدي آن بلنت ، نيلة انجليزية ،  
حفيدة الشاعر الانجليزي الشهير «بيرون» وزوجة الشاعر  
السياسي الانجليزي «ويلفريد سكوت» (١٨١٠/١٩٢٢م)  
وزوجته بعد تركه العمل في السلك السياسي (الذي بلغ ١٥  
عاماً) (١٨٥٨/١٨٧٢ م) في اليونان ، واسبانيا ، وفرنسا ،  
والبرتغال ، وجنوب امريكا .

وكان زوجها على خلاف كبير مع حكومتها ، لمعارضته  
لسياستها الاستعمارية ، ومناصرته للحركات التحررية ، وهو  
مشبه - الى حد كبير - الشيخ عبد الله قلمي . فقد قام

- مع زوجته صاحبة الرحلة - برحلات طويلة في شمال  
أفريقية ، وفي البلاد العربية ، وفي الهند ، وأبدى تأييداً قوياً  
لحركة « عرابي باشا » في مصر .

وكان يرى ان المستقبل للإسلام ، وكانت له صلة قوية  
بالامام الشيخ محمد عبده .

وفي سنة ١٨٨٢ م اعتقلته حكومة في ( أيرلندا ) بينما  
كان يرأس اجتماعاً سياسياً ضدها ، وبقي في السجن شهرين .

وفي عام ١٨٧٢ - أسست الليدي آن مع زوجها مزرعة ،  
لثربية الخيول العربية ، أصبحت مشهورة في بريطانيا منذ  
ذلك الوقت الى اليوم .

والسيدة آن بلانت - كزوجها - مولمة بالاسفار ،  
ومعجبة بالصفات العربية ، ويتضح هذا جلياً من رحلاتها هذه .  
ومن مؤلفاتها :

١ - قبائل القرات - طبع سنة ١٨٧٩ م .

Bedouin Tribes Of The Euphrates

٢ - الحج الى نجد - طبع سنة ١٨٨١ م .

Pilgrimage To Nejd (١)

---

(\*) يرجع الفضل في هذه المعلومات للصديق الكريم سعادة الشيخ عبد الله  
الحبال .

والأخير هو الذي تقدم للقراء أهم فصوله ، مع مراعاة  
عدم التقييد بترتيب الكتابة لها أو ببعض ألفاظها لظروف خاصة .  
إلا أننا لم نزيد شيئاً ، أو نغير تغييراً يحيل المعنى .

### أهمية هذه الرحلة :

تظهر أهمية هذه الرحلة - بالنسبة لما يتطلبه الباحث في  
دراسة أحوال بلادنا - من ناحيتين :

أولاهما : قلة المؤلفات التي تتعلق بالفترة الزمنية إبان حكم  
آل رشيد ( من آخر القرن الثالث عشر الهجري الى الربع  
الأول من القرن الحالي ) .

ثانيتهما : غنى الملاحظات المدونة في هذه الرحلة ، ودقتها ،  
وصدق تصورها .

وهي أمور ، سيؤخذ القارئ برؤيتها ووضوح تصورها .

و قد دار اليأس للبحث والفرجة والنشر ، تسعى لتقديم  
للباحثين كل ما تستطيع تقديمه بما يضيف جديداً الى معلوماتهم  
عن هذه البلاد الكريمة ، وهذا ما دعا الى نشر هذه الرحلة .

محمد الجاسر

**Lady Anne Blunt.**

# **Pilgrimage To NEJD**

**The Cradle of the Arab Race,  
Second Edition 1881, John Murray,**

*London.*

## القسم الاول : قُرَيْشُ المَلْح

[ هذا هو الفصل الخامس من رحلة اللاهي بلالت الى نجد . وفيه تقدم مشاهداتها وانطباعاتها أثناء سيرها من كاث - احدى قُرَيْشَاتِ المَلْح - الى الجوف ، مشاهد وبرا بعضها ما زال قائما ، لكن ثنائين عامما وان اهدت على المكان كما هو . فقد نعتت بالسحر والخطر ودعوة للفتنة ]



# بلدة « كاف » وسكانها :

٢٨ ديسمبر [ سنة ١٨٧٩ - ١٢٩٧ هـ ]

كاف قرية صغيرة لطيفة لها طابعها الخاص ، متميزة تماماً عن أي شيء يراه المرء في سورية ، وكل شيء غوذج مصغر ، السنة عشر بيتاً المربعة الصغيرة ، والأبراج الصغيرة ذات المشارف والأسوار يشارفها بارتفاعها البالغ ٧ أقدام - والسجون أو النجّون نخلة في بستان يروي من آبار ، وبعض أشجار حبشها في البداية سرور ، ثم اتضح أنها نوع رقيق من الاثل<sup>(١)</sup> . ومع أنها محل صغير جداً ، فإن ( كاف ) ذات منظر فريد مزهر ، فكل شيء هناك أنيق ، وفي اصلاح حسن ، ولن نجد شرفة واحدة مكسورة أو باباً خارجاً عن مفصلاته ، كما هي الحال بكل تأكيد في سورية . وهناك أيضاً عدد طيب من صفار النخيل غرست في وسط النخلات الأكبر سناً ، وشجرات تين حديثة ، وكروم ، أشياء قل أن نجدها في الشمال .

(١) الاثل ، شجرة لزج في كل قرية من قرى بلاد العرب الوسطى . ولكنها لا توجد هناك وحشية ، بقدر ما أعلم . ( الاصل )  
للتزجيم : بل يوجد نوع من الاثل يسمى الطراء يثبت في الأودية بدون أن يزور . ولكن خشبه ضعيف .

والناس لطاف المنظر حسنو السلوك ، ولو أنهم في البداية  
أفزعوا قليلاً بطوائفهم ، والسيف في أيديهم . وهذه اما يحملونها  
منكبة على كلا الكتفين أو يقبضون غمدها بكلتا اليدين ، أشبه  
كثيراً بما يشاهد المرء في الاشكال النقوشة على الصخر لشهداء  
المصور الوسطى ، أو في صور المجاهدين الصليبيين .

## في ضيافة شيخ البلدة :

استقبلنا عبد الله القاسم ، شيخ القرية ، والذي اليه حلنا  
رسالة من حسين ، بأدب عظيم ، ونظفت غرفة في بيته من  
أجل استئماننا . وككل الغرف الأخرى ، فتح بابها على الفناء ،  
الذي في وسطه ربط فلكسوس حمره ستان ، وكانت غرفتنا مخزناً  
للوقود ، كما كانت بدون أثاث من أي نوع ، ولكننا اغتبطنا  
أن نجد بها بدون سكان أيضاً ، والمهندسة المهارية هنا بسيطة  
جداً ، مجرد جدران من الطين بلا شبابيك أو فتحات من أي  
نوع باستثناء ثقوب مربعة قليلة قريباً من السقف . وكان السقف  
من حديدان من الأثل بقواطع من النخل مثلاً ما بينها فروع من  
النخل . وتسمى الغرفة الرئيسية « القهوة » أو غرفة القهوة ،  
وفيها يوجد موقد مربع في الجانب أو من الوسط لصنع  
القهوة . ولا توجد مدخنة ، ويخرج الدخان كما يستطيع ،  
ولكن هذا ليس غير مريح كما قد يتبادر الى الذهن ، لأن

احتراف الطيب هنا له لب لاعم جميل ، ويعطي أقصى حرارة بأدنى قدر من السخان . انه ( الزوقة ) <sup>(١)</sup> أو ( الفصا ) ( نوع من الاثل ) ويجلس الناس حوله لوقد ، بينما يجري صنع القهوة ، اجراءاً صامئاً يستغرق نصف ساعة تقريباً .

وبجرد وصولنا ، أحضرت قصعة من النمر من محصول العام الماضي ، وهو لزج ومهرورس ، ولكنه طيب ، وفي المساء تناولنا عشاءاً معتاداً مكوناً من البرغل وطعم الدجاج المسلووق . اننا متدهشون جداً من الأدب الذي عليه كل فرد . فبعد ان مصبفاً ، سألنا على الأقل عشرين مرة عن صحتنا قبل أن نشغل من شيء إلى آخر ، ولم يكن من السهل أن نجد ثاء مناسباً لرد . وكل شيء بالطبع بانس وبسيط ، ولكن المرء لا يملك إلا أن يحس انه بين قوم متحضرين . وقد اکتفوا من اللجب مع عهد الذي يعاملونه كشيخ .

و ( ندمر ) معروفة الاسم جيداً وتعتبر على هذه المسافة مدينة هامة . ووجود انسان في مركزه يقوم بعمل شبه حقير كالذي يقوم به محمد معنا ، يعتبر مفاجأة كبيرة ، لهذا وضع

(١) الزوقة : من مراعي الابل الفضة .

وبما يشتهر به على قبيلة الزوقة ما يلعب ال اعدم . انه عند ما سمع راعياً يظ ، ويصف الجنة التي أعد لها للفقير يوم القيامة ، وانها حوت ما يشبه الأنس وقت الأعين ، سال الرديلي الواقع قائلاً : وعمل فيها

موضع استجواب مهذب في المساء في ما يتصل بالبائع وراه رحلته .

لم يشاهد ( القرنج ) قط في ( كاف ) من قبل ، هكذا يقول الناس ، وهم لا يفهمون الاحترام الذي يقابل به الأوروبيون في أماكن أخرى . وعلى أية حال ، فقد شرح لهم محمد « أخوتي مع اليك » ، واحتج أن رحلته هي رحلة شرفية ، لا رحلة من أجل الربح ، حتى نعامل بنفس القدر من البشاشة كما لو كنا عرباً بالولادة . وكان عواد الشمري ذا فائدة عظيمة لنا ، من حيث أنه معروف جيداً هنا ، فيقوم بدور التقديم .

## من تاريخ « كاف » :

و ( كاف ) مستقلة تماماً عن السلطان ، ولو أن العساكر الترك نهبوا مرتين مرة بقيادة إبراهيم باشا ، ومرة ثانية منذ بضع سنين فقط ، عندما أرسلت حكومة دمشق حملة عسكرية إلى وادي السرحان . وشاهدنا غرائب قلعة ، قصر السعيد ، على تل فوق البلدة ، هدمها السابقون ( جنود إبراهيم باشا ) ، وسمعنا كثيراً من النواح حول أعمال الآخرين .

## كاف تابة لحكم ابن رشيد :

وسكان ( كاف ) يعترفون بأنفسهم رعابا لابن رشيد ، رئيس جبل شمر ، وكان بعض قومه هنا منذ أيام قلبية فقط ، بأخذون الأثوة ، وهي مبلغ صغير جداً ، عشرون مجيدياً ( جنديات استرلينية ) ، وهم يدفعونها بائتهاج مقابل حمايتهم . وهم متحمسون جداً ( للامير ) ، كما يسمونه ، وحقا ليس هناك من سلب حق يرغبون في الانضمام إلى سورية .

## تجارة كاف وأثري :

ان مدينة ( كاف ) الصغيرة وجارتها ( أثري ) حيث نحن الآن ، تجارياً ، لها من الاتصال بالشمال أكثر من الجنوب ، لأن زورتها الأساسية ، - كما هي الحال - تنبع من تجارة الملح مع ( بصرى ) . ويبدو أن عبد الله القاسم ميسور الحال ، لأنه يملك عدة عبيد ، ولديه أكثر من زوجة واحدة . إلا أن القلوب الذي أشرفت اليه هو كل ما يملك من ذوات الأربع ، كان سيأتي معنا ، كما قال ، لو كان له ذلول . ولاحظت بضغ جمال وحمر وماعر حول القرية .

وكان مقبول الكريشة ، قد عاد ، ونحن نريد الآن أن نجد شرارياً لياخذنا إلى الجوف .

## بلدة أري :

لقد أتينا إلى ( أري ) ، الراحة التوأم لـ ( كاف ) ، على بعد ساعتين ونصف إلى الشرق منها ، في وادي السرحان أيضاً . وهذه ليست مثبتة على كسبر من الحرائط الحديثة ولو أن ( شني ) وضعها على خريطة بطريقة خاطئة . ولقد وجدنا على طريق ( البارومتر ) أنها يقعان على نفس المستوى وهكذا يبدو أن ظننا أن وادي السرحان ليس له منحدرات قد تأيد .

## وادي السرحان :

أن وادي السرحان منخفض فوضوي غريب ، من المحتمل أن قاع لبحر قديم مثل البحر الميت ، وهو هنا ذو اثني عشر ميلاً عرضاً ، إذا كان لنا أن نحكم بالتلال التي نراها خلفه ، والتي هي بدون شك المرتفعات المقابلة للحوض .

ونوجد آبار عديدة هنا وفي ( كاف ) ، وهي عريضة وضحلة ، لأن الماء على عمق ٨ أقدام فقط من سطح الأرض . ومن هذه تسقى بساتين التخييل . ونوجد أيضاً آبار في الخارج ، وكلها تقع على نفس المستوى ، والماء صالح للشرب ، وغير ممتاز بأية حال . عبرنا بحيرة مالحة واسعة ، وهي الآن جافة ، ومنها يجمع الملح للقوافل .

## محمد الدليل وعرافة حسب :11

وفي طريقنا سلافاً محمد بحكايات عن مولده وأملاته .

وقد سمع أهل ( كاف ) بـ ( ابن عروج ) .

وأخبروا محمداً أنه سيجد أقرباء في أجزاء كثيرة من بلاد العرب علاوة على ( الجوف ) ويقولون أن هناك شخصاً ما في بريدة ، وأحد ( آل حميدي ) الذي سمع عنه محمد كأحد أبناء عمومت . وزوجة الشيخ هنا في ( أري ) من عائلة الجوف . وفي الواقع يبدو أن كل شيء يسير غامضاً كما توقعنا .

## وصف بلدة أري... وأثارها

و ( أري ) هي أيضاً محل أصغر من ( كاف ) إلا أنها تقع في البناية القديمة ، القلعة الصغيرة في داخل الأسوار ، هي ما على طراز بيوت ( هارون الرشيد ) . وهذه مبينة بمجارة سود ، حنة التبريع منتظمة الوضع ، بدلاً من الطين ، المادة العربية الشائعة في البناء .

وعلى عتبة المدخل توجد ، أو بالأحرى كان يوجد ،

كتابة بحروف قديمة ، وبها حميرة ، التي كنا سننقلها لـ  
 أنها كانت واضحة ، ولكن الجو قد كاد يحرقها (١)  
 وهنا ما نحن قد أضافنا ( جروان ) وهو شاب عديم  
 الترتيب بنصف ذكاء ، وله شعر طويل في جداول ،  
 ووجه أشبه بكلب ( اسكوتلندي ) ، وهو ابن مرزوقة ابنه  
 عم محمد ذاته . ومع أنه لا شيء فيه يدعو إلى التفخر به  
 كقريب ، فإنا نجده مضيئاً لطيفاً يقطر . وأمه امرأة ذكية  
 وكريمة الأصل ، وإنه يبدو غريباً أن يكون لها ولد بهذه  
 القسوة وأبنائها الثلاثة الآخرون ( جروان وهو أكبر أربعة )  
 لهم ذكاؤهم مثل سائر الناس ، ولكنهم موضوعون في الخلفية  
 وجماعت (مرزوقة) لثاني الآن يطبق كبير من الشعر في يدها ،  
 وثققت لتحدث . إن وجهها ما زال جذابة ، ولا بد أنها  
 كانت جميلة إلى حد كبير . وألاحظ أنها تلبس عدداً من الحواتم  
 الفضية كخواتم الزواج .

ونجربنا (مرزوقة) اننا سنجد كثيرين من اقرباء ( ابن عروج )  
 في الجوف . وهي نفسها غادرتها صغيرة ، هي تتحدث عنها  
 كفرحوس ارضي ، من حيث انتزعت لتعيش في هذه الواحة  
 الصغيرة النعيسة ، وحقاً أن ( أزي ) مكان بانس كل شيء  
 فيها ما عدا بستان جروان ، وبعد مشية في بستان التخييل ،

---

(١) أخبرنا أن هذه الكتابة ذات صلة بكفر مسنود وهو دم شاذين  
 العرب الذين لا يستطيعون القراءة (الأصل) .



منعني تمرّجي من الانضمام ، وحلّسنا جميعاً إلى عشاء طيب  
 مكون من خروف وخبز لّيب - وللخبيز مذاق كالقطاثر  
 المتنازة - قام بتقديمه لنا جروان بشخصه ، وهو واقف ، طبعاً ،  
 للأسلوب العربي عندما يأكل الضيوف ، وتلاحظه أمه بصاية ،  
 وتخبره ما يجب أن يفعل ، ومن الواضح ، ولو أن لديه من  
 الحس ما يجعله قليل الكلام أنه ينظر إليه كمن ( لا وزن له )  
 في العائلة ، وبصف ( ولغرد ) المشية في البستان بأنها تمتع  
 نوعاً ما ، فحمد وعبد الله بلفيان خطياً طوية ثناء على كل ما  
 رأيا ، وبمحكيان لرئيس رجال جروان قصصاً خارقة عن أمة  
 ( قديم ) وروثها .

وبستان جروان ، الوحيد في أنزي ، يحتوي على ١٠٠  
 نخلة ، كثير منها مفروس حديثاً ، ولا يوجد فيها شجرة يزيد  
 عمرها عن ٢٥ سنة . وكان من بينها نخلة من صنف ( الخلوة ) ،  
 نمر الجوف الخلو ، استوردت من هناك ، واعتبرت هنا من أنواع  
 العظيم النمرة . وفي هذه النقطة كان هناك زبد حار بالاعجاب  
 ( كورس ) . وبأن اعجاب شديد بشجرات الاثل أيضاً . وهي  
 تريس من أجل الأخشاب ، وتنشق من الارومة حين تقطع ،  
 وست سنوات من النمو يجعلها على ارتفاع عشرين قدماً .

## بين القرى والجوف

وصل رجلان من ( الجوف ) بأخبار سارة ، وهي أن

كل شيء على ما يرام بين هذا المكان وبين الجوف ، أي أنه ليس هناك عرب بعد في وادي السرحان ، سارة لأنه لم يكن هنا لدينا مقدمات ، وأي لقاء ربما كان غير مقبول . لقد تأخر الموسم كثيراً والرعى سيء جداً . بحيث أن الرادي قد هجر منذ الربيع الماضي . لن يكون هناك الآن طريق ، أو أثر من أي نوع ، وبما أن المسافة مائتا ميل على الأقل إلى الجوف ، فيجب أن يكون معنا دليل لبرينا الإبار . وشخص كهذا وجدناه في بسدي صغير منظره مضحك شراري ، صادفناه هنا ، وهو سينهب معنا مقابل عشرة مجدييات .

٢٩ ديسمبر ( ١٨٧٩ )

كانت هناك ريح شرقية حادة تهب حيناً ابتداءً هذا الصباح ، ولاحظت زفزاقا كطائر بري في البحر ، بطير هنا وهناك تحت روضة من أشجار النخيل ، ينظر بلا أمل ، متعباً برحلته الطويلة . بالسكين ١١ سموت هنا ، لأنه لا شيء هناك يأكله الطائر في أي مكان مئات الأميال . من المؤكد أنه قد طرح به بعيداً عن منطقته ، ربما من الغرات ١١

## على ضفة وادي السرحان

إن طريقنا اليوم يند على طول حافة الوادي ، نمر أحيانا رؤسا صخرية من السهل الأعلى ، وأحيانا اغوارا من الوادي وكانت ارتفاعها دائما نزعاً ما واحدة ( ٢٢٥٠ ) قدما علوا

و ( ١٨٥٠ ) الخفاضا - ومكثا يمكن أن تؤخذ هذه على انها  
الارتفاعات المثابة لـ ( الخناد ) ووادي السرحان . وبالإضافة  
إلى ذلك ، يوجد هنا وهناك تلال منخفضة ، بارتفاع يزيد بما  
يتراوح بين ثلثائة وأربعمائة قدم عن أي منها ، أرض صخرية  
صعبة منكسرة طول اليوم ، مكونة بصفة أساسية من رمال  
مع حصى ملحية مثورة عليها ، والنبات شحيح على الأرض  
المرتفعة ، ولكنه أوفر في التجمعات . وفي هذه المنحرجة  
تقود إلى الوادي ، وجدا شجرات ( الخضا ) ، وغير ذلك  
لا شيء أكثر من أعشاب . وهناك أخيرا ( عواد ) انه 'نهب  
منذ سنتين وأجره بنزول من حوران . فقد جمال وكل ما يملك .  
كان عدد الحورانيين ثمانية وجماعته ستة وسأله : كيف حدث  
أن قطاع الطرق ظفروا به ؟ قال : انه كان ( مناهة ) . ويبدو  
أن وادي السرحان هو المكان المنضلل لقطاع الطرق ،  
و ( عواد ) يعتبر الحادثة أمراً عادياً . وسأله : لماذا ترك قبيلتك ،  
شمر ، وجاء ليميش بعيداً في الشمال في ( صلخد ) ؟ قال : انه  
( نصيب ) شيء مقدر ، أن زوجته من ( صلخد ) ، وكانت  
لن تترك قومها . وسأله : كيف يكسب معيشته ؟ فضحك ،  
وقال : ( املك نصف مهر وقلولا ، واقوم بالنزول . ويوجد  
تسعة منا ، من شمر ، في حوران ، ونحن نخرج معاً نحو ( الزرقا )  
أو إلى ( القلعة ) الغربية وتأخذ المواشي ليلاً ، أراها بعض  
ندوب مغزعة لجروح أصيب بها في هذه المناسبات ، وجمل

( ولغره ) ينحس رصاصة لا تزال مستقرة في جنبه . وهو مخلوق يحب للاستطلاع ولكننا نحبه ، وسواء كان قاطع طريق أم لم يكن ، فإن فيه روح الرجل الماجد ( المجتهد ) . وفوق ذلك فهو صاحب ملامح ، ويحسن النساء ، وبروي الأقاصيص الشعرية ، وهو محبوب في كل مكان . ففي ( كاف ) و ( أري ) استقبل الرجال ، شيبا وشبابا ، بالعناق والتقبل ورحبت به النساء في كل بيت .

## آبار قراقرز ..

كانت أجسادنا تتجمد طيلة الصباح ، فقد كانت الريح تنفذ من خلال جبيننا المصنوعة من الفراء . وفي الساعة الثانية عشر والنصف ( ظهراً ) بعد أربع ساعات من السير ، أتينا إلى بعض آبار تسمى ( قراقرز ) ، ست منها في تجويف عار ، وحولها آثار جمال تؤدي من جميع نقط الدائرة لمحوها . ومن الواضح أن الرازي يكن في بعض أوقات السنة ، ويقول عواد: أن ( الرولة ) تسكنه في الشتاء ، غير أنه لا يوجد أحد هذه السنة . وإنما ، شأنه شأن ماء ( كاف ) و ( أري ) ، ضارب إلى الملوحة بعض الشيء .

وبالقرب من ( قراقرز ) رأينا بعض الفزلان وطاردتها دون جدوى . واسه لأمر مكدر ، لأنني نسيت أن أحضر لحماً ، وما لم نستطع أن نقبض أو يرمي شيئاً ما ، قلن يكون لدينا شيء حتى نصل إلى ( الخوف ) .

كان ينبغي أن أفكر في الأمر ، لأننا ، وإن كانت المؤن ليست وافية في ( الرى ) ، كنا ربما في استطاعتنا أن نشترى خروفاً ونسوقه منا ، إن ألتَمَّ عرجي صرف انتباهي - عنده شيء ، ولكنه المذر الوحيد . وعندما أركب أعاني ألماً أقل من أي وقت آخر .

ها نحن الآن ، منذ الساعة الرابعة ( بعد الظهر ) ، نعيمون على الرمل تحت أيكّة من أشجار اللضا ، وقد توقفت الريح ويبدو أنها من هنا تهب دائماً عدا ساعة حوال الغروب وأخرى عن الفجر . وسلمتني لحم بقرة مسلوقة ، وبرغلا مع ( حلصة ) كاري ، وحبيبا ، هو آخر مخزولتنا من حوران .

٣٠ ديسمبر : ( ١٨٧٩ م )

طول الصباح على مستوى عال ، فوق أرهن مثل ( الحرة ) ذات صخور بركانية ، ربيع جنوبية شرقية هوجاء في وجوهنا فلم نستطع الكلام ولم نكد نستطيع التفكير ، طريقنا يمتد نحو سلسلة من التلال منظرها ( غير كرم ) تسمى ( المسعة ) ( لعلها المرتفعة ) وعندما وصلنا هذه :

## صبر من « الجراد » والدرائب :

التجهت ( طريقنا ) ال يمينها لأننا لسير في غير طريق ،

رأينا رجلاً من الجراد الأحمر يطير حول المكان، عندما أدفأت الشمس الأرض، وطاردها الرجال وصاحوا بعصيتهم منها ما يكفي لصنع طبق العشاء. هذه الحشرات، عندما تطير، تبدو شديدة الشبه بذياب مايو الكبير، من حيث أن لها نفس الطيران القليل الحيلة، تجرفها الرياح. وقل أن تكون لها قوة كافية للتحكم في الاتجاه حتى تتطلب على الصعوبات. فأحياناً تطير في اتجاه معاكس للتيار، وأحياناً تسقط بقوة على الشجر حيث يسهل القبض عليها. وحين تستقر على الأرض يصعب، على أية حال، أن تراها، وتظل يقظاً وتنتظ ثم تلسب مبتعدة مرة أخرى حين تقترب منها. ويبدو أن لها إحساساً أكثر مما لها من قوة على الحركة.

وفي الساعة الثانية أتينا إلى آبار أخرى (المسماة) (١) ومعظمها تختلفها الرمال، غير أن واحدة تحتوي على كميات كافية من المياه الضاربة إلى الملوحة. وقطع هذه الآبار وسط أدفال من الآث، من حيث أفزعنا عدداً من الأرناب البرية التي لم نستطع كلابنا اللوحي أن تقبض عليها، لأنها كانت دائماً تتملص بجفلة لتختفي. وانتظروا - (والفردي) وأنا - لهذا القنص غير المثير الذي كان عشاؤنا يعتمد عليه. ولم نضم إلى بقية الجماعة مسافة أكثر من ميل. وقبل أن نلحق بهم

(١) نبيذ ال صحة ( المروية والمسماة ) الأنح سيف بن زيدان الشعري  
له الشكر .  
( للتأجيل )

صادقنا ( حنا ) يجلس على مدومه ( لحاف وعباءة ) و ابراهيم يقف بجانبه ، وكلاهما يصيح : « واه ، واه ، واه » ولم نستطع أن ندرك ما حدث ، كما لم نقدر أن نحصل أية معلومات منها ، سوى انها كانتا سيبقيان حيث كانتا . هذان الرجلان من أهل المدينة يجلسان على فرشها وحيدتين في وادي السرحان ، كانتا يثلان مشهداً للعبث بشكل لم ننتالک ، في تلك اللحظة ، من التغلب على الضحك ، إلا ان المسألة لم تكن مسألة ضحك ، وكان من السحب ، بالطبع ، أن نتركها هناك ، فاصرونا على أن نحصل على ايضاح . لقد كان هناك خصام بين ( حنا ) و ( عبدالله ) لأن الأخير ساق ذلول ( حنا ) بسرعة مسح الجبال الاخرى ، ورفض أن يتركها تنسخ ثم تنهض من جديد وكان عواد وعبدالله في عجلة جديدة ليبتدأ عن ( المؤنثة ) قدر الامكان ، لأن ( حمدان الشراري ) يقول انها بقعة خطيرة ولكن ( حنا ) كان غاضبا ، وفي غضبه رمى عباءته ، وقفز عليها ، وسحب فراشه على أثره ، وجلس على الأرض ، وهناك تركه الآخرون ، معمولا هاتجا . وعلى هذه الحالة وجدناه . واقترح ان يترك هو و ( ابراهيم ) هناك ليأكلها الضبيع ، الذي قد شاهدنا آثار أقدامه . وعلى أي ، فابراهيم ، الذي بقي معه فقط لمصاحبتة ، كان مستعداً تماما لمواصلة السير ، وعند رؤية ذلك لم يتوان ( حنا ) عن النهوض ، وتبعنا ذركا أخاه يحمل عنه فراشه . ولم يكن من الصالح أن نستفسر عن كان الخطي ، ومن المصيب ، وأوقفنا الجبال ، وأعدنا الذلول ملحقين

على ( حنا ) أن يركب ، وهو ما فعله بعد مقاومة . وانتهت  
 الحادثة . وكلف محمد بهمة الاصرار على السلم مع العرب ونظن  
 أننا حملنا على الاقتناع بالآلا يحمل ضيقه . انه من المستحيل على  
 الاطلاق على أي واحد أن يعود الآن بدون أن يفقد حياته ،  
 واني لواقعة انهم جميعاً سيكونون معقولين . انه من غير المقبول  
 أن نفكر ان خلافاً حدث في جماعة الصغيرة ، وهي على  
 حالتها هذه منفصلة عن بقية العالم الآن . نحن الآن غيبون في  
 واد جانبي حيث كلأ الجمال طيب . وأينا المكان من مسافة  
 كبيرة ، لأننا الآن أصبحنا ماهرين في إمكان تخمين البقاع  
 فعين ترى أرضاً صحرية في خطوط يتكئك أن تتأكد من  
 وجود كلأ . لم نر مؤخرأ أية أمانة للعمران في البلاد منذ أن  
 تركنا ( أري ) ، ولا آثار خف جبل ، ولا قدم انسان .

ان الجراد المشوية صالح للاكل !!

## في بطن وادي السرحان :

٣١ ديسمبر ( ١٨٧٩ م ) :

يوم طويل آخر من السير ، وها نحن في نهاية العام في مكان  
 من اكثر اماكن العالم إقفاراً . كان البرد شديداً جداً البذاًمس  
 للدرجة أن جميع الجراد ميت . انه طريق في كل مكان .  
 ذاكه طيور الصحراء والقبرات والابلق . الحديقة مرة أخرى



الى القرار الرئيسي لوادي السرحان ، وهو لا يزال على نفس  
 المستوى كما كان من قبل ، وهو هنا منطبع تقريباً ، ومنطبع  
 بأعذاق من اليق وأعشاب أخرى ، وكلها مألوفة المذاق ،  
 والقربة سهلة التفشت وغير مكينة ، وبيضاء في أماكن بفعل  
 ملح البارود ( نترات البوتاس ) ويصرح عواد والشراري انه  
 توجد رمال متحركة نكرة ( تحسّوطني ، حرفياً ، هاربة ) في  
 مكان ما بجوار ، حيث يسوخ أي شيء يمر عليها ويختفي دون  
 أن يترك أثراً : رجال ، جمال ، وغزلان ، غير أننا لم نشأ  
 من هذا .

## سير مع خوف وهذر :

ولما سرنا محاذين حافة الوادي ، قابلنا فجأة بعض الغزلان  
 التي قادتنا الى أرض أعلى ، حيث وجدنا قفراً صخرياً من غط  
 ( الحرة ) ، وبين الصخور رأينا ضباً يشي الهوبنا . ولم  
 نحصل على شيء على أية حال ، لا عليه ولا على الغزلان ، وما  
 نحن لا تزال من غير لحم . ولم تحدث مصادفة أخرى حتى أتينا  
 الى نخلة تنقف وحيدة في مكان مكشوف ( مكان يسمى  
 وسيتط ؟ ) ، وبالقرب منها يوجد نبع ساحر صغير ، بين  
 جذور أيككة كثيفة من النخيل ( مكان يدعى قدير ؟ )  
 واتساع الفتحة حوالي ثلاثة أقدام ، وعمقها قدمان ، وعمق

الماء فيها حوالي قدم واحد . ويرتفع الماء من جديد بمجرد أن يؤخذ ، ولكنه لا يفيض قط . وتوجد آثار أقدام ضباع وغزلان حول المكان ، وهذا ، فيها افترض ، هو المكان الذي إليه تأتي حيوانات الصحراء للشرب ، لأن الماء الوحيد على السطح الذي رأيناه حتى الآن . ويسمى هذا النبع «مبصر ؟» بقعة سارة حيث كنا نحب لو خيمنا ، ولكنه من الخطر دائماً أن نتف بالقرى من ماء ، خوفاً من يأتي ناس .

ويقول عواد : أن هناك رواية عن مدينة أو قرية وجدت هنا في السالف ولكن ليس من خرائب ترى . والماء عذب وطيب ، كما يمكن أن يدرك من الحشرات التي تسبح فيه . إن العرب يميزون طيبة الماء بهذه الطريقة . لا شيء في الصحراء أكثر رغبة من الماء الكامل الصفاء ، خيال من الحياة الحيوانية

## في هروء الليل ..

وعلى أنغام مغن من قبيلة الشرارات 11

نحن الآن نقيمون تحت حرف منخفض مجوف في شكل كهوف كما لو كان بفعل الماء ، مفادات رئيسية للضباع . وهناك مشهد جميل يشرف الى الحلف على نلال ( مزمة ؟ )

( لعلها مرتفعة ) الليل هاديء وبارد ، ولكننا لا نحب أن نصوم كثيراً من التيران خوفاً من الأعداء . وحمدان ، دليلنا الشراري ، وهو مخلوق فظ ، متوحش ، لتنظر إليه ، كان يشد أقصوصة شعرية حية جداً ، ويخبرنا أنه هو نفسه ناظمها . وهي في أمداد كل منها مكون من أربعة سطور ، مع تعاقب في الفواقي ، وتعلق بمحادثة حدثت في عائلته ، وعندما كان يبلشدها كان بقية العرب يرجعون ، مرددين دائماً الكلمة الأخيرة في البيت بقطع التنقية ، وكان لها تأثير طيب . كانت القصة بسيطة ، وتقص كيف أن أم حمدان وأختها لخاصتنا ، وكيف أنها رفعتا همومها أمام عبيد بن رشيد في حائل ، وكيف أن الشيخ المجبور سوى القضية بأن لف حلاً حول عتق الإبنة امرأة الأم أن تملك به ، وأن تفعل ذلك بقية أيامها . وحين قبلت الابنة أمها صرفها عبيد بهديا ، دلول ، وعبادة لكل واحدة منها ، ومائة صاع من البز ، هدية استمر في تقديمها لها كل عام إلى أن مات ، ولا يزال يقدمها الآن ابن أخيه محمد ، حاكم جبل شمر الحاضر . وقدم لنا حمدان أيضاً تقريراً مثيراً للانتباه عن سياسة حائل ، ويؤكد يتفق مع ما تذكره من تقرير (بلجريف) <sup>(١)</sup> ، مواصلاً ذلك إلى تاريخ

---

(١) هو : وليج جيلرد بلجريف . قام في سنة ١٨٦٢ برحلة إلى بلاد العرب ، بدأها من «معان» في شهر حزيران ، ماراً بوادي النمرح والجلوف ، فبحشة ، لمدينة حائل حيث وصلها في شهر تموز إلى أن حكم طلال بن

متأخر . وابن رشيد الحاضر ليس بأية حال. تلك الشخصية  
 المحبوبة بنفس درجة أخيه طلال ، وتقرير حمدان عن حرقه  
 مفزع نوعاً ما ، ويظهر أنه قد أذاق الموت نحواً من ١٢ شخصاً  
 ( درزن ) من أقربائه ، وهو مخوف في ضمير أكثر من عصبوا ،  
 وهذا مزعج جداً ، لأنه قد يكون سبباً لأن لا نذهب الى نجد  
 بعد كل شيء . ولكننا نسمع أكثر عندما نصل الى الجوف .  
 وإنشاد حمدان كان ، بالقدر الذي استطعت كتابة الجزء  
 الموسيقي منه مثل هذا :

( صورة النوبة الموسيقية على صفحة ٩٩ من المجلد الأول من  
 الأصل الانجليزي ) .

## طعام قليل ولحم صيد ..

اول يناير ١٨٨٠ :

صبيح أسود ، ولكنه هادئ . لقد غيرة طريقنا ، وكان  
 اتجاهنا طول اليوم في اتجاه الجنوب تقريباً - ٢٥ ميلاً بقدر

---

محمد عبدالله بن رشيد الحاكم الثاني في الأسرة الرشيدية (من سنة ١٦٦٢ الى سنة  
 ١٦٨٥ ) واجتمع به بعض شبيبة الرشيد .

وقد أورد في رحلته معلومات مهمة عن مشاهداته في مدينة حائل :  
 ثم سار حتى بلغ مدينة الرياض وبعد اقامته فيها مدة ، هرب خلسة ، ثم  
 سار الى الاحساء فالتقيهم ، ومنها أبحر الى سواحل الخليج .  
 ورحلته مطبوعة .

ما نستطيع حساب ذلك بالتقريب - وفي وسط رادي  
 الصحران ، سهل مستوي من الرمل والحصى ، مع رواب من  
 الرمل الأبيض النقي هنا وهناك مغطاة بالقضا . خطتنا أن  
 ننهض ونطلع خيامنا في أول ومضة للفجر ، وشرب فنجان  
 قهوة ، وماكل يسكوننا أو بدسما ( كملك ) ثم نغشي حتى  
 الثالثة أو الرابعة بمناظرهم بدون توقف حتى ولا لحظة ، وماكل  
 ست تمرات ، وشيئا من البقساط ونحن نسير . ثم بمجرد وقوفنا  
 وقبل أن يضرب الحيام نوقد ناراً ونضع قهوة ، نصبرنا حتى  
 يكون العشاء معداً حوالى مفيد الشمس . انه لدمش كيف  
 أن طعاماً قليلاً يمكن للمرء أن يعتمد عليه وهو مسافر . لم  
 نداول لحماً مدة الاربعة الايام الماضية الى اليوم . فقط سرق  
 خم بقري ، وبرغل ، وقمر ، مع بصل مشوي أحيانا ، أو  
 دقيق مخلوط بمسحوق ( السكر ) والزبدة . نغز في هيئة  
 كملك ( كليجا ) وهذا الأخير طيب جداً ومهل الصنيع . وعنى  
 أبة حدل ، فإسا اليوم في رضاء حيث ان الكلاب طارفت أروا  
 برتيا ، فاصطدناه . والأرنب الصحراوي أكبر قليلا من الارنب  
 الكبير ، وهو كثير جداً لواحد ، ولا يكفي لاثنين ، غير أن  
 محمدا يتنازل بشهامة عن نصيبه ، ويقول انه يستطيع أن  
 ينتظر

## من خطابات « محمد » الدليل ..

ان محمداً يعمل على تخفيف نزاع شب هذا المساء على اختيار مكان الخيم ، بأن يحكي لنا بعض قصص منامراته في الصحراء ، ونحن نلحكي له قصصنا . كان له اخ أصغر ، وكانت امه شديدة الكلف به ، طفل عادي من المدينة ذو وجه ابيض كفناء ، عرف القراءة ، والكتابة ، ولم يعرف شيئاً عن الصحراء ( محمد نفسه ، ... ، كان دائماً جالاً ) . والآن في تدمر بتور القتال والخصومات بينهم باستمرار من اجل الشياخة ، وفي مناسبة من هذه المناسبات ارسل اليواه اخاه إلى السخنة ، القرية المجاورة ، على بعد حوالي ٣٠ ميلاً من تدمر ، وهناك اقام بعض الوقت مع قريب . واخيراً ، مل ، على اية حال ، من البقاء بعيداً عن وطنه ، واراد ان يرى امه . فخرج مع غلام اخر ( من ١٠ إلى خمسة عشر سنة ) ليسيرا عاندين إلى تدمر . وكان ذلك في منتصف الصيف ، وضلا طريقها وهاما بعيداً حتى حاد حيث مائة من العطش . وخرج محمد يبحث عنها ، فوجدهما مبتين متلاصقين .

وفي مناسبة اخرى كان لمحمد نفسه لقاء مع انوت تقريباً

فقد سار وحيداً إلى القريتين ، ووقع في غزو لقطاع الطرق من التلال . وجرده هؤلاء من كل شيء باستثناء قميصه

وطريوته . إما بندقته فقد دبر أن يخفيها في حرج ، ولكنهم لم يتركوا له أي شيء آخر ، لا طعام ولا ماء ، وكان ذلك في منتصف الصيف . وكانت القريتين ، اقرب مكان ، على بعد حوالي ٤٠ ميلا . وكان مصابا بالمرج من ضربة لظها . وعلى أية حال ، اتجه بعد ذهاب النصوص ، في ذلك الاتجاه وتحامل على مواصلة السير حتى الليل واليوم التالي إلى أن وصل إلى خرابة تسمى قصر الاخير ، سقط فاقد الاحساس في الظل ، وتدد ٢٤ ساعة غير قادر على الحركة ، يعاني سكرات الموت من العطش . واخيراً ، حينما قال لنفسه : « الآن سيكون على أن أموت » مرت جماعة من الجاهلین ووجدوه طريحاً هناك . وفي البداية ظنوه عبداً ، لأن الشمس قد حوت إلى اسود ، وكان لسانه جافاً فلم يستطع الكلام . ولحسن الحظ ، عرفه واحد من الجماعة ، وعندهئذ أعطوه ماء . وكان ما زال غير قادر على أن يجبر عن نفسه ، ولكنهم وضعوه على حمار واحضروه معهم إلى تلمس .

وكانت قصتنا هي خصامنا مع ( أبو نجاد ) واندفاعنا من العقبة الى غزة ، حينما كنا نهلك من العطش .

## برد متدريد بسبب مرضاً

كان العام سيئاً بداية رضاء ، لولا البرد الشديد الذي أصيب به ( والفرد ) . لقد فقد صوته .

٢ يناير : (١٨٨٠م).

صقيع شديد - الماء متجمد في الدلو . وصلنا (إبار شيئا؟) في  
الثامنة والنصف ، وصلنا الجمال - ملوحة الماء شديدة -  
المستوى طبقا للبارومتر الجفاف ٩٥٠ العمق حتى سطح الماء  
١٢ قدماً . أتينا إلى هنا يشبه الدرب ، جزءاً من المباح ،  
إلا أنه من الواضح غير مضرووق كثيراً .

في الساعة الواحدة ( بعد الظهيرة ) أتينا إلى بئر آخر ،  
بالقرب من صخرة غريبة ، حسبناها في البداية قلعة

## « النيك » أبو قصر ، وبئر ( الجراوي )

لقد عبرنا الآن الوادي وما نحن على ضفته الغربية . مررنا  
ببيت خرب ، ليس ذا قبعة أثرية كبيرة ، يسمى ( النيك أبو  
قصر ) بئر أخرى بالقرب منه ، وفي الساعة الرابعة والنصف  
خبرنا تحت ثلاث رملة ، تتوجها القضا . بقعة سهجة ليست  
بعيدة عن بئر رابعة تسمى بئر الجراوي - المستوى طبقاً  
للبارومتر ١٨٤٠ . استعاد ( ولعمرو ) صوته لكنه ما زال  
يعاني برداً خبيثاً . وأنا ما زلت عرجاء كما كنت ، ولو أن  
الأم قد نل . واني لا أظن أحياناً أنني لن استعيد قدرتي على  
الشيء .



# هجوم على الكاتبة .. وعلى زوجها

الجمعة ٣ يناير : (١٨٨٠م).

لقد قنا ، بفامرة ، أخيراً ومغامرة غير موفقة ، درس  
فاس يتعلق بمخطر إقامة نعيم قرب الأبار ، ابتدأنا مسكرين ،  
ولكننا عوقنا ساعة كاملة في الجراوي نأخذ ماء ولم نغامر  
الأبار حتى الساعة الثامنة تقريباً ثم درنا متجهين نحو الشرق  
تقريباً نحو الوادي . القرية رمل صافي البياض وكان يصعب  
للبرقي ، فسرقنا متصليين ، عابرين تموجات بدون أية علامة  
أخرى غير التلال التي تركناها خلفنا . وهما وهناك برزت  
روابي يكسوها الغضا الى واحدة من هذه هرعنا ، (ولفرد)  
وأنا ، ذركين الجمال خلفنا ، نرجلنا وربطنا مهرينا الى الأشجار ،  
حتى يمكننا أن نتمتع ببضع دقائق من الراحة ، ونأكل نصينا  
من لقيات منتصف النهار - بينا لعبت كلابنا الملوكية وطاردت  
بعضها بعضاً في الرمال - استهنا نتحدث عن لست أعلم ماذا ،  
حينما مرت بنا الجمال كانت على بعد لا يكاد يبلغ مائتي ياردة  
أمامنا حينما سمعنا فجأة ، وقماً ، يفرود وقماً على الرمال ،  
صوتاً يحدته عدو ، ووثب ( ولفرد ) واقفاً على قدميه ،  
ونظر حوله ثم نادى . « اركبي على مهرك هذا غزو ،  
وعندما زحفت بسين الأشجار الى مهري رأيت كوكبة من  
الفرس مندفعين بأنفسهم مشرعين رماحهم ، على بعد

لا يبلغ مائتي ياردة . كان ( ولفرد ) راكباً حين تكلم وكان  
يجب أن أكون كذلك ، لولا ركبتى المروضعة والرمل العميق ،  
وكل منهما انتهى حينما كنت انفض . وسقطت ، لم يكن  
هناك وقت للتفكير ، وما كنت أقف يحدد على قدمي ، حتى  
كان المدور يقف علينا ، وحتى صرعت بضربة من حرية . ثم  
احدقوا جميعاً ، ( ولفرد ) ، الذي انتظرتني وثب بعضهم على  
الأرض بمسك بثمان مهرة . وكانت بندقيتي معه ، وكنت  
ثاولتها له قبيل قليل ، ولكنها غير معمرة ، وكانت بندقيتي  
وسيفه على ذلوله . ولحسن الحظ كانت يرتدي ثياباً ثخينة  
( كسيفة ) ، عباةتين أحدهما فوق الأخرى ، ومن تحنها ثياب  
انكليزية ، ولذلك لم تؤذ الرماح . وأخيراً تمكن مهاجموه  
من أخذ البندقية منه وكسرها على رأسه ، مسددين له ثلاث  
ضربات ، محطمين كرمي البندقية . وبدأت لي المقاومة لا فائدة  
منها ، فصحت بأقرب فارس : ( انا دخييك . . انا تحت حايئك ) ،  
الشكل المعتاد للتسلح . وعندما سمع ولفرد هذا وظن انه  
قد لقي ما يكفي من هذه المارزة غير التكافئة ، واحد ضد  
اثني عشر ، رمى بنفسه من فوق الهر .

وتوقف الحيلة ( الفرسان ) ، وقد قبضوا على كلا المهرين ،  
وما ان جمعوا انفسهم ، حتى بدأوا يسألونا : من كنا ؟ ومن  
أين جئنا ؟ اجبتا : « انكليز وقادمون من دمشق » وجمالنا قريبة  
من هنا . تعالوا معنا وستمعون هنا ، بينا كان هذا يجري ،

واستمر فقط ٥ دقائق ، شكلت قافلتنا مريعا ، وكانت الجمال  
 مناخا ، كما استطعنا ان نرى هذا ببساطة من حيث كنا .  
 وما كدت اتوقع ان يفعل الفرسان ما طلبنا ، ولكن الرجل  
 الذي ظهر انه عقيم ركنا في الحال نسير ( وهو عمل يسبب  
 لي الما حادا ) ، وقبعتنا مع الآخرين إلى القافلة . وجدنا محمدا  
 وبقية جماعتنا ، متحصنين خلف الجمال ومصوبين بناذقهم ،  
 وخرج محمد متقدما إلى الامام . وكان أول سؤال : « من  
 انتم ؟ » . « رولة .. ابن ضباع » . « والله ؟ تحلفون بالله ؟ »  
 « والله ا تحلف » . « وانت ؟ » « محمد بن عروج من تدمر » .  
 « والله ؟ » « والله ا » . وهذان للفرنجيان المسافرين معكم ؟  
 « والله ا فرنج ، اصدقاء ابن شعلان » .

## سورة . . بسبب صحابة ابن شعلان

وكان كل شيء على ما يرام لقد وقفتا في ايدي اصدقاء .  
 كان ابن شعلان ، مضيقا في العام الماضي ، ملتزما بجهابتنا ،  
 حتى على البعد من الصحراء . ولم يكن أحد من قومه ليجرؤ  
 على التدخل في شؤوننا ، وهو يعلم هذا . وخوف ذلك . لمحمد  
 كان تدمريا ، ولذلك لا يقدر ( الرولة ) أن يسينوا اليه ، لأن  
 تدمر تدفع إتاوة لابن شعلان ، وللتدمريين حتى في حماه ..  
 وهكذا ، فبمجرد ما أصبحت اللابسات جليئة ، صدرت  
 الأوامر من رئيس الجماعة إلى أتباعه أن يعيدوا مهريتنا ،

والبندقية ، وكل شيء وقع في المهرج . حتى كيس دخان (ولفرد)  
كل شيء استبد . ونجهم وجه الزميلين الشابين الذين كانا أخذنا  
المُهرجين بندان حرارة الحظ السيء في أنهم وجدونا أصدقاء .  
قال : آء يا للمهرين الجلبين والبندقية الجيدة ! ولكن العرب  
ذوو مزاج حسن ، مها كانت أخطاؤهم الأخرى ، وكنا حالياً  
على خير وفاق ، نجلس في حلقة على الرمال ، نأكل نرأ ،  
وندير أنبوبة السلم . لقد كانوا الآن ضيوفنا .

## تناء علي حسن معامدة أولئك الاعداء

كان ما جذب اهتمامنا كثير غريب في كل هذا ، هو  
حسن الظن الذي به صدقوا كل كلمة قلناها . لقد تكلمنا  
بالصدق ، ولكن ماذا وثقوا بنا ؟ أنهم لم يعرفونا نحن ولا مجدء ،  
ومع ذلك ، فقد أخذوا كلتنا على أننا أصدقاء ، في حين كان  
يمكنهم بسهولة الاغارة علينا وعلى ممتلكاتنا بدون سؤال . لا  
أحد مطلقاً كان سيسمع عن الأمر ، أو يعرف من كانوا .

وبدوا ان ابن ( الضبعة )<sup>(١٠)</sup> ، الشيخ ، وأصدقاء كانوا  
جماعة صغيرة في طبيعة الجماعة الرئيسية ( للدولة ) . لقد جاءوا  
يستطلعون أوضاع الكلاً الممكن تواقرها في الوادي ، ورأوا

(١٠) تقدم ذكره باسم ( ابن ضاع ) المعروف انه يسر ابن ضيخان  
نية الشرارات لأن قبيلة آرولة ، ويدل هذا ان البلاد كانت تحملها  
ذالك قبيلة الشرارات .

أثروا على الرمال ، فلتبعوا ، راكبين في سرعة حامية ، يلحقوا بنا . كانت مجرد صدفة ، أن وجدونا منفصلين عن بقية القافلة ، وهادأوا بمجرد أن رأوة . كل شيء يعتمد على السرعة في هذه المواجهات ، وقد كان هذا ناجحاً تماماً ، أقل تردد من جانبهم ، وكنا نجوماً يمحلتنا . وهناك لم يكونوا ليستطيعوا أن يسوء ، فلك مع أنهم ١٢ بالنسبة لثانية منا ، لم يكن لديهم إلا حراب ، بينما كان معنا أسلحة نارية . لقد أحببنا منظر هؤلاء ( الرولة ) القتيان . فالرغم من سلوكهم الخشن ، استطعنا أن نرى فيهم روحاً نبلاء . لقد شعروا بالسر لانتمائهم لحراهم ضدي ، وألماضوا في تقديم الاعتذارات ، لقد شهدوا شخصاً يرتدي عباءة ، ولم يشكوا مطلقاً في ان لايس العبائة رجل . وحقاً ان خطاهم ليس مسألة ناجمة عن المفاجأة ، فانناهم كانت منقطعة وكان العدو قد أثارهم لدرجة أنهم لم يكونوا ليجروا شيئاً سوى موضوع يتعلق برغبتهم - المهين . وفقد هذين - على أية حال - اخشى ، كاب بالنسبة لهم سبباً لحزن أكبر من تصرفهم الخشن الذي عاملوه به ، حيثما ركروا حولين بعد أن أعطيت التوضيحات وتبدلت الاعتذارات . كان محمداً قللاً ألا يؤخرهم ، متنبهاً بفطنة أن نألفنا معهم قد سار بما فيه الكفاية ، وكان من الواضح ان ( عواداً ) كان في قفيل مربع . واتوهم ان عليه حيوناً كثيرة من الدم مستحقة الاداء ، وانه الى حد ما ينجعل من الغرباء . وكان الآخرون ايضاً خاضعين نوعاً ما وصمتين ، وهكذا

ودعنا ابن ضبعة وركناه بلعب .

كانت الأمهار التنبية لهذا الغزو صغيرة ( مدموكة )  
ونشطة ، ذات أكتاف طيبة على الخصوص ، ورؤوس رفيعة ،  
ولكنها كانت من النمط البوني ( اليسبي ) أكثر من أمهارنا  
المنزلة . وكان معظمها كهيئة . ورأيت أحدها مراكوباً  
في الجام .

## من آثار الهجوم

ولما ذهب ( الرولة ) قارئة ملاحظاتها . فحصدت أولاً جروح  
( ولنفرد ) . ولكنها ليست إلا رضوخاً . قللى الثوب السميك  
الذي يلبسه حول رأسه كل الضربات ، ومع أن كعب البندقية  
عظم غاماً بصلبه وخلافه ، فما زال رأسه سليماً . ولم تستطع  
الرماح أن تخترق ملابسه . أما فيما يتعلق بي ، فارت للفرس  
الوحيد الذي أصبت به هو تجديد اللاتواء الذي كنت مصابة  
به . غير أنني لم أستطع تقريباً أن أنسى آلامه في غضبي عليه ،  
باعتباره سبب القاء القبض علينا . ولولا هذا لربما أمكننا أن  
نعدو متعدين إلى جبالنا ، وأن نستقبل العدو بأسلوب آخر  
تماماً . وصلت فيما إذا كنت قد خفت ، ولكن الواقع أنه في  
الابتداء لم يكن هناك وقت ، وبعد ذلك ابتلع الغضب كل  
إحساس آخر . ويقول ولنفرد غير أنني لا أصدق - : أنه أحس  
بالخوف ، وكان على وشك أن يهرب ويتركني ، ولكن بقي

بعد التفكير . وقدر المسألة الآن ، وهي متيرة ، أكثر  
أربعاً ، وقد يكون أمراً طبعياً .

أما بالنسبة للآخرين ، فحمد مطاطية الرأس بشكل  
مريح ، بسبب عدم قيامه بتصيب بطولي في العملية . وكانت  
الموقف الدفاعي الحض للقافلة حصيناً بدون شك ، غير أنه  
بدا لا يتناسب تماماً مع المثل الأعلى القروسية التي يعرف بها  
حمد دائماً . ويشتد في تأنيب نفسه ، ولكننا نخبره أنه فعل  
عين الصواب . كان ، بكل تأكيد ، خطأنا أننا فوجئنا بهذه  
الطريقة . ولو أن هدو ، كما كان محتملاً أن يكون ، كنوا  
حقاً قطاع طريق وخارجين على القانون ، فإن سلامتنا كانت  
تعتمد على احتفاظنا بالقافلة سليمة كقلعة لنعود إليها بعد أن  
نكون قد هبطنا . فلو أنهم هرعوا في فوضى لمساعدتنا كانت  
سيعرض القافلة للهزيمة ، التي كانت لن تعني في منطقة مقفرة  
كهدو ، شيئاً أقل من الموت برداً ومصفية .

حقاً قد يكون ممويين أن الأمور لم تكن أسوأ . لن  
أزجأ أبداً ما دعت عرجاء ، ولن أربط حصاني إلى شجرة  
ما حييت .

ويبدو أن بقدر كثيرة من الأغنام بذرت من قبل المشاهدين  
أثناء الواقعة ، وهكذا ستكون عندما وليعة في الجوف - إذا  
وصلنا هناك .

كل شيء هادئ الآن ، وحمدان الترابي يغني غراميات

شاب وعذراء فرق بينهما المفسدون ، ودبروا فيها بعد استمرار  
وصالهما بربط اشاراتها الاصطلاحية (من الحرق والورق والعظام) .  
في الماعز حين تخرج هذه الى المراعي .

## في الحماد : بين وادي السرحان والجوف

٤ يناير ، ( ١٨٨٠ م ) .

لم يكن هناك تلوذ هذا الصباح ، فكل واحد قد أصبح  
جاداً ، وانطلقنا في الساعة ، وواصلت السير ثلاثين ميلاً بدون  
توقف ، بسرعة ثلاثة أميال ونصف في الساعة . لقد تركنا  
وادي السرحان نهائياً ، وها نحن نسير ( الحماد ) إلى الجوف .  
لما جاء بوجد في هذه الطريق ، ولكنه أقل عرضة للجزو .  
وكانت التربة حمراء خفيفة ، قل أن يوجد فيها نبات أو عدم  
استواء يعوق خطو الجمال . وأتينا في الساعة الواحدة ( ظهراً )  
إلى بعض قلال من الصخور الرملية ( يفضيها الحديد ) ، وهي  
بداية الأرض المتكسرة ، التي تقوم فيها الجوف ، كما يقولون .  
لقد كنا سير صعداً بالتدريج طوال اليوم ، وحين وصلنا ذلك  
أعلى نقطة على طريقنا ، سجل البارومتر ( ٢٦٦٠ قدماً .  
وجدنا هنا عدداً من الخفر ، تستعمل ، كما أوضح حمدان ، لجمع  
وتنقية السمك<sup>(١)</sup> ، وهو حب صغير أحمر يسمى وحشياً ( شيطاني )

( ١ ) السمك : نوع من الثبات يتركب ، ويسميه بعضهم ( البيسة ) .



في هذا الجزء من الصحراء ، ويستعمل أهل الجوف قطعهم .

وبعد قليل أبصرنا رجلين على ذلول ، أول من رأيناه من الناس عدا لغزو ، منذ أن تركنا كلاف : وعدا ( ولغرد ) :  
ومحمد لبريا صاذا يكومان ، وأطلق محمد عدة أعيرة بارية ، ليكفر  
عن جوده ، كما افترض ، في الساعة الأخيرة ، ونجح في اقترعها  
وإطارة صواحبها . كانا رجلين في غابة القفر ، يرتديان قمصان  
دلية ، وكان معهما قربة من التمر في أحد جابحي . حمل وقربة  
من الماء في الجانب الآخر . قالوا انها خرجنا بحثاً عن رجل فلق  
في وادي السرحان أحد الرجال الذين أرسلهم ابن رشد إلى  
كلاف من أجل الأثارة . لقد أخذ مريضاً ، وقد فقد حلقه  
رهبته ، ولم يره أحد منذ ذلك الحين . وقد أرسلها حركه  
الجوف لبيعتا عنه . وقالوا : إننا كنا على بعد بضعة ساعات من  
المدينة فقط .

وفي نفس الوقت ، بقينا مع جمالنا نستمع إلى ملاحظات  
عواد وحمدان ، يقتلها حب الاستطلاع عن ( الزنابير ) : من  
الجوف . وأخيراً لم يعد في مقدرة عواد أن يتنظر ، ورجد  
حمدان أن يذهب معه . وقفز الاثنان من فوق جملتهما وانطلقا  
يعبران بأقصى ما يستطيعان ليقابلا الخوفيين ، اللذين كانا في  
هذه الوقت قد تقدما في طريقهما ، بينما كان ( ولغرد ) : ومحمد  
عائدين . ومع ولغرد عند عودته إلى حفنة من أحسن التمر

الذي ذقته في حياتي<sup>(١)</sup>، كان الرجلان قد أعطياه إياه. وعاد عواد وأتساراري الآن بلا قمر ، بل بقدر كبير من القبل وانتقال عن الجوف .

نحن نعيمون هذا المساء بالقرب من بعض التلال المعجبية من الصخور الرملية ، الحمراء ، والصفراء ، والأرجوانية ، تكون مشابه تماماً لأجزاء من شبه جزيرة سيناء . وهناك منظر فخم إلى الجنوب ، ونستطيع أن نرى في السعد خطاً أزرق من التلال ( جبال الطويل ) ، وهي كما نخبرون خلف الجوف في طرف النفود .

## الدليل التاراري يتحدث عن قبيلته

لقد ظلمنا نسال حمدان عن قبيلته ، التارارات ، وقدم ما يأتي باعتباره البطون الرئيسية<sup>(٢)</sup> :

الحيرة ... الشيخ الحاروي .

الحلبة ... الشيخ ابن حديجة .

الجبالي ... الشيخ زيد الورددي .

---

(١) مر الترح المعروف بالحيرة ( حارة الجوف وبلعاء ) .

(٢) التحريف واضح في هذه المعلومات وقد نموه ال لصحيحها بمرقة  
قواء الكروام .

الشمات ... الشيخ فتح الله الدندة

وليس لقرارات غبول، ولكمهم يرمون أرواح المجهن  
في بلاد العرب . وأحسن قصيدة تسمى ( بنات عدعان )<sup>(١)</sup>  
رملت عدعان ، كما يقال ، لو ابتدأت من حيث نحن الآن عند  
للمغرب ، لكنت في اللغد . عند الشروق في ( كاف ) ، مسافة  
تقدر بمائة وثمانين ميلاً .

منذ مدة ليست بالطويلة سرق لص قلوفاً شرارية في  
( المزاويب ) ، وركبها إلى حائل في سبعة أيام بلياليهن .

## الوصول الى الجوف

٥ يناير : ( ١٨٨٠ م ) .

ركوب طويل متعب مسافة ميلين ، متوقفين دائماً أن  
نرى الجوف ، ودائماً نصاب بالحمية . والسطح مكسر الى  
تلال وسلاسل رائعة ، ولكن على مستوى ارتفاع أدنى من  
الأمس ، في الحقيقة ظلنا في التحدار طول اليوم ، وبين اونة  
وأخرى كنا نلمح وادي السرحان في البعيد إلى اليمين ، مع  
تلال زرق خلفه ، ولكن بدا أمامنا متوالية لامتناهيته من

(١) عدعان على مشهور عند قرارات، وهم يسبون الأبل لتجبية اليه  
فيلورون ( مر ساس عدعان نسل هيمية ) .

السلاسل الصخرية . وفي النهاية من قمة واحدة من هذه ، أصبح خط أسود يمكن الرؤية ، ينصب بسواده ، مواجهاً القشوريش الأصفر فكونه تلال من الصخور الرملية ووديان حديدية ، عرفنا انها يجب أن تكون قلعة مارد . ولقد بدت ، حقاً ، حصناً يوحى بالجلال والهيبة . ولو أنها موحشة بشكن كاف في وسط هذا القفر . ونحن هذا اندفعنا رغبة في منظر أقرب ثم جئنا الى طريق طبيعي مرتفع من صخور بيضاء ، أكد كل من عواد وحمدان انها استمرار للطريق الرومان الى اصلخد . كنا حريصين أن نصدق هذا ، غير أنه كان واضحاً جداً أن الطريق صنعتهم ، انطبعة . وعلى طول هذه ، سافراً بعض أميال حتى اختفت

رفجاء أنينا الى ما يشبه طرف حوص ، وهناك بالقرب منا الى أسفل ، امتدت راحة واسعة من التخييل محاطة بسور ذي أبراج على مسافات بينها ، ومدينة صغيرة ملتفة حول القلعة السوداء .

لقد كنا في الجوف .

## القسم الثاني :

بلاد الجوف [ دومة الجندل ، وسكاكة <sup>(١)</sup> ]

(١) في هذا الفصل - وهو الجزء السادس من الكتاب - نلام التولقة وصفاً  
شيفاً مدينة الجوف ، وسكاكة ، ونحات عن الأسرار السياسية في ذلك العهد .  
ورسم - في الفصل السابع - المضاف الى هذا القسم - صورة واضحة  
لمجتمع السائي في الجوف - حيث اختلطت بكثيرات من قماء ، فأنة بدور  
الخطابة لعلها السعري من محمد آل عروج دراسة آل عروج في الجوف (١).

---

(١) سنها الكتابة (سكاكة) وهو مخريف .

ليست الجوف مطلقاً كما نرقعنا . كان ظننا أننا منجدها  
منطقة واسعة عامرة ، ويتحول ذلك لتكون مجرد مدينة  
صغيرة ، لا شيء هناك على الإطلاق خارج الأسوار سوى بصع  
يقع مربعة ، كل منها نحو نصف فدان ، تحصرها بالحنطة الذهبية  
ونفس هذه ، من آبار ، وروى نساءً مثل البساتين داخل  
الأسوار ، بجداري صغيرة رسمت بعناية في أشكال ، مثل  
كعك المربى .

## حوض الجوف كان بهراً :

وكل حوض الجوف يحق بكاد يبلغ ثلاثة أميال عرضاً في  
أوسع نقطة منه ، ويبدو ، وهو كذلك بدون شك ، الحوض  
الحثي لبحر داخلي ، أما كيف ، أو متى ، أو لماذا حف  
في الأصل ، فأمر فوق طاقتي لأخبر : يستطيع المرء فقط أن  
يقول مع محمد ، أنه ، من الله ، لكن راهين أحد البحري  
واسحة في كل مكان . ويسر أوطاً من بقية وادي السرحان ،  
الذي من المحتمل أنه يتصل به ، وفي البداية ظننا أنه ربما كان  
آخر التجويف المائي ، عندما كان ، البحر ، حينئذ حراً .  
ولكن القضية ليست كذلك في الواقع ، من حيث أن أوصاً  
جزء منه ، الضيق على مستوى واحد مساح جميع تجويفات  
الراوي .

## آبار الجوف وبساتينها

والآبار بين ارتفاع ١٨٠٠ و ١٩٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وهي ضحلة ، بضعة أقدام فقط من سطح الأرض ، وينزح الماء بواسطة جمال حجر حبل طويلا ذي دلو ، يفرغ نفسه عندما يصل إلى السطح في ما يشبه الحوض .

### بنيان البلدة ، ومقرها : -

والمدينة ، مع بساتينها ، محاطة بسور من اللبن ، ارتفاعه عشرة أقدام ، وطولها نحو ميلين من الشمال إلى الجنوب ، ونصف ميل عرضا . وبقية السهل تقريبا مسطح موات من الرمل ، مع بقعة هنا وأخرى هناك من الأرض الصلبة ، وصلصال رملي حيث تتجمع المياه عندما ينزل المطر ، ويبقى الملح عندما تجف .

وأبنا "حفيرت" يشتر الخبز بستان صغير ، مسيج بحائط ، ومزروع بنخل .

ويوجد حوالي اثني عشر من هذه الحقول القاصية يحتل كل واحد منها حوالي فدانين أو ثلاثة .

وفي مكان واحد يوجد أربعة أو خمسة بيوت بساتينها معها ولها منظر قرية . والحوض بكامله ، باستثناء هذه الواحات ، أبيض يخطف البصر ، وتظهر احراج النخيل كبقع سوداء على سطحه .

والجوف نفسها لا تحتوي على أكثر من ستائة بيت ، وهي كصناديق مربعة من المين ، ملتمة ، معظمها ، حول خربة ( مارد ) ، لكن ليس جميعها ، إذ يوجد حوالي ستة منها منفصلة تلتصق في أجزاء مختلفة من المخرج ، وكثير من هذه البيوت لها نوع من الأبراج ، أو طابق علوي ، وهناك أبراج صغيرة على مسافات غير منتظمة حول السور الخارجي . إن إحدى القلاع الرئيسية للمدينة ، بالإضافة إلى مارد ، هي قلعة جديدة خارج صحن الحصن قداما ، يعيش فيها نائب ابن رشيد وتقع على أرض مرتفعة ، وهي مبنى مؤثر في النفس ، مربع الشكل ، وله أسوار ذات شرفات ، وذات ارتفاع قدره ١٠ قدما ، تتاح لها أبراج دائرية ومربعة تستند أطرافها لمرتفعة . ١٠ قدما على القبة ، وليس لها نوافذ ، بل ثقب للرمي منها ، ولكل برج زوائد تشبه القلعة لنفس الغرض .

وليس في الجوف ما يمكن أن يعتبر سوقا ، ولا حتى شوارع ، كما يفهم المرء عموما من هذه الكلمة ، مجرد عدد من الخطوط المتحرجة ، ذات جدران من اللبن على الجوانب

## السكان ، وبعض أخصائهم

وعندما دخلنا المدينة راكبين وجدت هذه الخطوط مكدسة برجال مسلحين ، جميعهم يحملون سيوفًا بالطريقة التي رأيناها في كاف ، مسودي الوجوه ، وغير مسرورين من رؤيتنا ، كما



ظننا . وردوا على تحيئتنا ( السلام عليكم ) ببساطة ، وبدون حركة ، وتركوا نمر دون إمرة معينة للكرم . ان تفترض أنهم غير مكترئين كان على أية حال خطأ ، كان برودم البادي مجرد رميات عربية ، فعندما بدأ محمد يستفهم عن بيت اقربائه ، أشاروا إلى الطريق بكل مدنية ، وجاء معنا واحد أو اثنان منهم وأخذنا بالتحجاء عدد من المسالك الضيقة ، ومن خلال بساطين النخيل إلى الجانب الآخر من المدينة ، ثم خارج المدينة من خلال بوابة أخرى إلى الحلف إلى أحد الحقول المنعزلة التي رأيناها من المرتفع . وكان قريبا ، على بعد لا يبلغ الميل ، وفي بضع دقائق أخرى رجلنا ، وعمولنا بكرم بالغ في ( قهوة ) حوسين الانيلة .

## في ضيافة أحد أقرباء الدليل

أما عن ما هي بالضبط علاقة حوسين بمحمد ، فلم أستطع بعد اكتشافه - ومحمد نفسه لا يكاد يعرف - غير أنه من الواضح هنا ان أية قرابة عصب منها كانت خفيفة ، تعتبر ذات أهمية عالية .

لم نكد لجلس إلى بار حوسين لرافب تمحيص البئر ، حتى وصل قريب آخر ، جذبه نبأ وصولنا ، ثم آخر ، وكلاهما يضجآن بالمعانة لكوننا قبلنا ضيافة حوسين لا ضيافتها .

وقبل محمد ، وعونيق ، وكل مما استطاع أن يفعله

لتهنئة هذين الغريبين المرحوحين هو أن يعد بأن يقع أسبوعاً عند كل منها بمجرد ما تنتهي زيارتنا لحويسين . حقاً انت الدم هنا قوامه أثقل من قوام الماء . ان الظهور المفاجيء لان العم العشرين يكفي لأن يولد الخصام عند كل أحد .

فبح خروجي واستمتع كل واحد منا بثر الحما في خيمتنا . وتغيير قام لللابس . ان الحبة منصوبة في بستان صغير للنخل خلف المنزل ، ونحن هادئان في سلام ، وفي قدوقنا أن نعيد التفكير في كل ما حدث ، ونضع مشاريعنا من أجل المستقبل .

## دعوة من الحاكم الرشيدي

٦ يناير : (١٨٨٠) .

البارحة ، بينما كنا جالسين نتناول القهوة للمرة الثامنة أو العاشرة منذ وصولنا دخل الى القهوة شابان وجلسا . كانا في ملابس زاهية ، تجنب حريرة وقمصان مطرزة تحت عباةهما الصوفية السجابية اللون . وكل منهما وضع على رأسه كوفية ( عترة ) حمراء من القطن ، وعقالاً أبيض ، وكانت سبغاهما بلقبضين من الفضة . وقف كل واحد في ( القهوة ) عند دخولهما وظن كلانا انها ابني الشيخ ، أو من شخصيات الجوف البارزة . ومضى ( ولغرد ) سؤال عنها الى حويسين ، الذي ضحك وقال : انها لم يكنوا من أبناء الشايخ ولكن زلمات

ابن رشيد ، - وجمال ابن رشيد ، من جنوده ، في الواقع . كانت الكوفية ( الفترة ) الحمراء والسيف ذو المقبض الفضي ، نزعاً من الزي الرسمي . لقد جاء ، كما اتضح الآن ، من عند قوامس الحاكم بالنيابة في الجوف ، ليدعوانا الى القلعة ، ومع اننا كنا آملين أن نترك بستان حوبسين الهادي . وكرمته اللطيف ، فقد ظننا أن من الحكمة أن نستجيب .

## في قصر الحاكم الرشدي

وبدا انه لا حوبسين ولا أي شخص آخر يفكر أنه من الممكن أن نستطيع أن نرفض ، لأن حكومة ابن رشيد مطلقة في الجوف ، ورغبات نائب ينظر اليها كأوامر ، ولا يبدو أن هناك أي شعور سيء بين الحامية والمدينة .

ويظهر ان الجنود الذين رأينا على وفات نام مع كل انسان وهم حفا ذو أرواح مرحة بحيث أنه سوف يكون من الصعب أن نتخاض معهم . ولكن الجوف محل مقهور ، وفي حالة حصار دائم ، والنظام المحافظ عليه صارم جداً . وعلى ذلك فقد انتقلنا بحقل محبينا الى أرباب الطر الرسمي ، وما نحن غنيون تحت أسواره .

ان القصر ، وهو - كما قلت - خارج المدينة قام ببنائه منذ حوالي اثني عشر عاماً ، متعب ابن رشيد ، أخو الأمير

حلال ( صديق المشر بلجريف ) ، ورغم أنه حديث جداً في تشييده ، فله مظهر العصور الوسطى الكامل ، لأن الهندسة المعمارية لا تتغير قط في بلاد العرب .

وهو مبنى يهيج بأبراجه الأربعة في الأركان ، تشغله النقب ولكن بدون نوافذ . ويرجع باب واحد فقط ، وذلك صغير في زاوية من زوايا السور ، ويبقى دائماً موصداً . وفي داخله يدور المصعل ويتمرج ، وبعد ذلك يوجد فناء صغير تحيط به أسوار عالية ، و ( قهوة ) ، بالإضافة الى بضعة غرف صغيرة وكلها مظلمة وكثيرة كالجلب .

ما يعيش نائب الحاكم مع ستة جنود شبان من حائل ، الذين يحكمون ويقومون بأعمال الحامية وأعمال الشرطة في الجوف . والحاكم نفسه غائب الآن فقط في ( سكاكا ) المدينة الصغيرة الأخرى في نطاق منطقة الجوف ، وهي على بعد ٢٠ ميلاً من هنا . وهو عبد رنجي ، كما أخبرنا ، ولكنه شخص على درجة كبيرة من الأهمية ، وصديق شخصي للأمير .

## من تاريخ الجوف الحديث :

والجوف ، بقدر ما استطعنا أن نعلم من محمد ، أننا لا نحب أن نسأل أسئلة كثيرة ، كانت في السابق انقطاعية لآل شعلان مشايخ ( الروك ) ، ولا تزال تدفع المائة ( لسطام ) ، ولكن منب بن رشيد فتحها منذ حوالي ٢٠ سنة ، وعوملت

منذ ذلك الحين كجزء من نجد . وقد حدث غزو مرة أو مرتين ، غير أنه أخذ ينف ، وتخاف الجوف الآن من أن تحرك أصعباً ضد الأمير . وبمناسبة واحدة من هذه التمردات قطع متنب عدداً كبيراً من أشجار النخيل ، ورك المدينة في حالة نصف خراب ، وهكذا أجبروا على الأسطبار والانتفاع بها . وفي الحقيقة قل أن تستطيع الحكومة أن تكون شديدة الحور فهؤلاء الستة الجنود بأقوى ارادة في العالم لا يستطيعون أن يشتدوا كثيراً في مدينة ذات أربعة أو خمسة آلاف من السكان . انهم جميعاً شبان أشداء ، نشيطون ، لطاف الروح ، يخدمون هنا سنة دفعة واحدة ، ثم يعفون . انهم متطوعون ، ولا يحصلون على رواتب ، ولكن لهم ، كما افترض ، بعض ميزات حينما يكونون قد أدوا خدمتهم . ويبدو عليهم الاخلاص للأمير .

## محاولة زكية للاستيلاء على الجوف

يخبروننا أن حاكم دمشق التركي ، منذ أربع سنوات ، أرسل حملة عسكرية ضد الجوف ( نفس الحملة التي سمعنا عنها في كاف ) ، ولكن ابن رشيد شكاً من هذا إلى السلطان ، وعدد بطردم وبعدم استمراره بدفع الاثارة لشريف المدينة إذا لم تسحب القوات ، وهكذا كان عليهم أن يذهبوا من حيث أتوا .

## ابن رشيد كان يدفع الأتوة للترك

وهذه الأتوة يدفعها الأمير بسبب أملاكه الثانية مثل ( كاف ، مو ، تبا ) و ( الجوف ) التي حاول الترك في مناسبات متعددة أن يتحرضوا بها . وهو ، على أية حال ، مستقل تماماً عن السلطان ، ولا يعترف بالسيادة لأي مكان .

ان عظمة ابن سعود والوهابيين الآن شيء يتعلق بالماضي ، ومحمد بن رشيد أقوى حاكم في جزيرة العرب .

## استقرار الامن في نجد

انا سمع تقريراً ساحراً عن نجد ، على الأقل عن الجزء الشمالي منه ، يمكنك أن تسافر في أي مكان ، كما يقولون ، من الجوف إلى القصيم بدون حراسة . ان الطرق آمنة في كل مكان . ان قطع الطريق لم يعرف في مسالك بلاد الأمير سبي كثيرة ، والناشر الذين يوجدون يتلکاون قرب الطرق تقطع رؤوسهم . ولا يسمع ابن رشيد بغزو يشن على المدحرين ، وعدم يقوم بحرب فهي ضد أعدائه . وبن هذا وان معجل صدقات له ، ولكنه ليس على وفاق مع مقام وشيوخ الشعة . ويوجد في القلعة مدفعان زنة ١٢ رطلاً ، انجليزي الصنع .

وما قطعان قديتان لا قيمة لها ، ولكنها استعمالا كما يبدو ؛  
في حصار الجوف بواسطة متب .

## سكان بلاد الجوف

ان الجوفيين من عنصر مختلف عن شمر نجد ، فهم خليط في  
أصلهم تقريبا مثل التدمريين أو القرويين في الفرات .

يحدثنا حريص الكلب ، مضيفنا الأول ، انه ينتمي (الطى) ،  
وان آخرين من جيرانه من السرحان أو ( بنى لام ) وهو ليس  
في الحבלلة ابن عم لحمد ولكن ابن عم لابن عم ، فأبناء العم  
الحقيقيون يعيشون في ( سكاكا ) .

## الحاكم وجنده

ومع أننا كنا مراقبين جداً معه ، فلنا هنا أقل ارتياحاً ،  
وانه لأمر أكثر امتاعاً أن نكون في القصر . ودواس ، نائب  
الحاكم ، امرؤ ينتزع الحب ، وجميع جنوده لطفاء وفضلاء  
للغاية . انهم مجموعة من الناس تشير البهجة ، وانهم لينكفون  
منا بصراحة ، في اللياسة وفي كل شيء . انهم يؤكدون لنا  
أن ابن رشيد سوف يسر لرؤيتنا ، ولكن ينبغي علينا أن  
نرى ( جوهر ) ، الحاكم الأسود ، أولاً . هناك عدد من الأرقاء

الطليبين في الحصن ، غير أنه لا نساء . ان الجنود يتركون زوجاتهم خلفهم في حائل حينما يذهبون في الخدمة العسكرية .

## الحيوانات في البلدة

لا توجد غنيل في الجوف ، باستثناء فلو عمره مئتان ملكه ( الطويحي ٢ ) أحد الجنود ، الذي يبدي إعجاباً شديداً بشقرائنا ( مهرة الكتابة الشقراء ) بقوله : انه ليس هناك في نجد شيء في جمالها . كما لا يوجد أي نوع من حيوانات الحل ، حق الخير . والجمال الطبية الموجودة في المدينة يحتفظ بها لتج المياه من الآبار ، وكل ما رأته من الحيوانات ذات الأربعة أطراف هي فقط عدد قليل من الماعز ، وثلاث بقرات في القصر يمانين المسقية .

ولا توجد ذرة من الحاضرة في نطاق أميال من الجوف ، وعلى الجمال وهذه الشقرات أن تأكل قشاً مقطّماً ولا تقبل أن تأكل للتمر .

## مائدة غير شرعية • بعد لها سهرة

تألف غذاؤنا اليوم من حل وثلاثة أطباق أخرى - احدها



نوع من المعجون يشبه العجينة المستعملة في لصق الورق ،  
 وآخر مجرد زبدة زغنة مع يصل مفروم ( 'مهثي' ) ، والثالث  
 خبز مفتوت في الماء - وكلها قدرة ما عدا الحبل . وعلى أية  
 حال ، فقد كان هناك دور اضافي احضر لنا كفتاجاة ، لحم  
 ( فليتو ) بقر وحشي من النفود ، مشوي في الرماد ، وكان من  
 احسن اللحوم التي ذقتها .

وفي المساء رتب لسليتنا رقص وغناء ، واشترك فيه  
 دواس والجنود . لعبوا نوعاً من رقصة السيف ، وكان احد  
 اللاعبين يندق على طبل صنع من خشب النخل وجك الحصان  
 بينما رفع الباقون سيوفهم على اكثافهم وغنوا غناء مهيباً ،  
 ورقصوا بهابة وجلال . ومن وقت لآخر كانت السيوف ترفع  
 ويلوح بها ، ثم تنطلق صرخة تشبه الى حد كبير ما قد يسمع  
 في حلبات الصبيد في بلادنا . ومرة او مرتين كانت هناك  
 ' هو - هوب ' مميزة ، ومضبوطة في المفتاح الموسيقي الثلاثم ،  
 وبالتفخيم المناسب . كانت اكثر الألحان أخادة ، على طريقة  
 الموسيقى العربية . وجرى احدها على النحو التالي :

( صورة النوتة الموسيقية على صفحة ١٢٢ من المجلد الأول  
 من الكتاب ) .

انتهى الرقص ، وفي طاعة ضخمة مزج النيس وعصير  
 الارج ، وشربت كميات هائلة من هذا السائل المهدئ . نحن  
 الآن هادئان خارج القلعة ، التي نوصد طية الليل ، وفي حرمنا

لنكتب او نضع رسوماً تخطيطية على ضوء القمر ، أشياء لا  
تجوز على فعلها أوقات النهار .

## دعوة لزيارة ( سكاكا ) :

٢ يناير : (١٨٨٠م).

جدان ، دليلنا الشراري الذي كان قد اختفى ، عاد هذا  
الصباح خفية من أجل الحساب لتستحق له . يقول : انه خائف  
من القوم الذين في القلعة ، ولا يستطيع البقاء معنا .

جاء رسول من ( سكاكا ) بدعوة من جوهر لنا ، ولهذا  
فنحن ذاهبون هناك عدا . وسوف لا نقيم مع جوهر ، على  
أية حال ، حيث انه ليس له منزل خاص به ، بل سنقيم مع  
اقربائنا ، آل عروج ، الذين اكتشفناهم اخيرا . وقد ارسل  
ناصر بن عروج رأس الأميرة عند سماءه بوصولنا ، ابنته برسالة  
تتضمن كل صنوف الأدب ، وإلى بيتهم سذهب . والشاب  
متواضع ، وحسن التهذيب بدون تظاهر بالأمانة والاستقامة ،  
لو كان بإمكان أي واحد ان يقرأ شيئا ما في التوجوه ، ومن  
الواضح انه شديد التأثر بالشرف الذي ناله بزيارتنا المعترمة .

لقد كنا نقوم بزيارات طيبة لصباح ، الأول لضييفنا

السابق حوسين الكلب ، والاقرباء الآخرين ، ثم لواحد أو اثنين من وجهاء المدينة ويقول حوسين انه يوجد (بيت حبوب) التي ذكرها المتر بلحريف .

## سَيِّغ الجوف السابق

ولكن انبل الأسر هي أسرة ( محسن بن دره ) ، سيغ الجوف السابق ، ولكنه الآن ازل إلى حالة واحد من رعايا الأمير. و ( ابن دره ) ( يخبرنا محمد ) ليس راضيا عن التنفريات السياسية في الجوف بأية حال ، ولكنه يخاف ان يظهر أكثر من عدم رضا ، نصف كظيم ، لأن محمد بن رشيد يحتفظ برهينة على حسن سلوكه في شخص ابنه الأكبر . ويلم هذا الشاب في حائل ، وهو هناك ليس سجيناً بالمعنى الحرفي ، لكنه لا يستطيع ان يعود إلى اصدقائه . اطمعنا ، واحرمنا في كل المنازل .

## القهوة والنمر ..

وكان علينا أن نشرب اكواباً لا نهاية لها من القهوة المثبتة بالهيل وان نأكل ما لا يحصى من النمر ، حلوة الجوف ، التي يقولون عنها : انها اجود ما في جزيرة العرب. انها ذات نكهة

ممتازة ، ولكنها شديدة الحلاوة وشديدة التروجة للاستعمال العام . ان اهل الجوف يكادون يعيشون كلية على التمر ، ليس على ( الحلوة ) ، على أية حال ، وهي ليست بأية حال موعا شائعا . توجد هنا اصناف من التمر هي من الكثرة بقدر التفاح في حدائق بلادنا ، وكل صنف يختلف عن الآخر تماما والفرق المفضل لدينا للأكل الاعتيادي بمجمد خفيف اللون ، واكثر استدارة من ( الحلوة ) ، في حين ان هذه لا شكل لها ، ويلون القوس الشقراء .

انه خطأ كبير ان نفترض ان التمر احسن ما يكون لأنه حديث الجنى ، على العكس انه ينضج مع الحفاظ واحلى الانواع تحتوي على سكر كثير ، للتروجة انها حين توضع في طبق مكشوف تسهل ( تصفيا ) إلى شراب يتكون فيه السكر قطعاً كبيرة . ولا أشك في أن السكر العادي يمكن ان يصنع منها .

## طريقة صنع القهوة :

ان طريقة صنع القهوة هنا هي ان حد كبير نفس الطريقة المعروفة بين يدو الشمال ، باستثناء انها أكثر املالا . فهناك ، أولاً ، عملية لامتناهية لتقلية وفرز حبات البن ، وهي أصغر حجماً وأخف لوناً مما يلقى المرء في أوروبا ، ثم ، بعد التحميص ،

عملية سخن طوبية في الهاون ( البعير ) ، ولو أنت البق لا يحسن ناعماً قط ، ثم غسيل مفرط لأنية القهوة ، خسة أو ستة منها ، وأخيراً الغلي القمعي ، وهو يجري ثلاث مرات . ان ( اهان ) الجوف أنيقة جداً ، ومصنوعة من الصخر الرملي الأحمر ، الذي هو الصخر الشائع في البلاد ، وهي ، كما اعتقد ، سلعة للتصدير . واني لأحب أن آخذ واحدا منها معي ، ولكنها ثقيلة جداً ، كل واحد منها ربع حمل البعير . وتصميمها بسيط ولكنه أنيق ، ولن تكون مفاجأة لي لو انها قديمة جداً .

## صناعات الجوف :

أما صناعات الجوف الأخرى التي جمعت عنها فهي فقط احزمة وعباءات صوفية . والاول بهية المنظر ومطرزة بالفضة ، وجميع الخدم ، اشتروا منها ، أما الأخيرة فهي مصنوعة من الصوف الذي يحلب من بغداد . واشترى عواد واحدة بسنة مجيديات ونصف .

## قلعة (مارد) :

بعد ذلك ألقينا نظرة على قلعة ( مارد ) ، الناية الوحيدة من الخجر في الجوف . ويرجع تاريخ تشييدها ، كما يمكن أن

أقول ، إلى العصور الوسطى<sup>(١)</sup> وإنما بالتأكيد ليست كلامية وليس لها ملامح خاصة تجعلها مثيرة للاهتمام . وتندرج أجل على بعد . أجد الخرائط تصبها على طسول الطريق من الجوف ، ولكنها في الحقيقة داخل أسوار المدينة ، على الطرف الغربي وتلف على ارتفاع ٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر .

## دعوة الى الصلوة بالقوة :

بينما كنا لمجلس في منزل ابراهيم (درة) رأينا مثلاً لحكومة ان رشيد الأيوبي (البيماركية) وأولى علامات الوهابية نردى لصلوة الظهر من سطح المسجد اتقريب ، إذ ليس هناك منارة في الجوف ، إلا أنه لم يبدأ على أي فرد لبرهة من الزمن ، أي قبل لأن يتحرك ، متخذه من رباتنا عذراً . ثم ابتداء رجل من ذو وجه فقط يحاضر الأصفرين ويخبرهم أن ينهضوا ويذهبوا للصلوة ، وعندما لم يجد لأمره أي جدوى معهم ، ضرب لهم المثل في النهاية . ومع ذلك ظلت المجموعة الرئيسية للضيوف قعدة ، الى أن نهض قبلة الخديان الشاهان اللذان جاءا معنا ، وهم يصيحان : « قم ، قم » واضعين صفعات سفيها على الخدية وساقاهم جميعاً الى المسجد ، جميعاً ما عدا مضيقنا الذي جعله مركزه هذه الصفة مرغوباً من الأداة .

(١) مارد : حسن قدم في الجوف ، غزته لرباه ملكة تدعى . لاضع عليها ، وفي الألق حسن تلاء به المثل : غزاه مارد ، وهو الألق .

ومن الواضح جداً ان الدين ليس مقصراً هنا ، وإستثناء الرجل  
 ذي النظر الحسن والتوجه القلط لم يد أن أحداً ينظر الى الصلاة  
 نظرة جدية ، لأن الجنديين بعد أن أدوا واجبها في سوق  
 الآخرين الى المسجد عادوا من المسجد بدون صلاة . ان النظر  
 الخارجي للدين لا يبدو طبيعياً بين العرب .  
 رقصة السيف مرة أخرى هذه الليلة ، ووليمة أخرى من  
 الميراث .

## هزيمة : ازجيه كبيرة : -

٨ يناير : (١٨٨٠م).

صباح غائم ، ضبابي تقريباً ومطر . ودعا دواس وجنوده .  
 وبدأ عليهم الأسف حقاً لفراقنا . انهم أناس ذوو مزاج حسن  
 وأمناء بشكل غير عادي ، ولقد عاملونا بلطف بالغ . كانت  
 آخر التفاته من دواس تحوي هدبة من الأرج مسانلة في كبر  
 جولة الهند فضيحة . ان الأرج ليون حامض وليس حلواً ،  
 ولكن له قشرة سمكها برصة ، وذات حلالة تكفي لأن  
 تاكل ولو انها كثيرة الزغب ( الصوف ) .

## بين (مطاطا) و (الجوف) :

تقع مطاكلا ، حيث أتينا اليوم ، على بعد حوالي ٢٠ ميلاً  
 من الجوف ، ويوجد خط بين المكانين مطروق كثيراً . كنا

جماعة كبيرة للعدد مسياً ، من حيث ان عندنا من الجوفيين جاءوا معنا للمرافقة ، ومعنا ان عروج ، ان ناصر ، وعروج آخر ، ان عم له ، ورجل ذو يدقية الذي هو في طريق ديبه معنا الى حائل . كل الجماعة ما عدنا كانت تسير على الأقدام ، لأن الجوفيين لا يركبوا أبداً ، فليس لديهم خيل ولا جمال حتى ولا حبر . وكان مع أحد الرجال صدفة بيضة تمام مدلاة في شبكة من نوع ما ، ولتضمن كتلة لحفظ الماء . أخرى ان شعاع مألوف في لسفود ، الذي هو الآن قريب من هنا . كان المظفر على طول لطريق . العا ، وأحيانا يستحق التصوير . عبرنا أولاً حوض لجوف الى الناحية الأخرى ، مارين . بعدة من الحقول الخراب ، السطح حديد تماماً ، وأدناه سعطى الملح . ان هذا لانخفاضه يكامله ليس الا ميلاً عرضاً . ثم فجأة ارتفعت طريقنا مائة قدم فوق قطع من الرمل واقف الانحدار ، ثم مرة أخرى مائة وستين قدماً فوق سلسلة صخرية ، منحدرين مرة أخرى لتعبر سبعة ذات حاشية من الاكل في حالة إزهار الآن . تم يقع من حصباء ناعمة من صخر الحديد لا يستطيع شيرها عن فضلات الأغنام .

وعلى بعد ساعتين من الجوف تجويف مائي يسبحه الجوفيون نساء ، والماء على انخفاضه حوالي ٨ أقدام تحت سطح الأرض . وفي الوديان حيث قد جرى الماء ، لأن المطر نزل هنا منذ شهر تقريباً ، وجدت بساتين بصلية زاهية ذات زهور وعفوية تخلص على المكان مظهرأ زائفاً للخصوبة



وفي أماكن أخرى أحجار عجيبة من الصخر الرملي الوردي  
مكحلة بالحديد .

وعلى بعد ، نحبة الشمال عدد من التكتل الرقيقة لزل ،  
جبل الحمامية ، ( أو جبال الحمام ) ، وهي أكثر شي . جدارة  
بالملاحظة . وهذه يمكن أن تكون أعلى من الجوف بالف قدم .  
وبعداً وراء ذلك ، إلى الشمال الشرقي وإلى الشرق جرى خط  
الأفق مستوياً على ارتفاع مساو ، طرف الحد ، لأن كل الجهة  
التي كنا نقطعها هي في نطاق بحر قديم ، من المهم أنه مثل ،  
كما نفوض ، وادي السرحان ، والجوف ، وسكاكا .

وعلى إحدى الصخور لاحظت بقعاً ، أو بالأحرى صور  
حمال وخبول ، محفورة على وجه مسطح عرضه حوالي خمسة  
أقدام . ولم نستطع ، على أية حال ، في مثل ظروفنا أن نلقه .

## وصف بلدة (سكاكا) ..

ان سكاكا ، مع انها ليست مقر حكومة جوهر ، مدينة  
أكثر من الجوف - سبعةة بيت ، كما يقولون ، وبساتين الفخيل  
على الأقل ضعف ما في الأخرى . ومركز المدينتين يكاد يكون  
واحد ، تجويف عريض محاط بحروف من الصخور الرملية ،  
ولكن حوض سكاكا أقل انتظاماً وتنتصب فيه تلال رملية  
وتلال قانية من الصخور .

وسكاكا كالجوف ذات قلعة قديمة تجثم على مرتفع يبلغ عنوه

حوالي مائة قدم ، وتسيطر على المدينة ، والمدينة نفسها مبنية بطريقة غير منتظمة ، وليس لها سور متصل حول بساطتها .

وتوجد بساطين كثيرة وبمجموعة منارل منفصلة ، وهذه لم تخرب مثل تلك التي في الجوف من جراء الحروب الأخيرة . وفي جملتها ، لها منظر بالغ التضارة ، ولم يترك قدان واحد قابل للري بدون استنبات . كل شيء مرتب ونظيف ، والأسوار جديدة الشرفات ، وكل منزل منسق ، كما لو كان بني حديثا . والقطع المربعة الصغيرة المزروعة شعيرا يحيط بكل منها سياج من اغصان النخيل المجدولة ، والشوارع والأزقة أنيقة بشكل دقيق

## في ضيافة (ال عروج) :

من خلال هذه غرفة راكبين بدون توقف وجاوزوها يملين ، الى مزرعة ( نصر ) .

نحن الآن في قلب عائلة ابن عروج ، وفضلا عن ذلك لا خرافة بل حقيقة فهي مضيافة ، تلتقاه بسواعد مفتوحة ، كما لو كانوا يتوقعوننا كل يوم طيبة المائة سنة الأخيرة . انهم يعرفون افصوحة ابن عروج الشعرية ونسب محمد احسن بكثير مما يعرف هو نفسه . وهكذا يتكئنا الآن على الأقل ان نأمل ان نكون في النعيم ، وإذا لم نذهب إلى أبعد من هنا ، بعد كل شيء ، فربما نحس اننا لم نسافر قط عبثا .

## ثلاثة أيام للراحة

مكثنا ثلاثة أيام مع ناصر وبنيه وزوجات بنيه وأطفالهن في بيتهم الريفي الهادئ .

كانت راحة كنا في أشد الحاجة إليها، وبرهنت - إلى جانبي ذلك - على أنها تجربة مثيرة للاهتمام، وفرصة ممتازة لتعرف عن الحياة العربية المنزلية أكثر مما عرفنا في رحلاتنا السابقة .

## حديث عن (آل عروج) أسرة الدليل

وليس آل عروج اصحاب (سكالا) في أنفسهم ذوي أهمية خاصة ، فكأن قربانهم في تيدمر ، قد أصبحوا مستقرين منذ مدة طويلة كجزء سكان مدينة ، يتزوجون من بنات البلاد ، ويقتبسون من الميول الحقةبة لفدينسة ، ولكنهم كانوا أعضاء وذوي قلوب ذات عطف ، وتقاليدهم أصيلة خاصة بهم ، وما زالوا محافظين دينياً ، ويلقون أحياناً ومضة من شيء مما كالحيال ( رومانس ) على ما عهدا ذلك من شؤونهم المتعلقة بمقتات الحياة .

## عميد الأسرة

وناصر ، أفضل الجيل الارشد ، يشه سيداً ( اسكوتلندياً )

مفيراً ، فقيراً وشحيحاً ، ولكنه مدرك لحقيقة كونه ذا دم  
 في شرايينه أكرم من دم جيرانه - الانسان الذي يفكر ، كل  
 يوم من أيام السنة إلا يوماً واحداً ، كيف بدخر ستة بنسات ،  
 ولكنه يظهر نفسه كل يوم انه رجل واحد ( جنتلمان ) ،  
 ورئيس بيت .

كان ابتداء هادئين ، ومتواضعين ، وغير مدعين ، ومثل كل  
 شباب العرب ، مبالين الى (الرومانتيكية) أكثر من أبيهم . بل  
 ان لهم تقديراً من نوع ما للأفكار القروسية خاصة ( تركي )  
 الأكبر ، وفيه يتغلب الدم البدوي والتقاليد السوية تقرباً الى  
 الحد الذي لا تفرك مكاناً للقرائن التجارية ، بيت هذه الأخيرة في  
 أخيه (عربي) هي فوق ما ينبغي لموازية الأولى . أحببنا كلا  
 الأخوين مفضلين ، بالضح ( تركي ) ، ومعه أقام ( والفرد )  
 صداقة كبيرة .

## شيء من تاريخها

ان قرابة محمد لهؤلاء القوم أقل بعداً مما كنت قد افترضت  
 ان سلفه ، محي بن عروج ، كان أحد الأخوة الثلاثة ، الذي  
 ترك العارضي في نجد ، في اعقاب ناز ، أو ، كما يظن ( والفرد )  
 انه الأكثر احتمالاً ، هرباً من النطفين<sup>(١)</sup> الذي صاد لجداً ضد

(١) الكتابة متأثرة بالنسخ عن الحركة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد  
 ابن عبد الوهاب - رحمه الله - قامت الدولة السعودية الثورية بشورها قياماً  
 فصي على دولة الدولة التركية في قلب حاضرة العرب ، ولم يبق لها إلا أن  
 تبت لهاجان الصلة من تلك الدعوة . خشية من امتداد انتشارها ، ومن  
 هنا كانت الكتابة متأثرة بما سمع من تلك الدعايات .

مائة منة ، وجاء الى الشمال حتى وصل الى قديم ، حيث  
 زوج ( علي ) وأقسام ، وأخ آخر ، عبد القادر بن عروج ،  
 توقف في الجوف واستقر هناك ، وصار جدياً لناصر . أما  
 بالنسبة لثالث ، مطلق ، فإن نسل الاثنين السابقين ،  
 لا يعرفون شيئاً عن مصيره ، سوى انه لم يحب لا قديم ولا  
 الجوف ، فعاد في اتجاه نجد . وصل اليهم تقرير غامض عن  
 موته ، الا ان أحداً لا يستطيع ان يحدد متى أو كيف مات .  
 وجاء ناصر من الجوف الى سكاكا منذ سنوات ليست كثيرة .

وبصر الآن رئيس الأسرة ، على الأقل ذلك الفرع الذي  
 يسكن الآن واحة (سكاكا) ولكن يعيش هناك في منزل  
 ملاصق لمنزله ، ابن عم المائس جازي بن عروج ، أخ لصدبقتنا  
 (مرروق) ، وأب لابنتين جميلتين . وهؤلاء ، مع قليل من  
 الأقرباء الآخرين ، يكوون أسرة صغيرة هيجة ، يعيشون  
 جميعاً في مزرعة ثانية .

## نساء الأسرة

أول فكرة في بحثنا اليهم ، بالطبع ، كانت من أحمل  
 روعة الحميد ، وبنا على طلبه انتمت فرصة مبكرة للتعرف على  
 ساء العائلة . وجدتهن جميعاً ودودات ومحوبات ، وبعضهن  
 ذكيات . ومعظم الصغيرات كن جيلات المظهر . وأهم شخص  
 في ( الحريم ) كان روعة ناصر ، سيدة صغيرة عجوز قديم

شمعة ، نجيفة وذابة ، ومتجمدة ذات صفائر طويلة رمادية ، وعينين ضعيفتين تنبشان عن شيخوخة طاعنة . ولو انها لم تكند تتجاوز الستين ، فقد بدت منهكة تماماً . كانت أم ( تركي ) و ( عربي ) ، وسميت من محمد ابن ( نصر ) لم يتخذ زوجة أخرى غيرها . وكانت في هذا خطأ ، لأنه في نفس رباتي الأولى استدعت زوجة أصغر سناً من الحجرة الملاصقة وقدمتها لي في الحال . ودخلت الزوجة الثانية مع غلامين في الثالثة ولثانية من العمر ، وأكبرهما ( لان لها اسمين غير متعادين ) يسمى مطرق ( عصا ) ، بالرغم من انه يبدو طفلاً محبوباً وحسن المزاج . وهو في هذا يشبه أمه ، التي أُر في بشكل حسن سلوكها المذهب نحو زميلتها الأكبر منها سناً شمعة . وفوق ذلك ، كان لها وجه جميل جداً .

أما الغلام الصغير ، ( مطرق ) ، فقد أدركت انه الغلام الذي لما رأيت في الصباح مع ناصر الشيخ في بستاننا افترضت انه حفيده .

## هجرة ناصر الى اطفال

كان ناصر يحاول جهده لتدليل الطفل ، طلقاً لأملوب الرجال الشيوخ ( الستين ) بين العرب . وحينذاك اعطيت ( مطرق ) ثوباً أحمر (فراء) ، وهو الذي كنت اشتريه من أجل ولد ( صطام ) ، منصور ، حبلاً ظننا اننا كنا ذاهبين الى

(الرواة) ، وفي هذا كان الطفل الآن يبلغ سنه ، مبدئاً حليته  
لثلاثين صغيرتين جميلتين جداً ، مما اعتاد . وجرت هاتان  
داخلتين خرجتني أثناء زيارتي ، تساعدان في احضار أطباق  
الثمر ، ولتا كلا تقرأ كلتا أختا بعض منه .

## نساء الأسرة مخففين بالكاتب

وظهرت بعد ذلك زوجتنا تركي ، واحدة منها جميلة ،  
والأخرى بسيطة ، وزوجة عربي الوحيدة ، جميلة ومتزوجة  
حديثاً . وبدت هؤلاء مع بعضهن على غير وفاق مما عليه الحال  
عادة بين الزوجات المختلطات وزوجات الأبناء. كن حريصات  
على سروري ، وبالطبع ، فعلت كل ما أستطيع من أجل  
إرضاء رعباتهن المنسية فيما يتعلق بالأكل . قدمن لي قرأ من  
أرواح لا تحصى - قرأ جافاً ورطباً ، وحلواً وأقل حلاوة ،  
عنيق التجفيف ، وجديداً ، وكثلاً كان مشحناً بالنسبة  
لشخص واحد ان يمدل بين كل هذه الأرواح .

عاملت ( شحمة ) كل الناس بطريقة شخص يتشع بسلطة ،  
ولو ان أسلوبها معهم كان لطيفاً . وهي ، على أية حال ، قليلة  
الكلام ، بينما كانت الأخريات يتكلمن بدون انقطاع ، وبأن  
كل أرواح الأسئلة ، التي تتطلب معرفة بالعربية أكبر مما لدي  
حتى أجيب . وفي وسط الزيارة وصلت ( نازك ) ابنة ناصر  
المتزوجة ، أخت لتركبي وعربي ، مع ابنتها وجفتة كبيرة

من الثمر . لقد مشى طول الطريق من مدينة سكاكا ، حوالي  
ثلاثة أميال ، تحمل هذه الطفلة ، وهي مخلوق حزين في الرابعة ،  
والتمر ، ودخلت ، لاهثة ضاحكة ، لتراي . انها تثير السرور  
وذات حيوية ، كثيرة الشبه مانحها تركي في الوجه ، أي لها  
طيبة الخلق أكثر من كونها جميلة المنظر . أمة واحدة من مؤلاء  
السيدات الشابات كانت تقي بشروع محمد للزواج ، ولكن  
لسوء الحظ ، كن جميعاً إما متزوجات او صغيرات جداً .  
رسالت فيما اذا كن هناك بعض السيدات الشابات في الخارج ،  
فأخبرت انه لا يوجد أحد من بيت ناصر ، ولكن ابن عمه  
( جاري ) له ابدان كاملتا السوء ، لم تتزوجا بعد ، فحافظت  
على هدوني حتى نسمع لي فرصة لرؤيتها .

## البحث عن زوجة للدليل

وفي نفس الوقت ، كان محمد قد بدأ بالعمل يجمع معلومات  
على حساباته الخاص ، ولم يفت اليوم الأول من رباتنا قبل أن  
يأتني إلي بتقرير عجيب عن نفس اسقي ( جازي ) هاتين . كان  
هناك ثلاث بنات ، كما قال ، وجميعهن محبات ، كل واحدة  
أجل من الأخريات ، عسر ، رحامو ١٩١ ، ومطرة والأول  
والثانية لسوء الحظ قد غفلتا ، ولكن مصرة ما زال  
في الامكان الحصول عليها . واستطعت أن أرى انه كان قد  
وقع في الحب المدنف فعلاً ، فعند العرب القليل يقطع شوطاً



طويلاً ، ومن حيث أنه لا يسمح لهم إطلاقاً برؤية السيدات ،  
فاهم يقعون في الحب من خلال الحديث عنهن : كان بلع كثيراً  
أنه يجب على ألا أصبح الوقت وإن اذهب لزبارة أمهن ، وبدأ  
أنه يفكر أنني كنت أصبح وقتي مدى وبجوزن في زبارة ابنة  
العم المتزوجة . وقد صرح محمد أنه يجب أن يتأسس برأبي ،  
وسأعرف ، كما تظاهر ، في الحال ، ليس فقط ما إذا كانت  
( مطرة ) جيدة ، بل أيضاً ما إذا كانت حسنة الطبع ،  
وحرية بأن تصبح زوجة صالحة .

## حول المهر :

قال أنه كان يجمع وي طرح ، وظن أن أربعين جنباً سوف  
تطلب بصفة مهر . وإنه لبلغ كبير بالتأكيد ، ولكنها حداً  
صيلة ، والمناسبة فريدة ، ابنة جازي - ابنة أخ مرزوقة -  
فتاة من عائلة ممتازة كهذه - ابنة من آل عروج وآل  
عروج لا يمكن الحصول عليهم كل يوم - أربعون جنباً قد  
لا تكون كثيراً جداً .

## الابنة تصبح خاطبة

كان لدي فراسة كبيرة ، وقد رأيت زوجات وبنات جميع  
شيوخ ( عشرة ) ، يجب أن أعرف ما هو هذا وما هو ذلك ،

ويجب ألا اخطيء . ومع ذلك فهو يريد أن ينهب عبد الله ممي ، فقط ليتجسس على الأشياء . ويمكن لعبد الله ، كقريب ، أن يسمح له بالتدخل ، في مناسبة كهذه ، ولو أنه هو ، أي محمد ، لا يستطيع ذلك بالطبع ، ويمكن ، ربما ، حتى أن يسمح له برؤية الفتاة ، كما لو كان ، بالصدفة . أما بالنسبة لنا ، آل عروج ، فإن الزوجات والبنات دائماً عجبت ، عادة أتيننا بها معنا من نجد ، لأننا لسنا كالبدو ، ومع ذلك وفي مناسبة هامة كهذه ، مناسبة تدبير رواج ، قد يسمح أحياناً لرجل من سن معين ، تابع ، أو قريب فقير ، أن يرى وينقل ما رأى . ووعدت أن أفعل ما أستطيع لانهج الأمر .

وعلى ذلك أرسل لتركى في اليوم التالي ، وأشعر بالأمر موضوع البحث باختصار ، وأرسل في الحال ليعلم عن زيارتي لأم بنات ( جاري ) - محمد يوضح أن من الذوق ( ابلتيكيت ) أن الأم يجب أن تعرف بموضوع زيارتي ، ولو أنه ليس ضرورياً بالنسبة للبنات . ثم فعبنا إلى منزل ( حازي ) ، تركى وعبد الله ، وأنا .

## في سبيل اختيار الزوجة :

يقع منزل ( جازي ) بالقرب من منزل ناصر ، يفصلها فقط سور البستان ، وهو أيضاً أصغر من هذا الأخير ، فكرت أنه مكان فقير لنأتي إليه بحثاً عن أميرة ، ولكن في بلاد العرب

يجب على المرء ألا يحكم أبداً بالطوامر . وفي الباب ، بين عدد  
 من النساء ، وقف سعد ، أكبر أبناء ( جاري ) ، الذي قادنا  
 خلال فناء إلى حجرة داخلية ، مثقلة ثاماً ، باستثناء ما قد  
 يأتي من نور من خلال فتحة الباب من المحرم أنه في بلاد العرب  
 حيث اخترع التعبير : « بطأ عنة دار فلان » ، لأن التوافق لا  
 وجود لها في البيوت الصغيرة . كان هناك رائحة ماعز في  
 أنحاء المكان ، وبدأ كإسطل أكثر منه ردة استقبال . وفي  
 البداية لم أستطع أن أرى شيئاً إلا أنني استطعت أن أسمع  
 ( سعداً ) ، الذي غاص في الظلام ، يهر شيئاً ما في الزاوية ،  
 وعندما تعودت عيني على الشفق ، اتضح هذا أنه سيدة شابة ،  
 واحدة من الثلاث اللاتي جئت لأروهن . كانت ( عسرا ) ،  
 الفتاة الثانية ، العظيمة ، الجميلة المنظر ، تشبه كثيراً ابن عمها  
 عربي ، بأنفه القصير المنقوش وعينيه السوداوين . خرجت إلى  
 النور بظهر كبير الخجل والاضطراب مخفية وجهها في كفها ،  
 معرضة عن الجميع حتى عني ، ولم تكن حتى لتستجيب لأي  
 شيء من محاولاتي للتحدث . ثم فمعة ، انفلتت منا ، واندفعت  
 عبر الفناء إلى خلوة أخرى صغيرة ، حيث وجدناها مع أمها  
 وأختها ( مطرة ) . وبصموية ، عرفت أن أجد تليلاً لكل  
 هذا ، فإلى جانب الخجل ، ظننت أنني استطعت أن أرى أن  
 ( عسرا ) قصدت حقاً أن تكون فظة ، وأكد فكرتي هذه  
 الطماع الهذبة لكل من أمها ( حالية ) وأختها الصغيرة  
 ( مطرة ) .

## أحاديت مع الفتاة المفضلة :

ولقد أحببت (مطرة) في الحال . ان لها نظرة ، خلصة ،  
أمنية ، صريحة ، تحذف في الزمراء رأساً بعينها السوداء  
كالفرال ، ولها أيضاً لون شديد الخضاء والنضارة ، وصوت  
يشير البهجة والسرور . ولذلك ، فلم ألق كبير اهتمام إلى فظاظه  
(عرا) وسألت الفتاة الصغيرة أن تيسر لي في أنحاء  
البيتان ، ففعلت ، وفرتني على الأشياء القليلة التي يمكن أن  
نشاهد هناك ، موضحة لي كل ما يتصل بالبشر ، وطريقة متع  
الماء . وما احتوى البستان ، بالإضافة إلى أشجار النخيل ، على  
تين ، وبرقوق ، وكروم ، كما كانت هناك رقعة من الشجر  
الأخضر ، وعليه كان يرعى بعض الحديان

أخبرتني (مطرة) أنهم في الصيف يعيشون على الفواكه ،  
ولكنهم لا يحتفظون مطلقاً بالبرقوق أو التين ، التمر فقط هو  
الذي يحتفظون به . ولاحظت عدداً من أشجار النخيل  
الصغيرة ، وهي دائماً علامة على الرخاء . كانت البشر حوائط  
عشرة أقدام مربعة في أعلاها ، معطاء بمثابة بصخرة ، والماء  
على عمق بضعة أقدام فقط من السطح . وأخبرتني أن الماء  
يمكن أن يوجد في أي مكان في (سكاكا) بالغمر دائماً على  
نفس العمق . سررت جداً بالذكاء الذي أظهرته مطرة في هذه  
المحاورة ، كما سررت بأساليبها الحلوة ومحياها الخالص ، وقررت

في عظمي بدون صعوبة أن ( محمد : سيكون أكبر محفوظ ،  
 إذا هو حصل عليها بالزواج . وكان ما بيعت على الرجاء ،  
 أيضاً ، من أجل سعدتها في المستقبل ، ان نلاحظ ان  
 ( حالية ) : الأم مدت امرأة حساسة ، إنما لم أستطع أن أفهم  
 السلوك القريب للفئة الأكبر سناً ، ( عمرا ) .

وفي نفس الوقت كان عبد الله ، الواقف على الباب ، قد  
 كون ملاحظاته ، وخلص إلى حد كبير إلى نفس النتيجة التي  
 خلصت إليها وهكذا عندما يتفهم بتأثير لنقله إلى طالب  
 لزواج الدافئ الصبر . المتشعر في الخارج .

## استبدال « يا » بـ « راسيل » :

كانت رغبة محمد الجارفة الآن تكاد أن تقصد اتفاقيات ،  
 لأنه بدأ في الحال يتحدث عن بيته في الزواج . وكنيجة  
 لذلك حدث له نفس الشيء ، الذي حدث منذ زمن طويل  
 ليعقوب بن سحاق وتقليداً لسلوك ( لابان ) واعتدداً على  
 لفظة ابن عمه على الزواج ، كان أول ما محمد ( جاري ) أن  
 زاد الشهر من أوبدي إلى شين جنباً ، ثم حاول أن يستبدل  
 ( ليث ) بـ ( راسيل )<sup>(١)</sup> ، عبر البيئة الطبع ببطرة الجنية .

(١) إشارة إلى ما حدث في الترواة . ( صبر الشعوب ) : وكنت يا  
 حالية البطرة . ولكن راسيل كانت جنية .

## مجلس عام لبحث الموضوع :

كانت هذه ضربة شديدة لأمال محمد ، ودعى إلى مجلس عام من جميع العائلة لحث الأمر وإخاذ قرار بصدده . اجتمع المجلس في خيمتنا برثامة ( ولقره ) ، وفي جانب مجلس محمد ، مع ناصر كرئيس لعائلة ، وعلى الجانب الآخر مجلس (جازي) وسعد ، ممثلين للمروس ، بينما ركب بينهما على ركبليه بنواضع رجل صغير متجعد الوجه ، ولم يكن عضواً في العائلة ، ولكنه ، كما فهمت بعد ذلك ، كان وسيطاً محترفاً وفي الخارج اجتمع الأصدقاء والأقرباء الأبعدون ، عبد الله وإبراهيم قصير ، وأكثر من ستة من آل عروج . بدأ هؤلاء بالجلوس على بعد لائق ، لأنهم بمجرد ما حى النقاش بدأوا يفترون إلى أن أدلى كل واحد منهم برأي .

## اضطراب الخاطب :

كان محمد في اضطراب تام ، وثجأ جداً ، وتولى (ولقره) تصريف قضيته عنه . وسوف تكون قصة طويلاً لو ذكرت كل شيء عن النزاع ، الذي كان أحياناً يمتد بحرارة ، إلى الحد الذي بدت المفاوضات على حافة القتل . وادعى (جازي) أن من المستحيل أن يزوح ابنته الصغرى ، في حين تظل

الكبرى غير متوقعة ، حقاً ، ان ( حامو ) محطوبه ، ولا أشكال بشأنها ، ولكن ( عسرا ) ، ولو انها مخطوبة ، كانت حرة حقاً ، فجروان ، ان مرزوقه تزوج الرأس ، الذي خطبت له لم يكن الزوج الحدير ، انه ابد ، وعسرا لن تزوجه أبداً ، وإذا صرحت فتاة أنها لن تزوج خطيبها ، فهي ليست مخطوبة ، ولا يراد لها الحق في أن تلتصق زوجاً تعجب به ، ولكن هذا لا يعني ضرب مثلاً بزواج ( حسان ) بثناء مخطوبة ، والواقعة السبئية ، كدليل على أن موافقة جروان ، السنة لعسرا كانت ضرورية ، وقال محمد بلباقة :  
 « يا بن عمي ! يا غاري ! كيف يمكنك أن أعط هذا ؟ وان أرتكب خطيئة ضد ابن عمي ؟ ان هذا حقاً سيكون عاراً علينا جميعاً »

## اصرار على خطبة ( مطرة ) :

وقصاري القول ، اننا احبنا على انه اما ، مطرة ، أو لا أحد ، فصحب غاري طلب ( عسرا ) . ومع ذلك فقد التمس 'عذراً' ، بأن مطرة لم تكن سوى مقلدة ، لم تكف قبيلج الحامسة عشرة ، وغير مهيأة جداً مثل تلك الرحة الكبيرة جداً حتى تدمر . حقاً ، أين هي تدمر ؟ من من الجوفيين قد ذهب إلى مثل هذا البعد ؟

وعلى أية حال ، فقد أجاب محمد بأنه إذا كان صغر الحن

عفة ، فسة ، أو سنان ، متكلف بإصلاح ذلك . كانت  
راضة بالانتظار سنة أو سنتين أو حتى ثلاث سنوات ، إذا  
دعت الحاجة . لقد كان ابننا لمروج ، وقد تعود على الصبر ،  
أما بالنسبة لندى ، فهي بعيدة ، ولكن ألم مات من هناك  
حالا ، أو لا يستطيع العودة إلى هناك ؟ إنه سوف يرسل  
واحداً من اخوته في الوقت المناسب ، مع عشرين ، ثلاثين ،  
خمين رجلاً لمراقبتها .

## مواقفة مبدئية . .

ووفق على مشروع الزواج في النهاية ، فيما يتعلق (بمطرفة) .  
ولكن مسألة ( التوبة ) لم يفتها منها بنفس السهولة . وهنا  
كان الأمر على وشك أن يتحطم كلياً وإلى الأبد ، كان (ولفرد)  
قد مرى أن يدفع المهر عن محمد ، ولكنه لم يقول ذلك حتى  
يسفر الأمر ، وركز محمد يكافح في مسألة الصداق حتى يتوصلون  
إلى أفضل صفقة مستطاعة . وهذا ما كان محمد قد فادر على  
التقييم به ، بالوغم من عدم ثبات قلبه ، وبثقة عبد الله به ،  
الذي ينظر إلى الموضوع بكامله بطريقة تجارية محصنة ، يمكن  
الاتفاق على مبلغ وسط ، والعصا الزفر .



## هدايا للفتاة . . وعديت عن الجراد ١١

لم تكن الأمور على أية حال ، حتى الآن لتسير تماماً  
بسكون . ففي اليوم التالي ، عندما ذهبت إلى بيت (جاري)  
ببعض هدايا صغيرة من أحلى العروس ، قابلني (جاري)  
نفسه على الباب ، واستقلني ، كما شعرت في الحال ، بارتباك  
وكذلك فعلت (حالية) لأنها هي كانت تجلس في (القهوة)  
ومعها قريب غريب . وكانت الأجوبة على اسئلي عن (مطرة)  
قصيرة ، وفي الحال تحول الحديث إلى (الطقس والهاصيل)  
أو على الأصح إلى بديل هذه الأشياء في جزيرة العرب ،  
حديث عن الجراد .

لقد كان هناك رعد عاصف هذا الصباح ، وهو ما أثار  
فينا الامتنان . انه سبب نمو الحشائش في النفود ، ولكن  
الجراد هناك لم يكن أبداً مثل كثرة هذا العام . ومرة أخرى  
سأنت عن التفشيات ، غير اني لم اطلق إجابة ، وفي النهاية ،  
تحت احساس بالنعيب ، من حديثها المقيم ، وبمناقشة صرقلت  
منجبة .

« ما هذا يا جاري ؟ انني واثقة انك - وانت يا (حالية) -  
- مسرور بهذا الارتباط بـ محمد ، فأحباب يصوت بمنزل .  
« ان شاء الله ، ان شاء الله » ، ورددت حالية : « إن شاء الله »

وكذلك فعل الغريب . ورأيت أن من الحق أن هناك شيئاً ما  
خطأ ، لأن لم يكن جواب على سؤال ، ونهضت لأذهب .  
ثم خرجت حالية ممي إلى القناء ، وشرحت لي ما حدث  
بيدو أن عمرا ، بزاجها العنيف ، كانت تقزعهم إلى درجة  
تذهب بالباهم . انها لن تسمع بأختها فتزوج قلبها ، أو ان  
تخطى بغير أفضل . انها لتحتقر ( جروان ) ولو أنه شيخ  
( كاف ) ، فأرادت أن تقزوج شيخ ( تسمر ) ، هي نفسها .  
لقد اكرهت ( غازي ) الشيخ على سحب موافقته ، و ( مطرة )  
كانت خائفة منها . وما العمل ؟ قلت : انه لا فائدة من النقاش  
في هذا مرة ثانية ، وانه إذا لم تكن هي وروحها حقاً قادرين  
على التصرف مع بناتها ، فيجب علينا أن نبحث لهد في مكان  
آخر عن عروس ، وانني مؤمنة وواقعة ان ( عمرا ) لن تكون  
حقاء إلى درجة أن تلق في طريق سعادة أختها ، لأن ذلك  
لن يحقق لها ربحاً ان طبعها السيء هذا جعل من المؤكد أكثر  
انها لن تقزوج محمد ، وباختصار ، ان على العائلة أن تصل إلى  
قرار ، نعم أو لا ، في موضوع ( مطرة ) وفي الحال ، لأننا  
كنا مفادرين ( سكاكاً ) الآن ، ويجب أن نسوى المسألة .  
وعندئذ رأيت الفتاتين ، وتحدثت لهما بنفس الشدة ، وبنأثير  
بلغ إلى حد أن محمد ، الذي كان قد أحس بمعنوية صميغة ،  
جاء بعد ساعات قليلة ، وحياء بطفح بالبشر ليقول : ان عقد  
الزواج سيوقع في ذلك الساعة .

## مساومة .. حول « المهر » ثم وفاء

وقع عقد الزواج ، اذن ، ولو ان صعوبة فوق صعوبة اثبتت حتى التحفة الاخرة ، واظهر الجميع ، الا ( ركي ) ، روح مساومة عاجزة في مسألة المهر ، غشون جنبها تركيا كان هو المبلغ الذي تقرر في النهاية ، على أية حال ، ورفض ( والفرد ) باقتضاب ان يقدم ( بشلكا ) واحدا زيادة على ذلك ، حتى ليرشو ابن عم ظهر على غير انتظار ، وعطاب بحله ( في مطرة ) أو في ما يعادها تقدا . لم تكن مشرفة هذه المساومة في الثمن ، وان الناس في انكلترا ليصمون افضل ، بتركهم هذه الأشياء لمناهبهم ليسودوها

### هفلة الخطبة :

وعلى أية حال ، فقد نظم كل شيء في النهاية ، كتب عقد الزواج ووقع ، وصار كل واحد سعيدا . ثم قضى بقية المساء في ابتهاج . ذبح جدني وأكل ، وغنيت اغاني ، وروبت قصص ، ولم تترك اقصوصة ابن عروج الشعرية كما يمكن ان يتوقع ، خارج البرذنج وناصر شاعره ، فانشد ارنجبالا قصيدة في المناسبة . وكان بين الضيوف حاخان من ( مكة ) - على الأقل هكذا سما نفسه - وبعض الرجال الذين هموا من

التعجيد الأجباري التركي في سوريا . وتناول هؤلاء الطعم مع التباين كما لو كانوا أيضاً اقرباء . وهكذا انتهت مفارقات رواج محمد . وهو سيعود في العام المقبل ( لحظة ) أو يرسل من يأتي بها ، ولكن بالنسبة للحاضر عليه ان يرضى وينتظر .

## مفاوضة أكثر أهمية :

بينما كانت هذه الترتيبات العائلية تجري ، كان بين ابينا أيضاً مفاوضة أكثر أهمية ، وكانت تلك هي الحصول على موافقة الحاكم على رحلتنا إلى حائل . كان أول شيء يجب عمله هو ان نقيم صداقة مع جوهر ، لأن كل شيء في هذه البلاد الاستبدادية يعتمد على حسن بينه ورضاء ، وإذا اختار ابن بعيداً إلى ( كاف ) عند وادي السرحان ، فإني لأعلم اننا كنا سنطيع ان تقدم أية مقاومة .

والجوف ليست مكاناً سهلاً الخروج منه . انما على بعد يزيد عن ثلثة مئيل من أقرب نقطة على القرات ، وبدون تصريح من الحاكم ليتمكن أي انسان ليخرج على ان يسافر معاً ميلاً واحداً . وعلى ذلك ، ففي اليوم التالي لوصولنا ( سوكا ) ، زونا ( جوهر ) ، الذي كان قد حذر من زيارتنا ، واصلنا في أبه .

## « جواهر » نائب الحاكم

وجوه زنجي اسود قاما ، ذو ملامح افريقية كربية ،  
طويل وممين جداً ، ومختال جداً . كان قد ارتدى الفخر  
ملابسه لاستقبالنا ، عدد من الحبيب الحريية المزخرفة واحدة  
فوق الأخرى ، وسراويل برزقة السماء - أشياء جديدة علينا  
في بلاد العرب - وعباءة سوداء ومذهبة وكوفية ( غترة )  
ارجوانية . كان قبضه قابلاً بسبب النشأ ، وتصدر عنه  
فرقت كلها تحرك ، وبدأ بشكل عام كحاًم بربري مستبد ،  
ينمى المرء مشاهدته . لقد جعلنا ننتظر عشر دقائق في القهوة  
تقريباً ، ليزيد ، كما افترض ، من امحيته ، ثم دخل خلف  
موكب من الرجال المسلحين ، وكلهم مجهزون بسيف ذات  
مقابض فضية ، وأحزمة مزخرفة بالفضة ، وكواشي ( غتر )  
زرقاء وحمراء ، مثبتة بمقالات بيضاء ثخينة وتصنع اصفاء  
جو من اللطف ، باهت نوعاً ما ، لشخصية ملكية ، متقلبة في  
الحديث من موضوع إلى آخر بدون تمهيد ، وأحياناً يطلب  
تفسيراً لملاحظاتنا أو اسئلتنا من شخص أو آخر من الحاضرين  
ولقد ادهشني كأمر محال للغاية أن اشاهد هذا الزنجي ، ولما  
يزل محاركة ، مركزاً لمجموعة متملقة من رجال البلاط البيض ،  
لأن العرب ، وكثير منهم نبلاء كرام المحند ، كانوا ينحنون

أعانه ، وعلى استعداد لإطاعة أدنى إشارة من طرف عبته  
وبعضكون لائقه نكته من نكاته .

## أحاديث عن صابغ العرب

بعد بضع خطوات من الصمت المريب ، أصبح ( جوهر ) ،  
كما قلت ، ودوداً ، وبدأ يسأل عن الأخبار . أننا قدما من  
الشمل ، وكنا قادرين على أن نخبره بكل شيء عن الحرب .  
ماذا كان يفعل ( صطام ) وماذا كان يفعل ( ابن سمير ) ، من  
الواضح ان الأخير بطل بالنسبة للجوفايين أو على الأصح لأهل  
حائل ، لأنهم لبسوا أصدفهم ( صطام ) ، ومحمد الدؤخي ،  
الشيخ ، يعتبر ( صطام ) منافساً كبيراً . وكنا صرورين أننا  
نستطيع أن نقول أننا رأينا ( ابن سمير ) في دمشق منذ مدة  
لا تبلغ الشهر .

وأخيراً ( جوهر ) عن تقرير حله مؤخراً الى سكاكا بعض  
( الصليب ) ان ( الرولة ) قد مزمت في قتال مع محمد الدؤخي  
وان ( صطام ) قد قتل . تقرير أسفا لجامعه .

## ”السلطان“ و”المسكوف“ !!

ثم سأنا ، ولكن بنقطة ذات اهتمام أقل ، عن السلطان .

لقد عقد صلحاً مع المكوث ( الروس ) ، وسر جوهر لسباع ذلك : الصلح خير ! والآن ، إن شاء الله السلطان مبسوطين ، قال هذا بلاهة عاطفية مصطنعة معاضدة ، وبرنين أغن في الصوت ، كان مضحكا الى منتهى الحد . وعندئذ دار محس نصير بين محمد وواحد من الحاشية ، انتهى بفروجهما معا ، ليسلحا الجوهر الهدايا التي جئنا بها من أجله .

## هديره \* \* ثم نصير بالسفر الى حائل

وأعتقد أن محمدا وضع موضع الاعتجواب بالنسبة لمركرة وأهداف رحلتنا ، وأجاب ، كما كنا اتفقنا من قبل أن يفعل ، بأننا ذاهبون إلى البصرة لقابلة أصدقاء ، وأتينا جئنا بطريق الخوف حتى تنجذب الرحلة للحرية . كان هذا حقا ، ولو أنه لم يكن بأية حال كل الحق ، كان حقا بالنسبة لما حدث ، وكان قصة سهلة الفهم وعقبولة من أولئك الذين رويت لهم . وأضاف محمد فوق ذلك ، أنه من حيث أنه حدث أمر غر في أملاك الأمير ، فإن السبك الانكليزي ( كان حريصا على أن يقدم احتراماته لابن رشيد في حائل قبل أن نذهب أبعد من ذلك ، ورحا جوهر أن يمنحنا الادلاء اللارمين . وكان هذا ما اقتنع الخاكم بفعله ، بعد بحث وبعض التفوق من قبله . لقد رقى قلبه بالثياب الجنية التي قدمناها له . وأعتقد أن عديدا صغيرة في شكل نفود جرى حديث في أمرها بينه وبين محمد .

## ( جوهر ) بقیم مأدبة افطار :

عندما حضرنا مرة أخرى الى مجلس جوهر ، في أعلى البيت هذه المرة ، وجدنا رجلاً زنجياً غارقاً في الابتسامات ، وان رحلتنا قد بحثت كأمير مفروغ منه . ثم مدت لبيط ، وجلست جميعاً على السطح ، وتناولنا طعام الافطار ، غداً مسلوفاً ورراً ، و ( صلصة ) لذاعة ( حريفة ) توضع على الرز ، وبعد الفصل العتد و - الحدث - انسجنا ، في غاية السرور لتخلص من الذباب والشمس الحارقة في سطح جوهر ، ولم يكن امتدادنا قليلاً لتحويل الامور لصالحنا ، وكما لاحظ ( ولفرد ) عندما استوبنا على أمهارة مرة أخرى متجهين الى المنزل ، كان جوهر صورة لسلب متقلب الاطوار ، الذي كان يمكن ، إذا كان مراحه متكدراً ، أن يأمر بقطع رؤوسنا ، واحتفال أكبر من احتفائه بامداد أمر باعداد طعام الافطار . لقد كان يومنا في سكاكا يوماً عادياً .

## مناخ بلاد الجوف وجوها

١١ يناير : - ( ١٩٨٠م ) .

كل صباح منذ أن أتينا هنا يوجد ضباب ، وليلوم ( البيت )



كما قلت ، نزل المطر غزيراً ، جاء المطر مع رعد وبرق ، وكما اعتقد ، فإن الحال هي دائماً في الغالب هكذا في هذا الجزء من العالم . واني متدهشة أن أعلم ، عند الحديث عن البرق ، انه لم يسمع أحد في سكاكا عن أناس قتلهم ، ومحمد يؤكد ذلك بقوله : ان القضية هي بينها في قديم . وبدأ مندهشاً عندما سألته ، كما اندمست من أن البرق يظن انه خطر ، ويقول : إن حوادث بسببه لم تحصل مطلقاً في الصحراء . ان هذا غريب . ان سطح التربة في سكاكا يكاد يكون رملانياً ، ويحجري المطر من خلالها بالسرعة التي يسقط بها ، ويبقى فقط في تجويفات قليلة ، حيث يوجد نوع من الرواسب صلباً بحيث يكفي لان يحتجزه .

صفا الجو بعد الظهور ، وقفنا باستطلاع صغير إلى قمة التل المنخفض خارج مزرعة ناصر والتل من الصخر الرمل ، ذو لون برتقالي من الأسفل ، ولكن عوامل الجو جعلت لونه اسود على سطحه العلوي ، وارتفاعه لا يزيد على مائة قدم ، ويشتب وحيداً ، ويسيطر على منظر تمتد ، غريب ككل المشاهد في إقليم الجوف ، وجبل جداً بالإضافة إلى ذلك . وفي الأسفل قدما عند صدر المنظر قمة مزرعة ، حوش مربع مسور مكون من ثلاثة أو أربعة هداين ، بنخيل وأثل ، ومزليه المواطنين المشين باللين ، وآبار ، بكل هذا يبدو منسقاً ومرتباً وكثير الخيرات . وما وراء ذلك ، يرى الناظر

إلى ناحية الغرب ثلاث حقول أخرى ، يقع من الحفرة  
 العسيرة ، في بركة متكسرة من الرمال والصخور الرملية ، ثم  
 خلفها ( سكاكا ) ، ذؤابات تحيطها فقط يمكن أن يرى ،  
 والكتلة السوداء للقطعة ترتفع فوقها في معلم واضح . وامتد  
 الخط الطويل لمخرج التخل إلى الجنوب ، تحتية في النهاية في  
 كتلة مشوشة من التلال الرملية . حدث هذه بقعة خاصة  
 ملاحظتنا ، لأنها حدثت معصم بداية النفود ، ليس النفود  
 الكبير حقا ، بل مجموعة من الكتلان المتعزلة فما عليه انفسا ،  
 وليست بأية حال غير شبيهة بتلك التي نمر من خلالها سكة  
 حديد (بنونيا) ور كاليه). ان طريقنا كما نعرف ، فقد عبرها ،  
 واننا سنتطرق غدا .

## 

بينما جلست احد رجلي تحضيطه لهذا مظهر لعرب ،  
 عاد (وغيره) الذي كان قد سلق إلى قمة صخرة موشية ،  
 فتوج لتل - عاد ليضربني انه انشده ، بقشا ، لقد حطبا  
 سحت ، منه وصول في منطقة الصحور الرملية ، عن <sup>7</sup> تر  
 لكناات قديمة ، ولكننا حتى الآن لم نجد شيئا الا بعض خدوش  
 مشكوك فيها ، وقليل من هذه من نفسيات بسيطة يحده.

المرء في كل مكان الصغير الرملية ، فثل حالاً وغزلاً . وهنا ،  
على أية حال ، كانت ثلاثة أحرف واضحة التكوين ( رسم  
الأحرف على ص ١٤٨ من المجلد الأول من الكتاب ) انسان  
منها بنشيمان إلى الايحية اليونانية .

وكان واضحاً ، ايضاً ، من لون الحجر انها وجدت هناك  
منذ صنف كثيرة . وعلى هذا بنينا عدداً من التفسيرات التاريخية  
تطبق بسلاكا ، وحالتها في الأرملة الكلاميكية .

## استعداد للسفر الى هائل

وعندما عدنا إلى المنزل ، وجدنا أن محمداً كان يعد الترتيبات  
الآخيرة مع جواهر من أجل رحلتنا . لقد أثار الرجل العظم  
اعترافنا على نقطة من نقاط المفاوضات ، ولكن هذه موبت  
بدعب ( أو بقطعة ذهبية ) ، وقد وافق الآن أن يرسل  
رجلاً معنا ، دليلًا محترفًا لعبور النفود .

وبدو أن هناك خطين بها يمكن الوصول الى هائل ،  
احدهما يقطع في ثلاثة عشر يوماً والآخر في عشرة أيام .  
ويقولون أن الأول أفضل بالنسبة للجمال الموقرة ، لأن الرمل  
أقل عمقاً ، إلا أن من المحتمل أن تختار الطريق الأقصر ، إذا  
كان من أجل أن نرى النفود في جزئها الأسوأ فعجب . لأن

التفود كان موضوع احلامنا طيلة هذه الرحلة ، كصحراء ليس ما يفوقها في العالم . لقد سمعنا عنها تديرير عجيبة هنا ، وعن الناس الذين فقدوا فيها . ان رحلة العشرة أيام هذه مثل شيئاً كفتي ميل ، وليس هناك الا بشران عن الطريق ، الأولى في نطاق مسافة اليوم الثاني ، والأخرى في اليوم الثامن . سيحضر الدليل جملة ، وسيحمل قربتين من الماء ، وقد اشربنا نحن أربعاً أخرى ، ليصبح المجموع ٨ قرب . وهذه سوف تكفي امهارة ، وتكفينا ، وعليها أن يكون حريصين . لقد حملت كميات كافية من الثمر والخبز ، وما زال لدينا واحد من الجديين ، لنستعمله حملاً ، اما الآخر فقد أكل كما سبق أن قلت ، ولا يمكن التعويض عنه بآخر . ان الثمرة من كل نوع يصعب الحصول عليها في سكاكا .

## اختبار بين طريقتين

واستطاع حوهر أن يحصل لنا على حل جميل من الخطة . استعمال بعض التهديد تقريباً بالأسلوب التركي

كف المطر والقمر مشع ، وعدتنا لعبور التفود شيئاً وفي بضع ساعات سنكون في طريقنا . سنحتاج الى كل قوائم من أجل الأيام العشرة التالية .

## القسم الثالث

### « النفود »<sup>(١)</sup> - بين « الجوف » و « جبه »

[ لعل أمر « صنعاء » في « الفصل - وهو الثامن من الجزء الأول من الكتاب - [إن جانب القل حذاء الكتابة عن القنود ]  
مع صوغ أحلام - التي لم تقتل - وسعدت حياء حياء من القنود  
وطبيعة أرضه - وإبلان - والحية فيه ] .

---

(١) القنود هي الكلدان لرميلية - التي تشد مساحة كبيرة في الجزيرة .  
ولعل أصل تشكيلة التي لم نقدر لها حق ذكر في التأسيس « النمود » بالهاء فحوالت  
وهذا « النفود » الذي تحدث عنه الرجال الحرة السلي من النعماء ويروى  
قديماً برمل « عالج » .

[ كنا الآن نغمر محيطاً واسعاً من الرمل المحمر غير  
 المتأبك ، غير محدود بالنسبة للعين ، متراكماً في  
 سلاسل هائلة تجري متعاقبة من الشمال الى الجنوب ،  
 تموجاً اثر تموج ، وترتفع كل منها الى مائتين او ثلاثمائة  
 قدم في المتوسط ، بجوانب منحرفة وقتن مستديرة  
 متجمدة في كل الاتجاهات بفعل اتواء الصحراء المنقلبية  
 الاموار . وفي الاساق ، بينها يجد المسافر نفسه كما  
 لو كان سجيناً في حفرة رملية خانقة ، محاطاً بأسوار  
 لاعبة من كل جهة ، واحياناً ، وهو يكذب في سعود  
 المنحدر ، يطل على ما يبدو بجزاً واسعاً من النار  
 تتصاعد تحت ريح موسمية شديدة ، وتتجدد بفعل  
 انفجار متتاد في موجات حارة حمراء صغيرة ] .  
 بلجريف

## في وداع « آل عروج » :

١٢ يناير : ( ١٨٨٠م ) .

غادرة المزرعة هذا الصباح في ضباب كثيف ، وسط

تربكات آل عروج ، لقد علمونا بلطف ، وذلك آسفين أن  
 نودعهم ، خاصة تركي وعربي ، ولو لنا أصلاً غنية أمل -  
 بعض الشيء ، في توقعاتك عن العائلة بصفة عامة ، فالرغم من  
 كرم عهدهم وتعاليدهم الجدية ، فإن لهم نقائص غريب المدينة  
 بالنسبة للتقود

## في انتظار هدايا .. ١ :

وكان صدمة شعورنا أن ، نصرأ ، مصيف ، توقع مدية  
 صغيرة في شكل تقود عند رحيلنا ، اسمياً ليس ، ولكن في  
 الواقع وبدون شك له هو نفسه ، ان شيئاً من شيوخ الصغراء ،  
 مها كان فقيراً ، لن يصح في جيبه مجيباً ، والمكان ، أيضاً ،  
 طلبوا هدايا ، إذ طلب الأكبر مطلقاً ، لأن واحداً من قد  
 أعطى لأخيه ، والأصغر حرم ، لأنه كان يسيء للعمل معطفاً ،  
 وحده أعضاء آخرون في العائلة بمصاب صغيرة مملوءة نمرأ أو  
 شيئاً يحملوه في أيديهم ، في شكل اقرايين اللوداع ، ثم  
 تريثوا انتظاراً لشيء مشابه ، وكان كل هذا بالطبع عادلاً ،  
 وكن سرورين أن نجعلهم سعداء بتقودنا ، ولكن قل أنت  
 بمناسبة مع المواظف الجميلة التي اعتادوا أن يعبروا بها بمساة  
 وبدون مأساة ، عن واحيات الضيافة ، وغيثات أمال كهده  
 يجب أن تحدثل ، وأن تحدثل ببتماج ، لأن الناس ليسوا  
 كاملين في أي مكان ، وانسافر ليس له حتى أن يتوقع في الخارج

أكثر مما كان ميلتي في وطنه. ففي المجترات ربما لم تكن لتقبل  
على الإطلاق ، بينما كان الترحيب بنا هنا صادقا تماما منذ  
البدية ، مهما تكن الفكرة لللاحقة ( الطارئة بعد ذلك ) .

## قبرت الوداع :

وهكذا قبلت ، ولفردت الأقران جميعاً ، وتبادل معهم  
وعود حسن النية المتبادلة وأمال اللقاء ، وذهبت إلى الحرم  
لأودع بقبة المائدة ، لحسن الحظ لم يكن متوقفاً حتى أت  
أقبلن مبكراً ، ثم انطلقنا في طريقنا

## ثم انطلقنا في طريقنا :

امتد دربنا في اتجاه الجنوب فوق تلال رملية رأيناها  
أمر ، وهي الآن تحجب عن نظركم (مكاك) وأحراج نخيلها ،  
ومرة أخرى بقصعده إلى جامعنا اسفرة المكونة من ثمانية  
أنفس ، مع راضي دلبنا الجديد ، ومرنا باعندال في الطريق  
إلى حائل . هذه الكتيبان الرملية ليست حقيقة هي النفود ،  
وهي شبه كثير ما يمكن أن يشاهد في أي مكان من الصحراء  
في الصحراء الكبرى مثلاً ، أو في بعض أجزاء من شبه جزيرة  
سبناه . انها جديرة بالتصوير ، من حيث كونها من الرمل  
البيض النقي ، بين خمسين إلى ١٠٠ قدم ارتفاعاً ، تتداخل  
بينها مسافات ذات أرض أصلب ، وهي مغطاة بالنبات .



ويتمو الفضا هنا بحيث يصير شجرة ذات جذع رفيع ملتوي ،  
أبيض تقريباً ، وورقة ريشية غبراء .

قابلنا بعض الرعاة مع قطعانهم ، أرسلوا هنا من المدينة  
للرعي ، وجماعات من النساء يحسنن خطياً .

## عود الى محمد وعروسه :

سلامة محمد كثيراً جداً طيلة الصباح ، محدثه إلى هؤلاء  
الخطابات . لقد دبر أن ينال لحة من عروسه المنيقة وأخذها  
قبل أن تبدأ السر ، وهو يتخيل نفسه في حب قانط ،  
ولو أنه لا يستطيع أن يقرر أية الاثنين يفضل . فاحياناً  
هي مطرة ، كما يجب أن تكون ، وأحياناً الاخرى ، لا لسبب  
أوجه ، في مبلغ عفتنا ، أكثر من أنها أطول وأكبر سناً ،  
لأن لم ير وجهها . وأظهر حديثه اليوم مع الخطابات مذاجة  
في الحفل ، لم يربأ أحداً فيها . كان يركب منطقاً كلها رأى  
جماعة من هؤلاء النساء ، وعندما يلحق به كنا نجده في الغالب  
في محادثة جادة مع أكبرهن سناً وأقبحهن خلقاً في موضوع  
قلبه . وسيداً في سؤالهن ما إذا كن من (سكاكا) وسوف يدور  
في الحديث إلى أسرة ( ابن عروج ) ، وإذا وجد ان النساء  
يعرفنها ، فسوف يسأل بفضول : كم توجد في بيت (جازي) ؟ وما  
إذا كن متزوجات أو غير متزوجات ؟ ثم سوف يلجأ إلى انه  
سمع ان الكبرى جميلة جداً ، وسوف يسأل باحتراس عن

الصغرى ، منشوباً واقفاً إلى الكشف عن انه هو نفسه  
 ( ابن عروج ) من ( قديم ) ، وانه خطب آية واحدة من غير  
 المزوجات ، التي بدا ان النساء قد أطربنها في وصفهن . وهذه  
 لطريقة فقد عطف تماماً حول الاختين ، أحياناً بتخييل انه  
 أسعد الرجال ، وأحياناً ان ( جازي ) قد خدعه بإعطائه أقل  
 ابتغية قيمة . وفي مثل هذه المناسبات كان يلتفت إلى " ويرجوني  
 أن أكرر للمرة الثالثة وصفى لفضائل مطرة " الذي سيجزيه  
 حتى يقابل أي انسان لتثور شكوك في عقله .

## ( قارة ) احدى قرى الجوف

بعد سفر ثمانية أميال خلال كثبان الرمل ، خرجنا فجأة  
 إلى قرية ( قارة ) وهي آخر ما سوف نرى لأيام كثيرة .  
 وتسيطر عليها رابية صخرية عليها " خربة " .

وهي تحتوي على سبعين أو ثمانين منزلاً . وخرج النخل  
 المحيط بها جذير بالأعشاب لنخله وأثله .

انقشع الضباب وصارت الشمس حارة بما يكفي لجلوسنا  
 نشرب بالبهجة أن لجلس بضع دقائق تحت السور الطيني الذي  
 يحيط بالراحة .

خرج بعض القرويين ودار حديث قصير عن ( قارة )  
 وشيخها ، بينما كانت أمهارة نروي من بئر قريبة . اخبرونا

اننا سنجد نغم ( الرولة ) ليس بعيداً في طريقنا ، لأن إبلهم تروى من نفس هذه البئر . وفيما سلف كانت ( قارة ) مثل ( الجوف ) و ( سكاكا ) ، اقطاعية لابن شعلان ، وما زالوا يدفعون اقاوة صغير ( لصطّام ) ، ولكمهم بدورهم يعملون البدر يدفعون من أجل الماء .

ليس هناك خطر مهاجمة ( الرولة ) أو غيـرهم لنا ، لأنـ الآن في بلاد ابن رشيد ، حيث قطع الطريق أمر عسير مسموح به . كان القاربتون كرماء في عروضهم لاستضافتنا إذا كنا سنلجئ في ( قارة ) ، إلا أنه لم يكن في مكان من شيء مثير بما يكفي لتعويقنا ، وعلى ذلك فقد واصلنا سيرنا ...

إنها كالجوف وسكاكا ، تحتوي على قلعة خربة على تل منخفض ، ولكن الاطلال الآن ليست أكثر كثيراً من أساسات لأسوار صخرية قديمة بنيت من غير ( سميت )

## السفر من ( قارة )

بعد مغادرتنا القرية توفت غير طويـل ، صادفنا جماعة من الرولة مع عدة مئات من الإبل قادمين إلى ( قارة ) من أحسن الماء . كانوا غير مسلحين ويسهرون مسابح كما يفعل الفلاحون في إيطاليا . احبرونا ان نجيبهم كان خارج طريقنا وبعيد جداً ، لأن نسلعه القية ، ولكننا سنجد بُـنْـثَة بن شعلان ، ابن

عم ( صظام ) قريباً من ( بشر شقيق ؟ ) مورد ريتنا غداً .  
 انه لبرهان واضح على استتباب الأمن في البلاد ان تجد  
 جماعات من القرويين ، كما وجدنا الآن ، في كثبان الرمال وراء  
 ( قارة ) بأسيال كثيرة ، مع كل هؤلاء البدو . إلا انه يبدو  
 حقيقة وجود الدون والنظام في حكومة ابن رشيد .

بعد استمرارنا في السير ساعتين أخريين ونصف ساعة في  
 أرض متكررة اتجهنا أخيراً الى مرنقى واقف الانحدار نرتفع  
 - عند صعودنا له - على انه اقصى طرف لمنخفض (سكاكا) ،  
 وفوقه وحده أنفسنا في سهل حساوي .

## وصف ( جيولوجي ) للجوف وما حوله

ان المنظر من هذا الطرف ، وأنت تنظر الى الخلف ، كان  
 مدهشاً ، وقدم لنا في الحال فكرة عن ( جيولوجية ) المنطقة  
 كلها ، حوض (سكاكا) الكبير بتلاله وانحلال الرميّة ، وسلسلة  
 التلال الطويلة التي تقع الواحة فتحها وسلسلة جبل ( الحمامية )  
 أيضاً ، كلها مجرد جرر في الحوض ، وهو يبدو بالإضافة الى  
 ذلك انه يضم الجوف وكذلك القرى الشرقية في المحيط الرئيسي  
 له . و (ولفرد) الآن لديه شك قليل في ان (سكاكا) والجوف  
 هما حقاً الذيل ، كما كان الأمر بالنسبة لوائي السرحان أو على  
 الأصح رأسه ، لأن من المهم أن يكون الكل في شكل شيء .

ما ، يشبه حيواناً مائياً كالضفدع (أبو ذنية) ، وهذه النقطة هي أنفه .

ان ( الحمار ) أو السهل حيث كنا الآن ، أعلى من (قارة) و(سكاكا) بـ ٣٥٠ قدماً ، أو ٢٢٢٠ قدماً فوق سطح البحر . وهو مستو تماماً وخال من النباتات ، امتداد مسطح أسود من ربة حصارية منقطاة بحصى صغيرة مدورة ، يمتد الى الجنوب الغربي حتى الأفق ، ولا يشبه أي شيء في الحوض الأسفل . اندمجتنا كثيراً أن نجد سهلاً مفتوحاً كهذا أمامنا ، لأننا الآن لم نتوقع شيئاً غير الرمال ، ولو أننا لم نستطع أن نראה ، إلا أنها لم تكن بعيدة ، وهذا فقط كما لو كان شاطئ النفود الكبير .

## ( النفود ) من جديد :

وفي الساعة الثالثة والنصف ( بعد الظهر ) رأينا خطاً أحمر على الأفق أمامنا ، انتصب وتجمع عندما اقتربنا أمامه ، وامتدأ الى الشرق والغرب في خط غير منكسر . وربما ظن في البداية انه من تأثير السراب ، ولكن عند الاقتراب منه أكثر وجدناه منكسراً الى موجات عظيمة ، وفيما عدا لونه الأزرق فلانه غير بعيد الشبه ببحر عاصف يشاهد من الشط ، لأنه يعلو ، كما يبدو أن البحر يعلو ، عندما تكون الأمواج عالية ، فوق مستوى سطح الأرض . وهتف شخص ما :

« النفود » ، ا ومع أننا كنا لبرهة غير مصدقين ، فأتنا اقتننا بسرعة . ان ما أدهشنا هو لونه ، الذي بنون ( الراوند ) ، و ( الخنثيا ) ، والذي لا يشبه أبداً أي شيء من الرمال التي رأينا حتى الآن ، ولا أي شيء توقعناه . ومع ذلك فقد كان النفود ، صحراء أواسط بلاد العرب الحراء . وفي بضع دقائق كنا قد وصلنا غيبها بها وكانت أمهاتنا تلف بموافرها على موجاتها الأولى .

## عن خصائص ( النفود ) الطبيعية

١٣ يناير : ( ١٨٨٠ م ) .

لقد كنا كل طيلة اليوم في النفود ، وهو متبر للاهتمام فوق ما أملنا ، وساحر فوق الحد الذي توقعناه ، وهو الى جانب ذلك ، مختلف تماماً عن الوصف الذي أتذكر أني قرأته عن ( النفود ) لفسر بلخريف ، والذي يؤلف في المرء كتابوس لرعب مستحيل . صحيح انه عبر النفود في الصيف ، ونحن الآن في منتصف الشتاء ، ولكن السمات الطبيعية لا يمكن أن تتغير كثيراً بتغير الفصول ، ولا أستطيع أن أفهم كيف تفاض عن خصائصها الرئيسية . ان الشيء الذي يدهش المرء عن النفود لأول وهلة هو لونها . انه ليس أبيض ككتابات الرمل التي مررنا بها أمس ، ولا أصفر كما هو الرمل في أجزاء من الصحراء الحرية ، ولكنه في الواقع أحمر فاتح ، قمرزي تقريبا في

الصباح حين يكون ندياً بالطل . إن الرمل خشن نوعاً ما ، ولكنه نقي قاماً ، لا تخلطه أية شائبة من عنصر أجنبي ، حصاء ، أو حصى ، أو طين ، وهو في نفس التكوين والصبغ في كل مكان .

## نبات ( النفود ) الفضا ، والارطى :

وان خطأ كبير أن نفترض ان نجيب ، فالنفود ، على العكس ، أوفر بالأشجار وأعني بالكلام أي جزء آخر من الصحراء مروجاً به منذ أن ترك دمشق . إنها مكسوة بأحبات الفضا في كل مكان . وأحبات من نوع آخر يسمى « بالارطى » التي هي في هذا الوقت من السنة حيث لا أوراق بالضغط . مثل كرمة كثيفة التعريش ان هروعها ذات العقد وحدها لا يلبث بعطيتها إلى درجة كبيرة ، منجراً ، تطوي عليه قصة عن ابا كانت في الاصل كرمة . بقول راضي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء ذات يوم إلى مكان يوجد فيه حائط سب ، فوجد بعض الفلاحين يشدون أشجاره . فسألهم ما كانوا يصنعون ، وما كانت تلك الشجيرات . وخوفاً من سحقه أو طمسا في الصحرة به أ- أبوه . بأبها شجرات ، الارطى ، وكاد ، الارطى ، هو أول اسم فغر إلى أذهانهم . فرد عليّ **الخبز** : « ارطى ان شياء الله ، فلتكن ارطى إذن » . وعند ذلك اليوم توقفت عن أن أكون عباً ولم تحصل قرأ .

وإلى جانب ذلك توجد أنواع عديدة من كلاً الأبل ، خاصة نوع جديد بالنسبة لنا يسمى العاذر ، الذي يقولون إن اللغم يمكنها أن تعيش عليه شهراً بدون أن تحتاج إلى ماء ، وأكثر من نوع واحد من الحشيش. ومن أجل ذلك فقد سرت كل من الأبل والامهار بالمكان ، وابتهجنا نحن بوفرة الوفود من أجل مخيلاتنا .

## الحياة في ( النفود )

ويقول ( ولغرد ) أن النفود قد حل له في النهاية السر الغامض لتربية الخيل في أواسط بلاد العرب . ففي الصحراء القاسية لا شيء هناك يمكن للخيل أن تأكله ، ولكن هنا يوجد الشيء الكثير . ان النفود بفسر كل شيء . فبدلاً من أن يكون المكان الموحش الذي وصفه عدد قليل من الرحالة الذين شاهدوه ، هو في الواقع موطن الدو أثناء حزم كبير من السنة . ان حاجته الوحيدة هي الماء ، لأنه لا يحتوي إلا على آبار قليلة ، وعلى طول أطرافه تشتد كثافة السكان .

ريخبرنا راضي أنه في الربيع ، حين تخضر الحشائش بعد المطر ، لا يتم الدو الماء ، من حيث أن أبلمهم تكون حنوبة ويعيشون أسابيع بدونه ، يحبون موغلين في الحزم الداخلي من الصحراء الرملية .



# المنخفضات في ( النفود )

كان سفرنا طيلة اليوم خلال النفود ببطء ، وشغلنا أنفسنا بدراسة ملامحها الطبيعية . وبدأت لنا من أول نظرة فوضى شامة ، ومكونة هنا ومجوفة هناك ، وسلاسل وتقاطيع سلاسل ، وعقد آكام كلها في اضطراب كلي ، إلا أننا بعد سيرنا بعض ساعات بدأنا نكتشف اطرادا في عدم النظام ، نحن مشغولون بمحاولة تلميح . ان أكثر ملامح النفود اشارة للبعثة هي التجويفات الصغيرة لها شكل حافر الحصان ، وتنتشر في كل مكان ! وبسببها راضي قلجيا ) . وهذه ، ولو انها تختلف في الاتساع من قدان إلى قناتي قدانت ، جميعها متشابهة في شكلها واتجاهها بكل دقة .

انما تشبه بالضبط أثر حافر حصان بدون حذوة ، أي أن حزة مقدمة الحافر حادة وعمودية ، بينما ان حرف الحافر يستند تدريجياً الى لا شيء عند الكعب ، وكلوة الحافر رغم أنها تقريبية إلا أنها بمثابة في المركز بأرض منكسرة ، مكونة من تلاقي مجاري المياه . ان قطر بعض هذه - الأقلاج - يجب أن يكون على الأقل ربع ميل ، وعمق أحملها ، وهو ما قمنا بقياسه اليوم ، أثبت أنه ٢٣٠ قدماً ، وذلك يحيطها تنخفض تدريجياً الى مستوى السهل الحساوي الذي عبرناه أمس ، والذي يستمر تحت الرمال مع احتمال قليل للشك في هذا ..

ويبدو هذا أكثر احتمالاً ، من حيث أننا وجدنا في قاع أعرق (فلج) ، ودون أي مكان آخر ، قطعة من الأرض الصلبة .. كان أعرق ثاني - فلج - قسماً مائة وأربعين قدماً فقط ، وكان مع ذلك رملياً في أوطأ نقطة منه ، أي تحت نقطة كلوة الحافر فقط . ومع أن القرية المكونة لجوانب الأفلاج وكل جزء فيها هي من الرمل الخالص ، وأن السطح المباشر من الحتم أنه في حالة انتقال مستمر ، فإن من الواضح تماماً أن التخطيط العام لكل منها بقي سلباً ، وربما قررنا ، بلا تغيير ، والبيات يثبت هذا ، لأنه ليس نقراً حدث بالأمس ، ولأنه يغطي الأفلاج كما يغطي غيرها . وفوق ذلك ، فدليلنا الذي سافر في النفود جيئة وذهاباً أربعين سنة ، يؤكد أنها لم تتغير . وما من عاصفة رملية تقلق قط التجويفات ، أو تذهب بالحواف . وإنه لم يعرفها جيباً ، وقد كان يعرفها منذ أن كان صبياً . ولقد خلفها الله هكذا ، ١١ .

## تعليق تجويفات (النفود) :

وعلى أية حال ، فقد كانت والفرد .. يبحث عن نظرية طبيعية لتفسر تكوينها - أي الأفلاج - ، ولكنه لما استطاع بعد أن يقرر ما إذا كانت راجعة إلى فعل الريح أو الماء ، أو إلى عدم التساوي في الأرض الصلبة تحتها . ولكنه الآن

يحيل الى نظرية الماء . وربما يستطيع أن يقول عنها أكثر فبه  
بعد ، عندئذ تكون قد رأينا كثيراً منها ، ومن أجل ذلك  
فما احتفظ بملاحظاتى .

لقد سافرت يوماً بطولها ، وكنت في السبر في الرمال التي  
تفوق فيها أخفاف الابل حتى الريح ، والآن قد حان الوقت  
لأن نهتم بأمر ( حشاً ) الذي هو مشغول بالضيغ . ان ارتفاع  
خضبتنا ٢٤١٠ قدماً ، ولكن أعلى مستوى عثرناه خلال اليوم  
كان ٢٥٦٠ قدماً . لم نشاهد أحداً طول اليوم إلا واحداً من  
الرولة على ذلول ، أخبرنا ان ممكراً يوجد على يسارنا .  
بحشاً عنه ، ولكنا ميزنا فقط جملاً على مسافة كبيرة .

١٤ يناير : ( ١٨٨٠م ) .

صباح آخر مشرق وضاح ، ولكه مع ربيع باردة من  
الجنوب الشرقي . لا شيء يمكن أن يكون أكثر إشراقاً  
ونزهياً من شمس الشتاء عندما من هذه الرمال الحمراء . ها  
هي - الأفلاج - مرة أخرى موضوع المناقشة . اننا نجد أنها  
جميعاً تشير الى نفس الاتجاه ، أو تقريباً هكذا ، أي باتجاه  
مقدمة حافر الحصان نحو الغرب ، ولو أن جزء النبل الأشد  
الحداراً يختلف قليلاً ، مع كون المظهر الحدودي أحياناً وأحياناً  
المظهر الشمالي أكثر وعورة من ذلك المواجه للشرق . وهذا  
يبدو أنه إشارة إلى الريح أكثر من الماء كسبب أصلي  
للاتخفاض . وفوق ذلك ، على طرف - الأفلاج - الكبيرة

يوجد بصفة عامة رابية مستطيلة من الرمل ، ذات رأس ،  
كأنذي يراه المرء على رأس قمة تلج ، ومن الواضح أن تسبب  
عن الريح ، من حيث أن الجزء المحبوب عن الريح ذو انحدار  
فحاشي حاد والجزء المعرض للهواء مستدير .. ويبدو أن هذه  
تتغير بتغير الريح وهي بصفة عامة عديدة من السات ، ورمليها  
أخف صفرة مما عداها ، وهو أمر فريد يمكن للمرء أن  
يؤمن وجود فليج عميق عن بعد كبير ، بوجود واحدة من هذه  
الآكام ذات المظهر الثلجي على الأفق . ومن البادر أن يستطيع  
المرء الرؤية البعيدة في النفود ، من حيث أن ، انما بكيدة صاعداً  
أو هابطاً منحدرات رملية ، أو برحف كمرية ذات حصان  
واحد حول حافات هذه الأحواض الكبيرة ، والأرض بصفة  
عامة على درجة من الاستواء ، فقط حول المنخفضات والمرء  
يذهب من فليج إلى آخر من أجل أن يستفيد من المستوى ..  
ولقد صعدنا إلى رأس واحدة أو اثنتين من أعلى القمم الرملية  
ومن فوق واحدة منها استطعنا أن نغير صفناً من التلال على  
بعد حوالي ١٥ ميلاً إلى الغرب - يحيط غروب ، مع رأس  
منعزل إلى ما وراءها ، عرفناه كـ ( رأس الطوبى ) شيء  
دللنا عليه يوم وصلنا الجوف . ومن هذه الارتفاعات أيضاً  
استطعنا أن نلاحظ وضع الأفلاج ، ونرى أنها تتوالى الواحد  
بعد الآخر في صفوف ، ليست دائماً في خط مستقيم ، بل كما  
يتجه راد متعرج تمرجاً لطيفاً . وهذا ما حملنا نذكر مرة  
أخرى في نظرية الماء .

ويظن والفرد أنه ربما يوجد التحدار تدريجي في التسلل تحت الرمل ، وأنه حينما ينزل المطر ، كما يجب أن يحدث هنا أحياناً ، يتسرب خلال الرمل إلى الأرض الصلبة ويجري تحت الرمل على طول وديان ضحلة متعرجة ، وأن الرمل بهذه الطريقة ينزلت باستمرار بالتدريج إلى المنحدر ، وحينما يوجد التحدار في السهل من أسفل ، هناك يحدث انفلاج قوته .

إن هذا الرأي يستند ما لاحظناه من الأماكن الجديدة ، حيث يحدث مثل ذلك ، لأنها دائماً تنحدر إلى الغرب . ويؤكد لنا راضي أن الماء لا يتجمع قط في الانفلاج حتى بعد المطر أنه يجري إليها ثم يختفي .

## حول خصائص بعض القبائل

وبينا كنا نبحث هذه النقط المتعلقة بالتاريخ الطبيعي ، شامداً فجأة ابلا رعى في حافة تلج لا يبعد نصف ميل أسفل منا ، فامتطينا أمهارة على عجل شديد ، لقد اخترعت عصاية فمكنني من الركوب بسرعة ، ومنذ حادثة الفوز في وادي السرحان ، ما زلنا حريصين على الاحتراز من الأعداء والتحدروا راكبين لتروى ما أمكن رؤيت ووجدنا في الحال ستة - نصف دوزن - من الناس ، رجالاً ونساء ، في تلج ، وعددأ آخر من الأبل رعى قرب خيمة . كانت الخيمة مجرد

ظلة مع خفية لها ، وبمجرد ما رأوة أسرع النساء إلى قلمها ، في حين اندفع الرجال إلى أقرب الجبال وأثأخواها . من الواضح أنهم كانوا في خوف ، وبسرعة كبيرة تم كل شيء إلى حد أنه في الوقت الذي وصلنا إليه كانت الحيمة والأثأا ، مثلما وجد ، قد حملت ، وأصبحوا على استعداد للذهاب .

إن العرب يفخرون بقدرتهم على قلع نخج ، والسر عند اخطار مدته لحظة تقريباً ، وفي هذه الحال أظنه لم يكده يستغرق ثلاث دقائق . وهذا أنهم فوجئوا وصاروا في حيرة من ظهورنا حينما تقدمنا ، وفي البداية قالوا أنهم ( رولة ) ، ولكن عندما لحق بنا أصحابنا اعترفوا أنهم من ( الحوييين ) قبة فقيرة يحترقها البدو وتحمل نفس الميزة التي يحملها ( الصلّاب ) وعلى أية حال ، فقد كانت أعيننا غير قادرة على تمييزهم من البدو الآخرين .

سألت د محمداً ، بعد هذا ، كيف أن كل قبيلة في الصحراء يسهل على أفراد من قبيلة ، أو قبائل أخرى ، معرفتها بهذه الطريقة ، فأخبرني أن كل قبيلة لها خصائص في اللبس والملاصع معروفة جيداً للجميع . وعلى ذلك ، فشر ( بصفة عامة طوال ) و ( نسبة ) قصار جداً ، إلا أن رماحهم طويلة . ورماع ( الرولة ) أقصر وجوههم أصفر و ( شمر نجد ) يلبسون عباءات بيضاء ، و ( حرب ) سود الوجوه ، كالعباءة تقريباً ، حدثني محمد بنفاهيل أخرى كثيرة بالنسبة للقبائل التي لا

أذكروها . وقال ان راضي عرف ان هؤلاء الناس من  
 ( الحواريين ) مباشرة ، من خيبتهم الحقيقة البائسة . ثم ذكرنا  
 كيف خدعنا في العام الماضي بالفزو الذي واجهنا في ( الهام )  
 في اليوم الذي لقينا ( جدعان ) لقد كان توفيقاً - كما صرح -  
 ان شيئاً غير ملائم لم يحدث آنذاك ، لأننا اكتشفنا منذ ذلك  
 الوقت أن لكسة الأشخاص الذين ذهب (ولفرد ) اليهم راكناً  
 لينحدث اليهم ، كانوا في الواقع غزاة من ( المهارات ) ،  
 برأسهم ( رجاء ) معه ، شيخ بطن ( الأرفدي ؟ ) من  
 تلك القبيلة ودخل ( رجاء ) بعد أسابيع ليست كثيرة  
 إلى ( تدمر ) ليشتري حنطة ، وأقام يومين في بيت عداقه ،  
 وعرف به الرجل الذي كان مع ( اليك ) في ذلك اليوم .  
 ان هؤلاء ( المهارات ) كانوا يبحثون الطريقة التي سيهاجمون  
 بها قافلتنا عندما ركب ( ولفرد ) اليهم ، وحقيقة أنه حينما  
 قام بذلك وحده جعلهم يتصورون أن قافلتنا كانت قوية ،  
 وهكذا قرروا أن يتركوا وشأننا . . أصبح محمد ر ( رجاء )  
 الآن صديقين ، فقد قدم رجاء ل محمد عند انصرافه صفراً ،  
 وقدم له محمد هدية غريبة ، كفتناً ! ويوضح محمد أن  
 الأكفان بقدرها البدر كثيراً ، وهذا الكفن بالذات صنعه  
 أم محمد .



## حليب (الابل)

بعد هذا مباشرة أتينا الى نخيم ( الرولة ) ، على الأقل نخيم لميهم . لم يكن الرجال زوجاً ، ولو أنهم كانوا شديدي السود وقبيحي المنظر . أوضحوا لنا أنهم يملكون لبث ابن شعلان ، ابن عم ل ( صطام ) . ورئيس القبيلة الآن في ( النفود ) . أعطوة بعضاً من حليب النياق الطارج . وهو أول ما ذقنا هذا العام . ثم بدأنا ننحدر الى واد طويس تقاطع هنا مع ( النفود ) ، وفيه تقع آبار ، شقيق . بالقرب من واحدة من هذه نحن الآن ، نخمين على قطعة من الأرض الصلبة ، تحت أول موجة من رمل ما وراء الآبار

## على آبار ( شقيق ) :

هناك أربع آبار معروفة باسم ( شقيق ) ، الأولى حيث نحن الآن وأخرى قريبة منها ، وثلاث أخرى ، على مسافة ثلاثة أو أربعة أميال في أماكن متفرقة من الوادي . وهي جميعاً ، كما سمعت ، على نفس العمق ، ٢٢٥ قدماً ، ومن الواضح أنها قديمة لأن هذه الشر مطوية بصخور منحوتة ، وأطرافها منتهزة من طول استعمال الحمال في سحب الماء ، وبوجد ، هنا ، على أية حال ، بكورة خشبية صغيرة من أجل أن يمر



عليها الجبل ، وهو رتيب ثابت غير متبدل كثيراً في الصحراء ، حيث كل شيء قابل للتقليل أو التزديد . فأي جبل أو دلو لن يكون له فرصة البقاء أسبوعاً في أية بشر . كان هناك جبل ميت قرب البئر ، ومنه كان لسران وكلب ينهشون ، ولا شيء آخر ذا حياة كان هناك .

وبينا كنا نلقي نظرة على حبالنا ، وتعجب فيها إذا كنا نستطيع أن ندير . بلم التوارد معاً ، لنصل إلى الماء ، أقبلت فرقة من الجمال نحواً متهادية تحب في مشيتها ، ورءوسها ممتدة وأخفافها تضرب في الهواء ، ويلعبها بعض الرجال على ركائبهم الدلول . واتضح أن هؤلاء من قوم ابن شعلان ، وأحدهم ، وكان ذلك مفاجأة مارة لنا ، رجل يسمى (راشد) عرفنا كأصدقاء قداماء ، كنا قابلناه في العام الماضي في خمير ( الرولة ) في ( الحصيل ) في الشمال الأقصى . قال إنه جاء مع ( أبو جديلي ) إلى خيمتنا وأتانا لتذكر المناسبة قاماً . إنه لأمر ماز أن تفكر في العثور على أصدقاء في مكان كهذا ، وأنه ليظهر السعد الذي تتجول فيه القبائل أثناء السنة . إن ( حصيل ) على بعد خمسة ميل من ( شقيق ) .

## حديث عن بنية بن شعلان :

وفي الحال عرض راشد أن يفتح لي كل الماء الذي أردته ، لأنه كان لديه حل طويل معه ، وشربت كل الجماعة القهوة ،

وأكلت قمرًا ، وكان بينهم ابنا ( بنية ) ، محمد وأسمد ،  
والأكبر شاب خجول حلف ، بينا الأصغر ، في التاسعة من  
عمره ، غلام صغير لطيف . ولله أودعنا رسالة شكرًا إلى  
أبيه . وبنية بن حنيفة بن شعلاء وهو شيخ قسم كبير من  
( الرولة ) ، نفس الشخص الذي سمعنا في العام الماضي بأنه  
استقر في نجد . وهو على علاقة سيئة مع ( صطام ) بسبب  
المهر الأدم الذي أخذه منه ( صطام ) بالقوة ، منذ بضع  
سنوات . ان الطفلين لم يكونا قد رأيا أوريا قط في حياتها ،  
ولم يذهبا شمالاً إلى أبعد من ( وادي السرحان ) . نود كثيراً  
لو زورا ( بنية ) ، ولكن خيامه على بعد أميال كثيرة خارج  
طريقنا ، ولا لجرؤ على الاستهانة بالنفود .

## مُساهمة ( حوار ) :

اليوم ولد حوار يخوار البراء ذهبت لالقي نظرة على الخلق  
الصغير الذي ترك وراء أمه ، وسيفت بنية الأبل إلى منزلها ،  
لاحظت أنه لم يكن لديه هذه الأماكن العارية ( الثقافات ) التي  
تصاب بها الجمال الأكبر سناً على ركب وفي صدرها بسبب  
بروك ، كما لاحظت أن ركبته كانتا مرضوضتين من جراء  
جهد السهول . ساعدته على أن يقوم ، وفي ثلاث ساعات من  
الزمن كان قادراً على أن يعدو مبتعداً عن أمه .

# جهد في السبر ونوفر للماء :

١٥ يناير : (١٨٨٠م).

عندما بظرت ، هذا الصباح خارج الحنية ، رأيت حالة  
حول القمر ، وظننت ان مطراً سينزل ولكن خطأ كهذا لم  
يأت ، ولو ان السماء كانت مليئة بالغيوم والتهار حاداً رطباً ،  
بذلنا جهداً كبيراً لكي نبدأ سبراً مبكرين ، ولقد كان هناك  
قدر كبير من « يا لله ، يا لله » يصرخ بها محمد ولم تكن نليجتها  
كبيرة ، لأن الرجال قد كانوا يحتفلون بعبورنا ( الفرد ) ،  
الذي بدأ يوم « أولية - لي تجدي . وكانت النتيجة ان  
أصبحوا كثيرين ( وخير ) وبطيئاً . وفي الساعة « التي  
( والفرد ) فيهم خطية عن طبيعة الرحلة الحادة التي كنا نقوم  
بها ، وحالت الامثال من الرمل العميق التي علينا ان نمررها ،  
وعن ضرورة توفير كل قوة لهذا الجهد . رأسيين سرعة قل  
أن نستطيع ان نأمل الوصول الى « مشة » في طرف حمة  
أبام . وربما ستة أو سبعة ايام من هذه موفرة كحفاظتنا عند  
عبرت ( الفرد ) عند هذه النقطة ، إذا كان لنا ان يصدق  
( راضي ) ، فإذا اهتدت قوى الجبال ، فلي تكون هناك  
وسيلة للحصول على مساعدة « كلا ، ولا نجد أية بشر بعد ،  
( شقيق ) . وعلى ذلك فقد « عبدالله ( شيخنا للماء ) مع  
أوامر ان يورعه التفسير في احرامات « هذه ، وألا يسمع

لأي شخص ان يشرب أثناء النهار . ان العرب كالأطفال فيها يتعلق باللحم والشراب ، يأكلون ويشربون طـول اليوم اذا وحدوا الفرصة ، ولا يتركون شيئاً للقد . لكن اسرافهم يـكـن فقط ان يفتح كارتة ، وانما لنظن ان عباد الله وكذلك محمد متأثران بالموقف هناك شيء ما في هذه الأندلس العظيمة ينير الوفاة والخشوع ، حتى النفس لأشد الأرواح وعشية ، ولقد بدأنا سيرتنا اليوم بأسلوب منظم جيداً .

## ( راضى ) الدليل الجديد

برهن راضى ، الدليل الصغير ( راضى يعني المشرق ) :  
 على انه كان كسباً عسيفاً لجماعتنا ، ويرغب في ان يعلينا كل أنواع العنومات عندما كنا سأل ، ولم يكن مهذاراً عجولاً .  
 انه شيخ صغير عربي ، أحمر وأسود ، وذليل ، كلبانيا المينة لأحراج الأرملة التي براها المرء هـما ، عود عائم يتناذفه ( الفود ) . ابنه ذووله يضطجها معه ، ليس من اعظام العنيفة التي تبدو كما لو كانت لن تستمر خلال ارجحة ، وعليها يقدم جافاً ساعة الر ساعة في صمت ، مشجراً بيد المرتعة بين آونة واخرى نحو الطريق الذي عليها ان تملكه .

وهو يحمر معه على راحته من ساء ، نجد ، من الصخر الرملي الأحمر من صناعة الجوف من أحمر غريب لأن شيد ،

ويبدو ان هذا يحدث توازناً مع قرية الماء المثلثة في الجانب الآخر .

## عظام .. وبقايا أجسام :

وهو يتكلم من وقت لآخر ، ولقد قص علينا احسن من حكاية تمتع عن اولئك الذين هلكوا في سالف الأيام . ففي كل مجوف تقريباً توجد عظام ، غالباً عظام جمال ، ( جمال حين ) يسميها راضي وان احد سال عن يكون حين هناك ضحكة . وفي قعر واحد من الافلاج توجد ، على أية حال ، عظام من نوع آخر هنا حلة غزوة هلكت ، بجانب ورجالها لقد كلوا ( رولة ) عبروا ( النفود ) لينهبوا على شمر ، ولم يكونوا بقادرين على ان يبلغوا ( شقيق ) في طريق العودة . كانت العظام بيضاء ، ولكن كانت هناك قطع من الجلد لا زال ملتصقة بها ، مع ان راضي يقول: انها حدثت منذ عشر سنوات

وفي مكان آخر ، أراما كومتين من الاحطاب ، منفصلتين احدهما عن الاخرى بثلاثين ياردة ، وهما تحدان النقطة التي بوغت فيها غزوة من شمر ، كانوا يسوقون جمالاً من ( وادي السرحان ) - بوغثوا من قبل مالكها ، شيخ من السرحان الذي رمى حريقه من بعد الثلاثين ياردة هذه على عقيد شمر فشكت ، مهراً ورجلاً . ومرة أخرى ، أشار ابي بقايا أربعين

راكبا من ركاب ( جمال السليمان ) ، ضلوا طريقهم ، وهلكوا  
عشت .

## في طريق « أبو زيد الهذلي » ! :

كان الرمل ، مسافة أميال عديدة بعد مفادرتنا الآبار ،  
منطى بآثار أخفاف إبل ، إبل ( الرواة ) بدون شك . وهنا  
وعناك كنا نصادف آثار حصان ، ويبدو أنه كلما توغل المرء  
أكثر في بلاد العرب أصبحت الحبل أكثر ندرة .

وبعد عبور هذه الأميال الطويلة ، لم يبد هناك - على أية  
حال - أي أثر لتكائنات الحياة ، فاستندنا لسعدى . واتجه بنا  
إلى راضي ( أولا في اتجاه جنوبي تقريبا ، حتى قابل خطا من  
العلامات لا يبين بالنسبة لنا ، إلا أنه معروف لديه تماما ، يتجه  
جنوبا - نحو الشرق ، وهو يسمى هذا الطريق « طريق  
( أبو زيد ) وحكى لنا الاسطورة التالية بهذه المناسبة ( لم  
يكن هناك أي أثر للطريق أكثر مما يمكن أن يوجد في  
البحر ) ..

## خطبة بني هذول :

يقول راضي :

منذ سنين كثيرة ، كانت هناك مجاعة في نجد ، وأصبح

بنو هلال بدون قوت . وعندئذ تحدث ( أبو زيد ) شيخ القبية مع قريبيه ( مرعي ) و ( تونس ) ، فقال لهما : « فلنخرج في اتجاه الغرب » ، ولنبحث عن مراع جديدة لقومنا .

وساروا حتى أتوا الى ( تونس الغرب ) ، التي كان يحكمها في ذلك الزمان الأمير ( الزناتي ) ، ونظروا الى الأرض فأحبوها ، وكانوا على وشك العودة بالأخبار الى قبيلتهم ، عندما وضعهم الزناتي ، جميعاً في السجن .

وكان للزناتي ، بنت باهرة الجمال اسمها « سفيري » ، ولما رأت « مرعي » في السجن « الدَّبَّاب » ، وقمت في حبه ، واقترحت أن يجب أن يتزوجها ووعدت ان حياته وحياته رفيقه سلتقد ، ولكن « مرعي » لم يهتم بها ولم يكن ليرضى في البداية . ومع ذلك فقد استمرت في حبها ، وقصدت أن تصنع حبلاً لحوم ، وتشفت الى أبيها أن يبقى على حياتهم . وعندئذ أخذ « الزناتي » يختار في أمر سجنائه ، وهو يسمع من ابنته أنهم من أصل كريم ، ولم يعرف ماذا يصنع بهم . وعندما أخبرتهم بهذا ، اقترحوا أن واحداً منهم يجب أن يطلق ويذهب الى وطنه من أجل أن يحضر فدية لرفيقه ، ولكنهم في قلوبهم كانوا مصممين على ان « أبو زيد » هو الذي يجب أن يذهب ، وأنه يجب أن يعود - ليس بفدية - بل بجميع قومه الى تونس ، وإطلاق مراح رفيقه . وحلت « سفيري » المقترح الى أبيها ، وقالت : « اثنان من هؤلاء

الرجال من أصل كريم ، ولكن الثالث عبد مملوك ، إلا أنني  
لا أعرف أيًا من الثلاثة هو . واذن فدع العبد يذهب ويأتي  
بالقدية من أجل سادته .

وقال الزناتي : « وكيف تكتشف العبد من بينهم » ونمّره  
عن الآخرين ؟ .

فقلت : « بهذا . . خذهم إل مكان وحلّهم ، حيث يوجد  
ماء ، ومزم أن يمروا من فوقه ، وسأرى أن العبد فيهم ، أيًا  
كان ، سيجمع ثيابه حوله بعناية ، في حين أن سلاء الهنـد  
سيتركون ثيابهم يعلق بها الطين .

فوافق أبوها ، وحدث كذلك الثلاثة الرجال في اليوم  
التالي من سجنهم ، وأمروا بالمرور فوق جدول وحل ، فوضع  
أبو زيد ، وكان قد حضر من قبل « سفري » ، عيانه على  
رأسه ، ورفع قبضه حتى خاضرقه ، بينما مشى « مرعي »  
ويونس ، بدون احتياط .

وعلى ذلك فقد أطلق أبو زيد وعاد إلى نجد ، وبعد أن  
جمع كل قومه هناك ، قادم عبر النفود في نفس هذا الطريق ،  
متخذًا الدرب الذي رأيناه الآن ، حتى يتمكن من الوصول  
إلى السلامة . ثم واصل سيره بهم إلى تونس ، وضرب حصاراً  
على المدينة .

حاصر أبو زيد ( تونس ) سنة إلا أنه لم يستطع دخولها ،



وما كان لبسطيع أخذها ، لولا « سفري » ، التي كانت تحمك  
المزامرات من أجل نجاحه .

كانت « سفري » امرأة حكيمة . كانت تعرف القراءة  
والكتابة ، وتعرف السحر وتستطيع تفسير التنبؤات . وكانت  
هناك نبوءة تتعلق بالزفاني مؤداها أنه لا يمكن قتله في أية معركة  
لا بواسطة شخص معين اسمه « ذياب بن غانم » قاطع طريق  
في الصحراء المجاورة .

وأرسلت سفري كفة عن هذا الموضوع إلى « أبو زيد » ،  
الذي ضم قاطع الطريق هذا إلى خدمته . وأرسل في العربة  
التالية ضد الزفاني « حبة » خرج إلى القتل ، وقبض الأمير .  
ثم صار أبو زيد أميراً أثونس وتزوج مري « سفري » .  
فذلك هي قصة « رضي » ، وبرجس ألا نكون صحيحة تماماً  
فيما يتعلق بخدمة سفري لأبيها .

## وعورة السير في « النفود »

أما فيما يتعلق بأسطورة الطريق ، فمن المنحيل القول أن  
الطريق هناك « للشهد » إذ كان يكذب . وسواء كانت طريقاً  
أم غير طريق ، فقد مكثنا نتجول في تعرجات طيبة اليوم ،  
أحياناً نكده صاعدين منحدرات وعسرة مستقيمة ، وأخرى  
نشخذ طريقاً دائرياً طويلاً لتجنب فلجنا ، وأحياناً نسير في

نخرج لغير ما سبب معين . ومع ذلك ، فدائماً على سطح غير مطروق من الرمال القبية . ان الأرض منكسرة أكثر من ذي قبل ، والافلاج أكثر ، والسير أشق ، ولكن الأمهار والجمال سارت شجاعة ، وقد قطعنا اليوم حوالي عشرين ميلاً، تخيّلنا التبة لو ان كان في فليح ، أعلى من آثار شديق ، - ٥٦٠ قدماً .

١٦ يناير (١٨٨٠م).

عاصفة في الليل حولت الرمل الى لون قرمزي . «راضي» يمشي على هذا من حيث أنه الآله ، كما يقول ، «منطبخ» حدة ، ان شاء الله ، يسر له . كان يشك بعض الشيء من قبل غير أن لظن الثقيل قد حمل الأرض حدة ، وكنا قادرين على ان ندفع في سيرة بعد طيب ، كما لو كان يسير على حصباء . وكما تعمقت في النفود ، نصير ، والافلاج ، أكثر تاعداً ، والحروب المتداخلة أكثر انخفاضاً .

بدو أن الافلاج تسير على نحو ما ، في خطوط منتظمة من الشرق الى الغرب - أو على الأصح - من الشرق يجنوب الى الغرب بشمال .

## حيوانات «النفود» وحشرات :

وانه لأمر متعب أن نلاحظ آثار اقدام حيوانات برية على الرمل ، لأن علامات الان ظاهرة بوضوح ، كما لو كانت على فليح حديث السقوط . وأكثر تلك شيوعاً هي آثار الأراب

البحرية المطابقة في الحجم لأرانب بلادنا . واليوم بصرت الكلاب السلوقية وطاردت عدداً منها ، ولو بدون جدوى ، لأن أشجار النضار والأحراج سرعان ما تحجبها عن الكلاب .

لقد عدونا مرة أو مرتين وليس هناك خطر أن نفقد أنفسنا ، لأن علينا فقط أن نعود على آثار خطونا لنجد الدافئة .

وبالإضافة إلى الأرانب البحرية توجد أنواع عديدة من الطيور الصغيرة : طيور الأفيش ، وطيور النمنمة ، وقبشرات الصحراء والأبلى ، والفريان أحياناً .

ورأيت أيضاً زوجاً من الصقور البلدية ، من الواضح أنها في موطنها .

أما الزواحف فأنها أكثر عدداً ، فسطح الصحراء بأكمله تظهر عليه آثار السحالي ، بينما كانت هنا وهناك آثار عبور الثعبان .

قتل رفائقا اليوم اثنين - من النوع « سليان » ، وهو مألوف في معظم أجزاء الصحراء ، ثعبان فضي طويل نحيف ، ذو رأس صغير ، وغير ضار على الإطلاق . لقد أخرجهما بعد المطر أشعة الشمس الدافئة .

لقد كنا نستفهم من راضي عن أنواع أكثر خطراً فوصف لنا بدقة ثلاثة الأنواع المقتربة و « الكوبرا » . أدهشني أن أسمع عن الأخيرة ، ولكن من المستحيل أن أخطر . وصفه

لثمن ينف على ذيله ، وينفخ عنقه كأحسة ومده - ك  
يقول - ترى في الصيف فقط .

## بهر الوهم « المريا » :

والغزلان يبدو أنها لا توجد في النفود ، إلا أنها  
صادفنا آثاراً جديدة للفرنين وحشيشين . ويؤكد لنا راضي  
أن هذا الحيوان ، لا يترك النفود أبداً ، ولا يشرب .  
حقاً لا يوجد أي ماء هناك فوق سطح الأرض في أي مكان  
أقرب من حبل أهد ، يجب أن يستفي أي الحيوان -  
عده كان أثر الحافر تقريباً في حجم حافر غزال كامل النمو .  
لنا مشاهدون أن رؤية الحيوان معه ، الذي يؤكدون لنا  
أنه بقرة حقيقية ، ولو أن من الصعب أن يكون ذلك . ولقد  
ظلنا ننتظر جيداً من حول الشعاء بدران - بوي

أما عن الحشرات ، فقد رأينا قليلاً من دباب ، مثل  
دباب الخمل ، وبعض البعيب وفراشات صغيرة . ويوجد  
روح أفضل من الحشيش في النفود وأكثر مما يوجد منه على  
التخوم ، افترض أن ذلك بسبب غياب الابل .

## الاهتداء الى الطريق : -

إني أجد أن راضي يعرف طريقه كلية تقريباً بواسطة

للعلامات فعل كل تل رملي عمال ينزل من فوق دلوله ،  
ويجذب بعضا من أغصان الغضا ، وهي سهلة الكسر جداً ،  
ويضيفها إلى ركائز من الخشب يكون أقامها قبلاً . وهذه  
يمكن أن ترى من بعد لا بأس به . ولقد تمت - أيضاً -  
أن نغير طريقنا برعا ما ، بعلامات منقطعة من بحر الإبل ،  
وأحياناً يوجد على جانب منحدر حاد ممر للتقدم متميز . وعلى  
طول هذا الخط نتحسس دليلنا طريقه ، مثلياً نظرة هنا  
وهناك ، كما تفعل الكلاب السلوقية عندما تلص الأثر ..

لا هو ولا محمد . ولا أي من العرب الذين معنا . عندما  
أفكر فكرة عن معرفة الاتجاه ، الشمس ، وعندما سألت (ولفرده)  
عمداً إذا كان يظن أنه يستطيع أن يجد طريقه عائداً إلى  
( شقيق ) ، أجاب : « كيف أستطيع أن أقول ذلك ؟ كل  
واحد من هذه الكتبان يشبه الآخر » .

## من قصص الدليل ( راضي ) :

لقد سلانا راضي بقصص أخرى من قصص الدم والعظام ،  
أقوى من أشدها فتنة قصة بعض الجنود الأتراك<sup>(١)</sup> الذين  
نخلل عنهم غدرا ( في النفوس ) كانوا احتفلوا حائل في الأيام  
الأولى لأن رشيد الأول ، وتركوا هناك بصفة حامية . ولكن

(١) كان هؤلاء يسمون تلك من جنود جيوش براهم بلقا الذين تركوا  
في عترة . ( الأمل )

السلطان أما أنه لم يستطع الاتصال بهم ، وأما أنه سيسم ،  
وبعد زمن ما رغبوا في الذهاب إلى ديارهم . كثير منهم مات  
في حائل ، وبقيتهم ، وحوالي خمائة ، اتفقوا ببساطة على  
الانطلاق إلى دمشق تحت حراسة 'حبيد' ، أخى الأمير .  
الذي عقد العزم على إقناعهم . غادروا حائل على ظهور الخيل  
وانضموا أدلاءهم لشعريين حتى هذا المكان . وكان هؤلاء  
يحبون على كل الأسئلة المتعلقة بأماكن الآثار ، كانوا يحبونهم ،  
« بعد قليل » !! أوفى النهاية ركبهم العدو ويبدو أنهم كانوا رفاق  
شجعان ، لأن آخر ما سمع عنهم كان أغنية من نوع ما ، أو  
ترديد غنائب ( كورس ) ، كانوا يعدونها أثناء صراخهم  
للشاق : -

« نحن عسكر ما نحن عفاشي ، نحن عسكر ما يريد  
منه ، أولئك من الهتم أنهم عند الظهيرة من ذلك اليوم قطعوا  
فاصلهم تحت الأشجار ليصيبوا قتيلا من القناص . وهكذا  
وجدوا بعد ذلك معتريين في ( أفلاج ) مختلفة . والبعض من  
خيلهم عادت إدراجها في ( جذ ) . وصارت هناك لكن  
من استطاع أن يصح يده عليها . وبقيت من قتل هؤلاء  
المحظوظين من الناس ببضع أقدام . ونعاج لكن واحد منها .  
٣. قصة ذات لون شاحب شعوب الموتى

وقصة أخرى أروع هي قصة العاشقين الصغيرين اللذين مرا  
غلبة من الجنوب ، وتسميها 'قرباؤهما' ، ولأنها تروى أن آثارها

صنفتني ، ولبنجنا الفضيحة ، اتفقا بدلا من أن يسيرا معا ،  
 أن يتسا خطين متوازيين ، المسافة بينهما مائة يارد تقريبا ،  
 وهكذا انطلقا في رحلتها ، وعندما أتيا إلى خليج معين ، أراه  
 لسا راضي ، كاه متميعين جداً فاصطجعا ليمونا كل منهما تحت  
 شجرة . هكذا وجدنا لحسن الحظ في الوقت المناسب ، وصرنا  
 نصرفها هذا المبني على حسن التدبير ، الأقرباء من الطرفين ،  
 سرورا بالنأ إلى درجة أن الموافقة على زواجهما قد تمت ،  
 واحتفل بالعروسين في جو من المرح والانشراح

## بارقة أمل :

في الساعة العاشرة والنصف بصرا فجأة بمعنى (العلم) <sup>(١)</sup>  
 وما صخرتان مخروطيتان تبرزان من بين الرمال ، وتكونان  
 مملا باردا للساافرين في طريقهم إلى (جبة) . وشعرنا بفرح  
 كبير أن نراها ، لأننا كنا بدأنا نشك في فطنة دليلنا بسبب  
 الخط التخرج الذي اتبعناه ، والآن عرفنا أن أموا ما هناك  
 قد انتهى ، وأننا ، إذا احتجنا نستطيع أن نجد طريقنا عبر  
 النصف الآخر من (النفود) مع بعض الأمل على الأقل في  
 النجاح .

(١) كنا نرحلنا حسب الممرات الأفريقية (عالم) فكتب ابننا الأخ  
 محمد بن عمر الشري من أمل (جبة) ومن سفر في النفود مراداً وهو يعرف  
 الموضع ، كتب بأن الصواب (المثلثيم) فله الشكر .

و كنا جالنا لنقبنا وانطلقنا راكبين نحو التلال ، ومع ذلك فقد قضينا عدة ساعات لنصلها ، إلا أننا كنا في الساعة الثالثة ( بعد الظهر ) نفس الصخور بأيدينا لنحس أنها كانت حقيقية . كان الأمر كما لو كنا قد قلصدنا في البحر ووجدنا جزيرة صحراوية .

كان لدينا بعض الوقت لننظر ، بينما تكمن القافلة لتلحق بنا . بقيت مع المهرين أقرب ، بينما صعد ( ولغرد ) إلى قمة الصخرة الصخرى . وصاح متعجباً : ( يا له من مكان بقدر المراهيه ، ان جبل (نيبو) كان لا بد أنه كان مثل هذا ) . إلا ان الذين يموتون في ( اللغود ) قل أن يكون لديهم أحد ليقوم .

## فرائس نستمع بالشمس

وبينما كان يلتحق حول كومة من الأحجار غير المثبتة قرب قمة التل وجد ما بعث فيه السرور . فرائس مرر كثة نستمع في نور الشمس في نقطة مدره . وإذا كانت ، كما هو محتمل ، ليس هناك نبات ملائم لهذه الفرائس في حوره الاول أقرب من ( حريون ) ، فلا بد ان هذه الحشرة الصغيرة قد سافرت على الأقل اربعمائة ميل . انها هنا مدت سمسة في الشمس . وهذه الصخرة الصخرى ، او هذا التل الصخري ، كان ارتفاعه مائة قدم فوق مستوى السهل وسبق منه ( أي من السهل )



رأساً مجرداً وصارياً كما تفعل صخرة في البحر . وسجل  
( البارومتر ) عند القمة ٣٢٢٠ قدماً . و ( المعلم ) الأطول  
ربما كان ثلاثة أضعاف ارتفاعه .

## شَيْخ ( النَفُود ) ١

ويقول راضي ان ( المعلم ) هو شيخ ( النفود ) مثل الأصفر  
هو ابنه . وعلى مسافة بعض أميال الى الشمال الشرقي ، توجد  
مجموعة من التلال الرملية البيضاء ( حريم المعلم ) . ان صخور  
( المعلم ) من الحجر الرملي سوداء بفعل التآخات ، وليست  
( جرانيت ) كما أظننا ، وهذا بدون شك هو المادة التي  
تكونت منها ، على مر السنين ، كسان من الرمال الحمراء .  
انها ليست من الصخر الصلب ، ولكنها تشبه كومة من الأحجار .  
وكان على قمة التل الذي صعدته ( والنفود ) صورة مسع بلابا  
بعض حروف قديمة محفورة على للصخور ، من نفس نوع تلك التي  
ترى في ( سينا ) أو على الأصح في وادي ( مقضب ) .

كان المنظر ، طبقاً لتقويم ( والنفود ) ، مذهشة ، إلا أنه  
مستحيل أن رسمه أو حتى أن تحاول رسمه . اللامع العامة  
للنفود هنا يمكن أن ترى منشورة كما لو كانت على ( حارطة ) .  
وتتألق المحيط الرملي معرقاً بالخطوط الطويلة لأفلاج (و معلم)  
نفسه يرتفع في وسطها كصخرة متفتقة من بحر معرق بالزبد

# قارورة من رمل ( النفود )

نحن الآن نحيطون على بعد حوالي ميلين وراء ( العليم ) لقد  
ملأت قارورة بالرمل لاصنع منه ساعة زجاجية في الوطن .

## ( الارطى ) و ( الفضا )

١٧ يناير ( ١٨٨٠ م ) .

صلبع أبيض ، حزمة البعض منه مع الحبام وحمل هذا  
كل اليوم .

انه لتريب أن تغير النباتات الآن بعد أن عبرنا (العلم) ..  
فحتى تلك النقطة كان الغطاء يرقى ما عداه ، ولم أكن بقادرة  
على التصديق أنه سيختفي هكذا فجأة ، ومع ذلك فالأمر  
كذلك

أما الآن فلا يمكن أن ترى أي أثر للغضا ، وحل محله  
نبات الارطى الذي كان قادراً من قبل . ويبدو مستحيلاً أن  
تجد سبباً لهذا ، من حيث أنه لا يوجد تغير مادي في مستوى  
الارتفاع ، ولا تغير في خصائص التربة على الإطلاق .

كانت الأجسام التي جيمعها عندها البارحة هي الأخيرة تماماً  
بأنحاء الجنوب . اما آسفون على أن فقدتها . لأن الفضا هو

أرفع أنواع الحطب في العالم. ان الفحم الذي هنا وهناك حيث وجدت نيران مخيمات ، هو أرفع من أرفع أنواع الفحم الذي يستعمل في الرسم .

أما الأرضى فهو من نوع أوطأ . ومن جهة أخرى يوجد حشيش أكثر من أجل الأبل يسمى ( النشوي ) ، كما يوجد ذلك ( حمار ) وهو نبات شوكة ضارب إلى الزرقاء ، الحبل مولعة به كثيراً ، في حين أن ( المعافر ) وهو عشب ذو أوراق خضراء قاسية وأرهار صفراء بنية ، لا يزال هو النبات الأكثر شيوعاً .

## حديث عن رفاق الرملة :

جاء الرمل مرة أخرى منذ أمس ، وكلها صار النهار أدفاً ، أصبح قليلاً على الجمال . ان الجهد في الدبيب خلال سطح تسوخ فوق الحنطة بدأ يتعبها ، وقد مشى اليوم معظم الرجال ، وضرب محمد المثل لهم . كل واحد كان منشرحاً ، بالرغم من المشاق ، وكلهم أظهر قوة عجيبة في العدو ، وممارسة التلو واللعب في الرمال . وكان ( ولغرد ) ، وعنده مرارة طيبة ، غير قادر تماماً على مجاراتهم . أما أنا فقد كانت حالتي بنسبة أسوأ كما يمكن أن يتصور ، من حيث أنني كنت قد زلت أهرج ، ومعنى أية حال ، فكلاماً أحس بأنه ملتزم بأن يحاول ويسير في فترات من أجل مهريته

ورهن ليوم ابراهيم الطويل ( فبما أنه عن ابراهيم القصير )  
 الذي كان حتى الآن اضحوكة الجماعة ، على منتهى روعة الخاش  
 عندما كان يرس إلى أعماق الأفلاج سحرة به ، ليجلب ماء ،  
 وأن قوم لتلال الرملية لينظر إلى جبل منخلة . وهو  
 - ولو أنه مسبي - بدأ لأي مسلم في جماعة ، وبعض  
 يتقدم بأخذ في الألعاب العيفة ، التي تنقص فيها العرب  
 ليحتفظوا بمشوياتهم .

وفي إحدى اللحظات أمسك بعمود خيمة الحدم واتخذها  
 سلاحاً لعب به بينهم إلى الحشد الذي طفت أن عظماً  
 متحطم .

ومحدث - أيضاً - عندما يكون هناك مكان معين لا بد  
 من رموه . ويبدو الآخرون مهكبين - غالباً ما يجري  
 ويحلف على رأيه حتى يصعدوا . ونحن نشجع هذا الانبساط  
 لأنه يجعل العمل أخف .

## وأخر عن المطايا ١

إن مادة يتناقض نوعاً ما ، لأنه كان علينا أن نقسم بين  
 المهرين قربة كل يوم ، ولكن هذا يخفف الاحمال . راحلتان  
 بدأتان تهنان ، دلول حنا ، التي قادراً ما عوملت بعدل ، من  
 حيث أب هو و ابراهيم كاتا باستمرار يبادلا مكانها على  
 ظهرها ، فتكرار افادة حمل وانهاصة ، يتعبه أكثر من أي

عمل. وبالمثل لأن البعير الجميل الذي اشتريناه في (الزواوي).  
 فهذا بالرغم من مظهره الحسن ، يبدو وانها . فرجلاء  
 طويلتان ضعيفتان ، وعنقه قصير ضعيف ، علامتان مبيتان  
 تدلان على عدم الاحتمال ، ثم انه في الثالثة من عمره فقط ،  
 ولم يكسب بعد حدة المزاج على الاقل هكذا يقول عباده  
 ان اي جمل لا يمكن الاعتماد عليه قط حتى يكسب هذا  
 الخلق . والجمل القبيح ، أيضاً ، الذي يسمونه ( شوان )  
 يبدو مكروباً . لقد أصابه الجرب بالتأكيد ، ولينا أصررنا  
 على هذه النقطة حينما ارتبنا في الجمل في ( دمشق ) ، غير أن  
 الاران قد فات الآن . أما البقية فلا زالت على خير ما يرام ،  
 على الرغم من الرحلة الطويلة وغيباب الكلأ الاخضر الذي  
 تحتاجه في هذا الوقت من السنة ، لم يظهر بعد أي شيء أخضر ،  
 باستثناء نبات صغير ذي زهرة أرجوانية شرعت تملأ برأسها  
 فوق الرمل . اما الحشيش الاخضر فلا شيء منه ، وبحصول  
 العام الماضي يلف أبيض ، ذابل دون علامة للحياة .

## الوبل ، وأُنعانها .

قابلنا اليوم رجلاً من ( الرولة ) وحيداً مع اثني عشرة  
 ذاقة ما بين حولية وذات سنتين ، اشترأها من شمر .

وكان يسوقها متجهاً إلى موطنه . لقد دفع بين ٢٥ - ٣٥  
 مجيدياً في الواحدة منها ، ولكنها كانت حيوانات ضامرة هزيلة.

ان إبل نجد تكاد تكون كلها سوداء ، ومن درجة أقل بكثير في الحجم والقوة من إبل الشمال .

ولما صادفنا الرجل افترضنا في البداية أنه ربما كان عدوا ، لأن أي انسان هنا يحمل ان يكون كذلك ، واندفع عواد رابط الجأش نحوه بسدقيه ، فأطار عنه صوابه وأحضره في صوت مرتعب ليقدم تقريرا عن نفسه . كان لا ضرر منه على الإطلاق ، أعزل من السلاح ، وقد قضى ثلاث ليال في (التفود) وحيدا كان معه قربة من الماء وجراب من النمر ، وكان ذاهبا إلى ( شقيق ) في طريقه موحش وحيد

في الساعة الثالثة والنصف ( بعد الظهر ) ( مستوى ٣٠١٠ قدما ) وقم بصرنا على قلال ( جبة ) ، ومن نفس النقطة استطعنا غما أن نرى ( المثلث ) كانت مناسبة طيبة لتصحيح تخميننا ، وهكذا أخذنا الاتجاهات بدقة بالوصلة ، وعلمنا أن طريقنا بالضبط في اتجاه الجنوب - شرق .

## بدأوا « يصلون » !

واليوم بدأ المسلمون منا يؤدون صلاتهم ، لأول مرة ، أثناء الرحلة . إن جلال التفود ، أو ربما الشك في الوصول إلى جبة ، ربما يكون جعلهم حادين ، أو ربما الأمر مجرد أنهم يريدون أن يثبتوا من أجل نجد ، حيث تسود الوهاية ،

وحيث الصلاة أمر محبوب مرغوب - أيا كان السبب ، فحمد  
على لغة الكتيب يركع ويسجد مستقبلاً مكة يظهر كبير الجهد  
والاهتمام ، وعوداد يننو صلوات بطريقة أكثر فائداً ، برفع  
صوته تقريباً إلى حد الانشاد .

أثناء الحديث حول دار الخيم ، يخبرنا راضي أن النفود يشد  
مسافة ١٢ رحلة يوماً إلى الشرق من حيث نحن الآن ، و ١١  
يوماً إلى الغرب ، وعلى طرف الجانب الغربي تقع ( تيهام :  
واحدة كالجوف ، حيث توجد بئر عجيبة ، أحسن بئر في  
جزيرة العرب .

## خطر المواصف الرملية :

سألنا عن المواصف الرملية ، وعما إذا كانت قد دفنت  
توفيل . فقال . أنها لم تفعل . ان الرمل لا يدفن قط أي  
شيء دفنا عميقاً ، كما نستطيع أن ندرك من العصى والعظام  
وبعر الإبل التي تبقى دائماً على السطح . إن الخطر الوحيد على  
القوافل هو ان العاصفة تستمر طويلاً إلى حد أن تعد مؤناً  
لأنها لا تستطيع السفر عندما تكون شديدة .

أما عن السموم ، أو الريح السامة التي يتحدث عنها  
الساافرون ، فهو لم يسمع أبداً . مع أن قد ظل يسافر في  
النفود جيئة وذهاباً لمدة أربعين عاماً .

أد عداثة فيقول : إنه سمع عنها في ( تدمر ) ، كشيء  
يتكرر حدوثه . إلا أن أحداً منهم لم يمر في تجربة معها .

## ليلة هادئة .. ولكن بوم ساي

١٨ يناير ( ١٩٨٠م ) .

ليلة هادئة مع ضباب خفيف ، صبيح أبيض في الصباح .  
يبدو أن كشافاً أو جاسوساً من شمر كان حول غيمسا في  
الليل . لقد رأنا بعد الظهر ، ولقد زحف في الظلام ليكتشف  
من كنا . ظن في البداية أننا غزو ، إلا أنه عرف بعد ذلك  
صوت راضي ، وعلم أننا مسافرون في طريقنا إلى ابن رشيد .  
جاء إلينا في الصباح وأخبرنا هذا ، وأنه خرج في حملة كشفية  
للمبحث عن الكلا في ( النفود ) . بدأ نوعاً ما خائفاً وحريصاً  
على أن يرضينا ، وأكد لنا مراراً وتكراراً أن محمد بن رشيد  
سيبتج برؤيتنا .

كان يوماً آخر شتافاً بالنسبة للجمال . انهار ( شنوان ) ولم  
يستطع أن يهض بعبء حملي ، وكان على حنا ، مثل سائر  
الرجال ، أن يمشي لأن ذلوله تسلم نفسه للتعيب .. يبدو أن  
الرمل يصير أعمق فأعق ، ومع أننا قد سرنا من الصباح حتى  
الفسق ، مما زلنا على بعد ١٠ أو ١٥ ميلاً من ( جبة ) لولا  
الشلال التي رايها أمامنا كل مرة تصعد قمة أية موجة ، لما كان  
هناك أمل من جهتنا . كل واحد جاد هذه الليلة



# اضطراب الى السير .. راقية بالجمال

١٩ يناير (١٩٨٠م).

نوم مربع بالنسبة للرجال والرجال . فقد رفض كل من  
ذلول حنا ، و ( شوان ) ، والبحير الطويل الذي يسمونه  
( عمود ) ، رفضت عليها البارحة ، لأنها كانت في درجة من  
المعش لا تستطيع معها أن تأكل ، وهي اليوم لم تستطع أن  
تتحمل أي شيء .. و ( شكران ) أيضاً ، الذي كان حتى  
الآن من أحسن مشائنا سار في المؤخرة ، ولم تزد سرعة سير  
القافلة إلا قليلاً عن ميل في الساعة . ولولا القسوة غير العادية  
لـ ( حذيران ؟ ) الجمل العملاق الذي يقود المركب ، والذي  
راكت عليه معظم الاحمال الاضافية ، لكان علينا أن نستغني  
عن كثير من ممتلكاتنا . حقاً ، ففي لحظة واحدة بدا كما كنا  
سنفنى جميعاً في النفود ، مضيقين فصلاً جديداً لفصول الرعب  
التي حكاهم راضي الشيخ .

والآن ، وقد هربنا من مصير كهذا ووصلنا ( جبة )  
نستطيع أن نرى كم كنا محظوظين .. ولولا الطقس الكامل  
لسفر طول عبورنا ( النفود ) والحظ غير العادي لتلك المعاصفة  
لما كنا الآن في ( جبة ) .. ان الرمل بالنسبة لجمال متعب  
مثل اللجن ، وفي الرمل كنا سلبى .

لقد ملك محمد وعبد الله وكل الذين سفوك الأبطال ، حق  
 هنا الشيخ ، بضفائره البيضاء الزائفة المتدلية من تحت كوفته  
 ( خفة ) ، لأنه قد اختلط سواد شعره بالياض أثناء الرحلة .  
 وقدماء حافيتان ، لأنه كان مستحيلاً أن يسير عفاة ..  
 ( نحن ) بحالته هذه ظل يدب بشجاعة ورباطة جأش كاتولي  
 قوي في الجماعة .

كنا ( ولفرد ) وأنا ، الوحيدين اللذين ركبا في كل حال ،  
 بـ«سنتنا» ( حنا ) الذي أرغمه ( ولفرد ) على ركوب مهرة  
 بين وقت وآخر ، وكنا أكاب الجمدة . أحسننا بالضيق لعدم  
 مقدرتنا على أن نسير على أقدامنا مع الآخرين ، ولو أننا  
 سرنا بين وقت وآخر ، أو على الأصح ، خشنا في رمل ،  
 حتى أصبحنا على أن نركب من جديد لافتقارنا إلى التنفس  
 والقوة . أي منالم يكن يستطيع أن يواصل المسير على  
 الأقدام ، غير أن الاوربي ليس بدأ حتى لعربي من المدينة في  
 مسألة السير .

اليوم كان ( خل ) - طريق - أبو ريد ، يمكن اقتعازه  
 بشكل ميسر ، ونبدأ تفكير في أن الأمر قد لا يكون بأحد  
 حيالا ( روماس ) . ان هناك أعاديد منتظمة في بعض  
 الأماكن ، وان « الخل » ( الطريق ) كثيراً ما يكون واضح  
 الأثر وضوحاً حينا لمسافة نصف ميل كامل .

ويؤكد لنا راضي أنه يوجد طريق مبني بالصخور تحت

الرمل ، صخور أحضرت من جبل ( شتر ) ، وأخشى أن  
أقول ، بتكاليف وأية تكاليف من الجبل والرجال الذين ملأوا  
في العمل .

لاحظت اليوم صفراً وصدراً أعبر .

وتعلمان قد مرا على طول الطريق : كما يستطيع المرء أن  
يرى من آثار أقدامها وأخدوش على الرمل .

## معالم واحة « جبة » بدأت :

أن مستوى النفود كان يرتفع طول اليوم ، وفي الساعة  
الواحدة ( بعد الظهر ) كنا على مستوى ٣٣٠٠ قدم فوق  
سطح البحر .

من هذه النقطة اتسع المنظر أمامنا في اتجاه الجنوب ،  
رمل ، ما زال كل ما هنالك رمل لأميال كثيرة ، كثيرة ،  
إلا أن أمامنا على بعد قريب مجموعة من الجزر قد طال اتجاهنا  
نحوها ، تلك هي صخور جبة . لم يكن أقربها على بعد ميلين .  
لم نكن نستطيع أن نرى أي شيء من الواحة ، لأنها كانت على  
الجانب الآخر من التلال ، ولكننا استطعنا أن نغز فضاء  
واسعاً خالياً من الرمال ، بدأ كالسبخة ، وما وراء هذا مجموعة  
من الصخور على مسافة أقصى ذات تخطيط بالغ الروعة وهي  
تفتق مرتفعة من الرمال

## وهذه نزل نجد ١١

كان المنظر يشه منظر نهر حليدي كبير في ( الألب ) .  
وكما وراء هذا مرة أخرى ، امتد خط أزرق شاحب من  
التلال . ( جبل شمر .. تلك هي تلال نجد ) . هكذا  
قال راضي .

كان ذلك هو ما قطعنا الأبعاد الشاسعة من أجل ان نراه .  
اسرعنا الآن لنصل الى الصخور ، وبلغناها في الساعة  
الثالثة والنصف ( بعد الظهر ) كانت لها نفس الخصائص التي  
لـ « العليم » ، الحجر الصلب والرملي .

هناك رسم ( ول فرد ) خارطة ، وصنعت آثاراً  
تخطيطياً

وانظرنا حتى أنت الجمال ، خلناها قطاراً كثيباً لما نظرنا  
اليها من قمة تلتنا للصخري وهي قمر أسفل منا .

## ونى في الجمال . ورجل جراد ؟

كان ( شنوان ) و ( عمود ) بيران في غناء وليس عليها  
غير الشداد ( فقط .

وكانت الذلول السوداء المسكنة ، وهي مجردة تماماً ولا

تلكاد تقوى على المشي ، متخلفة بخصير باردة ، يحشها عمامة  
على السير .

كان ما زال أمامنا بضعة أميال سيرها حتى نصل ( الجبة ) ،  
ولكن على أرض أكثر صلابة مع التحدار التل .

واقترح محمد ان نسبق نحن الثلاثة ، ونهي مكافا للجميل في  
القرية .

وفي طريقنا رأينا ما حسناه سعيا من الدخان يسير من  
الغرب الى الشرق ، ومرت مؤخرته فوقنا وجدا انه كان  
سريا من الجراد في الطور الأحمر من حياقه ، وهو ما يفضل  
القوم هنا للأكل ، ولم نهم بالتوقف الآن لتجمع معه ، واندفعت  
في سيرنا .

## الوصول الى ( جبة ) ١

كان الوقت عند الغروب تقريبا حينما رأينا لأول مرة  
( جبة ) نفسها ، أسفل منا في طرف جبة السخنة ، بنجيلها  
ذات الحضرة الغامقة تشق البحيرة الجافة ذات الزرققة الشاحبة ،  
وما وراء ذلك مجموعة من الصخور تبرز من ( النفود ) الوردي  
اللون ، وفي صدر الصورة كان رمل أصفر يتوجه المصدر

بدا المنظر بأكد مزخرفا بأضواء الماء ، وجبلا جلا  
بفروق الوصف .

## القسم الرابع

من «جئة» الى «حائل» .

( هذا هو الفصل التاسع من مشاهدات الكتانية والظليمانية .  
عن ربيع « نجد » وعن حياة أهلها في ذلك الوقت .  
وفيه تقدم الكتانية للتو برأ إسافياً عن بعض لطائف  
التاريخية عن الحكم الرشيدى ، كما سمعها من أقوال الرواة في  
ذلك العهد ) .

## (جبة) القرية الجميلة القريبة ١

جبة : من أعرب الأماكن في العالم ، ومن أجلها ، كما اعتقد  
راسمها ، وهو يعني بشرا ، يشرح مرقمها ، فهي تلح في التجويف  
أو بشر في النفود ، ليس في الواقع فلجنا ، لأن حوض جبة ذو  
مقاس مختلف تماماً ، ولا يشبه في شيء الانخفاضات التي تأخذ  
شكل حاصر الحصان ، التي سبق لي أن شرحتها . وهو - على  
حد سواء - قريب للغاية ، ومن الصعب تعليله من الناحية  
الجيولوجية كما هو الأمر بالنسبة للأفلاج ( جمع فلج ) . وهو  
فضاء عاري في محيط من الرمال ، وعلى انحدار ١٠٠ أو ٥٠٠  
قدم تحت معدل المستوى ، ويبلغ عرضه ثلاثة أميال تقريباً  
وهو في الواقع عور ، لا يختلف عن عور الجوف ، إلا أن  
النفود من حواليه بدلاً من مرتفعات الصخور الرملية .

وهذا من الدلائل ، يشير إلى أنه كان بحيرة ، فهناك  
علامات مائية واضحة على الصخور التي برزت من قراره فوق

المدينة مباشرة وغريب ان نقول : ان هناك حديثاً ما زال باقياً يقول : ان الماء وجد هناك فيما مضى . والمعجيب هو كيف بقي هذا الفراغ خالياً من الرمل . أية قوة تلك التي تضع سوراً دون النفود وتمنع الكساحه ؟ وعندما تنتظر عبر البسجة - او قرار البحيرة الجفاف - يبدو النفود كسور من الماء من المحتم ان يفرقها ، ومع ذلك فلا تنتقل الرمال الى القور ، وتبقى حدودها مضبوطة بدقة .

## وصف البلدة وسط بنيانها :

والمدينة نفسها ( او القرية ، لان فيها ٨٠ بيتاً فقط ) مبنية على طرف البسجة ، ٢٨٦٠ قدماً فوق سطح البحر ، وفيها بساتين التخميل ، من نفس النوع الذي رأيناه في الجوف ، انما على نطاق صغير جداً . والآبار التي تسقي هذه منها هي على عمق ٧٥ قدماً ، وتمتص منها المياه ، كما هو الحال في كل الآبار في بلاد العرب ، بواسطة الجمال . والقرية بهيجة جداً ، بأسوارها ذات المشارف ( المتاريس ) وبساتينها . وعلى المدخل تكف ست شجرات أثل قديمة جميلة ، ذات جذوع ملتوية واغصان ريشية . ومن فوقها تلتصّب الصخور عظيمة كالأبراج ، وهي من الصخر الرملي بلون ارجواني ، ذي خطوط وجذوع صفراء ووجه علوي أسود . وارتفاعها بين ٧٠٠ و ٨٠٠ قدم . وقواعدها مغطاة بعلامات مائية قديمة . ووجد ( ولقود ) عليها عدداً



من النقوش بالحروف ( السينائية ) وتكتشف ( جبة ) هذه التلال ، وشريط من الرمل الأصفر .

وتكتشف بهذا عن الرية الخارجي لجبة أما داخلها فأقل جاذبية فالنازل فقيرة ، والعناية بأناقته أقل منها في ( كاف ) و ( أوري ) . ويصعب ان اصفا بالقدارة ، لأن القدارة في هذا الاقليم الرمي تكاد تكون مستحيلة . إنها إحدى مباحج النفود ، ان الحشرات المؤفة غير موجودة في المحاطا .

## خارج من الحشرات المؤذية

فالنفود ، ونجد - حقا - الواقع خلف النفود ، خاليان من هذه الحنوقات التي تجمل من الحياة عذابا في أقاليم أخرى من الشرق . حتى البراقبت التي كانت على كلنا السارق ماتت بمجرد دخولها في دائرة الرمال الحمراء الساحرة غير ان ( جبة ) سوف تكون قدرة لر استطاعت

## سكان البلدة وأخلافهم

وسكانها أقل تهديبا من كل العرب الذين رأينا في نجد . والواقع ان الناس فقراء جداً وليس لهم أي اتصال بالعالم الخارجي ، الا عندما يتوقف المسافرون ، وهم نادرون ، بين

حائل والجوف ليلة بينهم . وعند مرورنا بحجة كان الشيخ قد مات مؤخراً ، وحل محله شاب ، لم تكن له أية سلطة على أقرانه الشبان ، وهم مجموعة كثيرة الصخب ( قليلة الجدوى ) . وليس لابن رشيد ممثل خاص في ( حجة ) ، ولم يكن بسند الشيخ الفنى ( نايف ) أي ممثل للحكومة المركزية ، حتى شرطي واحد ..

## في ضيافة امير ( حجة ) :

وكانت النتيجة أنه رغم ضيافة نايف لنا بكموم بالغ ، الا ان اسدقاءه ازعجونا كثيرا وجعلونا نشمر بعمد ارنياح غير قليل . وأورد هذا كتل فريد لعدم المدنية في بلد ، الأدب فيه هو القاعدة في الغالب الأعم .

لا يحتاج أسلوب ضيافتنا في بيت نايف إلى ذكر خاص ، من حيث أنه لا يختلف بأية حال عما لقيناه في أي مكان آخر . كان هناك كثير من القهوة ، وحديث كثير . ففي أي مكان من بلاد العرب ، ما على المرء الا ان يدخل أي بيت يرغب . ويكون واثقا من أنه سرحب به فيه . فحجر للقهوة تظل مفتوحة طيلة اليوم ، ووصول ضيف اشارة للذين الشكين من اشكال ( التسامح ) للذين لا يعرف العرب سواهما ، انقهوة والحديث ، والنار موقدة دائما ، وفناجين القهوة تدار في

الحال . حادثة واحدة وأثناء مقامنا في ( جبة ) جدوة  
على اية حال ، بالذکر .

## قلوب ( محمد ) الدليل واسبابه :

قبل أيام من وصولنا هناك ، بدأ على محمد النزاع كبير  
كلما بررت مشكلة ، مقابلة عرب في الطريق ، أو التعرف على  
أشخاص ، وهو الذي كان لا يبالي عادة بأخطار الطريق . لقد  
صرفنا عن النظر حولنا بحثاً عن الخيام أكثر من مرة ، وعندما  
قابلنا الرجل الوحيد مع الجمال والرحل الذي سمياه جاسوساً  
أجاب إجابات قصيرة على استفسارتهما عن من نحن ؟ وعن  
الجهة التي نقصدها . ولم يبد أي إبطاح لسبب قلقة حتى مساء  
وصولنا إلى ( جبة ) . وعندئذ اتضح أن ( راضي ) تذكر  
أثناء الحديث اسم شيخ ما ، من شمر ( أبي رمال ) وقال انه  
يعيش في تلك الجهات ، وتذكر محمد أن شيخاً بذلك الاسم  
غزا ( قديم ) منذ سنين كثيرة . دار قتال وقتل رجل أو  
اثنان من شمر ، وكان هذا كافياً ليسبب احتلالاً كبيراً ان الثار  
بين عائلته وآل ( أبي الرمال ) لم يسو بعد . ومن أجل ذلك  
توصل إلينا الا تذكر اسمه في ( جبة ) إذ أنه هو وعبد الله  
من اهل تدمر . وصار السبب أقوى لأنه اكتشف ان ( نايف )  
مضيفنا ، كان نفسه قريباً لآل أبي الرمال ، وكان من حسن  
الحظ ان ( تدمر ) لم يذكرها أحد بعد انتهاء الحديث . وفي

المساء جاء إلينا وهو متالتى جداً ، ليخبرنا بأنه لم يعد هناك أية حاجة لنظف تحت توقع الشر . فقد استطاع بمبقرية أن يحرق الحديث مع تألف إلى الموضوع الذي شغل ، وعلم أن النار قد اعتبر منتهياً . لمحمد بن رشيد كان ، قبل أن يصير شيخاً لشر ، أميراً للبحر أيام أخيه طلال ، وهو مركز يخلع على صاحبه شرفاً ويدير له رجلاً ، ويصف تلك تعرف على كثير من أهل تدمر في الأماكن المقدسة ، وعندما فاز بشيخة شر كان قد ألف بينهم وبين قومه . فهو أما قد دفع الدية بنفسه أو ضغط على أبي الرمال لينازل عن الانتقام ، وأعلن أن النار قد انتهى . وأياً كان السبب الذي جعل الأمير يسعى لاقترار هذا السلم ، فقد كالت من ملازمات الحظ بالنسبة لنا ، ومحمد وتألف الآن من أحسن الأصدقاء .

وفي صباح مفادرت جبة ( مكثنا هناك ليلتين ) قص تألف على محمد ، وهو يودعه ، حلاً غريباً وآه تلك الليلة ، قال : انه ذهب لبنام وهو يفكر في النار القديم ، وفي نومه ظن انه سمع صوتاً بعيده أنه أهل واجبه في الانتقام من الرجل الذي كان ضيفه ، ووقع تحت هم كبير للتعارض بين واجب الانتقام وواجب الضيافة ، ولذا نهض من نومه يتحسس بحثاً عن سيف ، ووجد نفسه يفعل هذا عندما استيقظ . ثم تذكر أن النار قد انتهى ، وقال الحمد لله . وذهب لبنام من جديد . وقال لمحمد في نهاية القصة : أي شيء فطيم كان سيفي ، لو

أجبرت على قتلك ، انت ، ضيفي !. وزعم محمد بن أنه حتى إذا لم يكن الثأر قد سوى ، فإن ( ذئب ) ما كان ليفعل أي شيء ضده ، بعد أن أكل وشرب معه في بيته. وعلى الأقل ، هكذا ستكون القاعدة في ( قديم ) ، ولو أن الأخلاق في نجد قد تكون أكثر صرامة .

مكتنا ، كما قلت ، لبتين فقط مع ( عائف ) .

## أطفال غير مؤدبين

وكان شباب القرية فضوليين ومزعجين ، وكنا مجبرين على أن نشير ذلك مبينين وهو أمر غير مستحب ، ولكنه ضروري في بعض الأحيان . وأستطيع أن أقول أنهم لم يقصدوا ضرراً ولكن طباعهم كانت سيئة ، وكان في ثقتهم شيء ما عدواني تقريباً عن ( النصراني ) وكان من الملائم أن يكبح . ويسرن أن أقول إن هذه هي المرة الوحيدة التي رأينا فيها إشارة إلى الدين غير سارة في بلاد العرب. فالعرب بطبيعتهم متسامحون إلى آخر درجة في هذه النقطة ، وللتعصب القومي أو الديني هامش للغاية .

## تصرف بسبب القلق !

وعلى أية حال فقد جعلنا هذه القصة الصغيرة قلقين نوعاً

ما على استقبالنا المحتمل في حائل . فلم يتوغل اوردوبي واحد  
ولا مسيحي من أي جنس قلنا كما توغلنا في جبل قمر ، وكل  
ما عرفناه عن الناس والبلاد كان استحضاراً لتقرير المسافر  
(بلجريف) عن زيارته تلك البقاع متخفياً منذ ستة عشر عاماً.  
وعلى اساس ما عرفنا ، فان رشيد قد يكون ميله اليها بنفس  
الدرجة من السوء التي كان عليها ميل هؤلاء ( الجيبين ) وكان  
الواضح أننا بدون رضا وحمايته ، نخاطر بمخاطرة عظيمة في  
دخول حائل . كنا قد عرنا الصحراء الحمراء ، ولم يكن  
الرجوع ممكناً . وكان لا يمكن ان نفعل أي شيء سوى ان  
نضفي وجهاً جيداً على الاشياء ونقدم في طريقنا .

## من تاريخ ( آل رشيد )

استجبوا ( راضي ) عن طبيعة الاحوال في حائل ، وقد  
اضع هنا كل المعلومات التي اعطانا ايها كاتبها وجسمها الرواة  
المتعاقبون . لقد استقينا الحقائق الاساسية منه .

أكد ( راضي ) ، بالدرجة الاولى ، في عبارات عامة  
التفادي التي كنا قد سمعناها عن تاريخ عائلة ابن رشيد

## ( عبد الله ) المؤسس الاول

فقد الله ابن رشيد ، وكان مجرم ( رله ) في ذلك الوقت ،

من فخذ عبدة من قبيلة شمر ، خدم مع آل سعود أصحاب  
أعالي نجد ، وعينه الأمير الوهابي ثانياً في جبل شمر ، وكان  
عمارياً عظيماً . واخضع كل البلاد للنظام بإساعده أخيه عبيد  
البطل الرئيسي في رات شمر

## ( عبيد ) الرشيد

لم نسمع شيئاً عن عبيد يؤكد قصص الشر التي ذكرها  
( بالجريف )<sup>(١)</sup> . وبالعكس لقد ترك سمعة عظيمة بين العرب ،

( ١ ) مما ذكر بلجريف عن ( عبيد الرشيد ) :

[ بدأنا نقول له - لواصل أمين الحزينة عند الأمير طلال - اننا نرغب  
في مطابقة « طلال » لطلعه عن أمور ذات أهمية بالغة . وبعد أن أنعمناه  
بعض شيء سرى - اطلعتنا على الحقيقة الكاملة - وسألتنا رأيه في الاقتراحات  
التي كنا نزمع أن نقدمها لملك ( طلال الرشيد ) . فمد لنا موعداً  
لللقاء ، وادخلنا عند الفجر من باب سري - إلى غرفة منزلة ، يقوم عمراستها  
عبيد سرى ، ويلف بعيداً عنها حراس مسلحون ، لا تسمعهم أصوات التسكين  
فيها . فالتينا طلال مستعداً للاستماع إلينا .

وقد شرحت له باختصار أسباب رحلتي ، واطلعت على المكان الذي أئينا  
منه ، والأمل الذي حدا بنا للجيء . إلى بلاد العرب . وما فتظروا من  
حسن التفاهة .

وقلت ذلك بحادثة استغرقت ساعة كاملة . واختم طلال الحديث مصراً  
على التكميل المطلق قائلاً : « إذا ما عرف الأمر الذي تباحثنا فيه الآن ،  
أصبحت حياتكم وحياتي في خطر » .

وتتألف لغة القصة من حادث عرسي سيده عبيد عم طلال المكار الذي كان  
يشظاهر بالبرودة والظلم ، والذي نزع عن وجه القناع ذات يوم ليظهر وجهه  
الرهيب !

ذكره ومروونه ، وشهادته ، وهي العدد ثلث الثلاث الرئيسية  
في معتقد العرب

عدد واربعة اشياء يطالب بها دعاة الكفر والفساد : عدد من حصان فرس  
موجه إلى مصر ، عدد من أشجار شجر في حديقة شجرة عدد من حذوة قسيمة ،  
عدد من حذوة من يتقدم من احد ، العدد ثلث ، والعدد والقائمة أصول  
أحد فكيف الانصار المحسنين والصالحين الذين يريدون أن يقدموا  
طهارة الاسلام ، ثم فلتقت لحوار قال :

« كوا من فكرت » ولكن عدد واحد ، والاشياء اربع من اشياء  
الطهارة العربية كلها ، فطرح من الاسلام عدد أو القوي عدداً من  
معتقدات اسلامية .

« ثم عجب أنه يدعو في نفسه عدد إلى عبادة الطبيعة وحده كودم ،  
الطهارة ، يدعو إلى تقديس الكتب ، يدعو إلى تقديس الاشياء  
تقليداً من خلافاتنا كلها .

« بل طلاق من عبادة في عبادة عربية ، ومع ذلك فقد انقلب هذا  
الجمع من عبادة من عبادة ، شايء من عبادة إلى عبادة يدعو في ارضه ، وفي  
الطوبى من عبادة إلى عبادة ، في تلك العبادة طاهر ، عند فتح  
الكتاب فوجد ان عبداً قد فتنه بعد فكيف فتنه على وجهه ، ولعلكن  
يحبب من عبادة على الطبيعة ، « صهي في ارضه يدافع عليه ويرد  
فمن أن سكت الشاكر يريد أن يدافع به رغبته في عبادة الطهارة  
عندما يصل حواء طلاق ، عدد من احد عبادة الله خلال بشعر  
الحربة .

« عدداً في اعداد من شهر ايلول ، يدعو إلى عبادة من عبادة  
في اربعة ايام من عبادة الطهارة ، وقد كان قد افق حور من كل ايام  
برداء الرغبة ، « لا تنقص حشر عقائده على عبادة حتى الذي في طلاق  
العبادة حارسين مستعاضين في الفناء كان عبادة في الكتاب ، جدي  
الطهارة ، أكثر من العبادة ، من عبادة من عبادة في عبادة ، فحسن وحسن



ولم تكن يوماً ما أعيراً بالنفس لجل شعره ، والكله ، بعد  
 موت حبه ، حكم العادى الذقة ، وثالث هو سدى أشاء  
 بتحصين الجيش التركي في القود وعاشى الى ان طلع في السن ،  
 . مات بعد سبع سنوات قليلة ، وبعد ان صدته الشلل من  
 الحصر لما تحت ، بضعة شهر قبل موته . ويحكى عنه انه لم  
 يترك مائاً ، بعد ، بعد ان ذهب كل شيء ، ثناء حياته ، لم  
 يترك مالا سوى سبعة ، ومهرو ، وروحته الشابة ترك هؤلاء  
 لان أخيه محمد ابن رشيد ، قام مع اهلهم مع رجاء ان  
 سبعة يجب ان يشي معصداً ، والا يمشى مهرو ، والا تخرج  
 ارملة ابن الأن ، وحرره بن رشيد وعيني عمه الأولى والثانية ،  
 غير انه ضم زوجة عمه الى حريره

## ظهور بن عبد الله

مات عبد الله بن رشيد عام ١٨٤٣ ، وحملته في نسخة شعر

بعض الوقت ، ولم لنا أن نسمع من تلك النسخة ، وأخير رفيع شعره ووجدت  
 في غير وقت ، في نسخة ، في هذه الطلوع الخلة ، ولي أكون من تلك  
 القدر في درجة الشعر فيها حواماً ادنياً ، سماً على محامد كعادتك .  
 على اني لا أؤيدك ، في طلاق ، مؤر في ، واداني التي لا تخرج أبعد  
 وحلتك الآن ، وعودت تعود ، أمل ان لا تقضي في العودة ، يصبح  
 كلامك قارماً ، ويشتغل كل ما تريد ، هل أنت ، رضي ؟ ! قلنا له : ان  
 حواماً قد حقق في ، وعاشي ، فيصاحبه علامة شجاع الشبول .

( من كتاب اكتشاف جزيرة العرب ص ٢٠٠ / ٢٠١ )

وتبذبه حائل أبوه طلال ، الذي اتخذ لنفسه لقب أمير وحمل نفسه مستقلاً تقريباً عن الحكومة نوحانية . ولا بدور هناك كلام كثير عن طلال في حائل لأن . فقد ترك قلباً من السمعة التي كان المرء يتوقعها من تقرير ( بالجريف ) عنه .

وفي زمانه فتح اخوه وخليفته متعب الجوف و ( اقري ) ، واسم متعب يتكرر ذكره أكثر من اسم طلال . ومما نفي عشر سنة اختلت قوى طلال العقلية وانتحر . لقد طعن فيه بختجيره .

## متعب بن عبد الله

وترك خلفه عدة أبناء اكبرهم بندر ، واخوين : متعب ومحمد ، اثنان من عمه عبيد ، وكان شيخاً طاعناً في السن آنذاك ، وعدة أعمام .

وكان بندر في ذلك الوقت غلاماً ، فخلف متعب طلالاً بموافقة كل الاسرة وعلى أية حال لم يحكم متعب غير ثلاثة أعوام ، وموت المفاجيء الى حد ما .

## بين محمد بن رشيد وبين بندر بن طلال

ثار نزاع بالنسبة لمن يخلفه . فمحمد ، الذي كان يشغل منصب أمير الحج لمدة من السنين ، كان بعيداً عن حائل ،

يرقب امرأاً يتعلق بمنصبه مع ابن سعود في الرياض ، ويصدر ،  
كان في العشرين من عمره ، أعلن أميراً ، وعاضده الأسرة  
كلها الا محمد وحمود ، اكبر ابناء عبيد ، نفي تربي مع محمد  
كأنح له ، ولما سمع محمد بهذا ، غضب . وقصد - كما اخبرنا  
راضي - اياماً كثيرة وكوفيت ( غرة ) على وجهه كما لو كان  
في حزن ، ورفض ان يتكلم مع أي إنسان . بقي في الرياض ،  
يرفض كل عروض بندر ودعواته حتى اذا مات عبيد ، قبل  
الرجوع الى الرياض ، واستثناف محمد كأمر للجمع . عاد اليه  
هذا المر كز بالكثير من النقود ، وكان مغرم بالنقود ، الا انه  
ظل يتأمر من اجل الشياخة ، يدبر الدسائس مع ( الشرارات )  
وغيرهم من لبدو الذين تحت حكم بندر . وهذه الطريقة انتهى  
الى اشباع طموحه .

## كيف استولى محمد على الحكم ؟

حدث ذات يوم او قافلة من ( الشرارات ) حسانات الى  
حسانل لشراء تمر ، ووضعت نفسها تحت حماية محمد بدلا من  
الامير ، أغضب هذا بندراً ، فاستدعى محمداً وسأله عن معنى  
هذا الصلف . ( هل أنت الشيخ أو أفا ؟ ) ثم امتطى مهره ،  
واطلق مهدها بمصادرة جمال ( الشرارات ) ، فقد كانوا محبين  
تحت أسوار حسانل . الا ان محمداً سمع ، وهار نزاع عنيف  
بينها فاستل محمد ( شيرينه ) ( وهو حنجر معقوف شائع

الاستعمال في نجد ، ، رطلين بن احبه ، الذي سقط مبتاً في  
 الحال . وعاد محمد مبرعاً الى القلعة ، واستعد بن محمود ، الذي  
 وجده هناك ، واستول على الحبل ثم قبض على ابناء طلال  
 الصغار ، اخوة بندر ، جميعاً ، ما عدا طفلاً واحداً ، اذلف ،  
 وبدر ، الذي كان بعيداً عن حائل . وقطع رؤوسهم بأيدي  
 عبيده في بهو القلعة . ويقولون ان حموداً احتج على هذا . غير  
 ان حمداً إما انه كان طائشاً او انه رغب ان يشرى لرعب ،  
 ولم يكتف بما قد فعل ، بل مضى في تحطيم آقاربه .

كان له بعض ابناء عم ، هم ابناء جبر ، وهو اح اصغر لعمدائه  
 وعبيده ، فازسل اليهم . وأتوا الى القلعة منزعين ان حد ما ،  
 ومع كل واحد منهم عبده . كانوا جميعاً شاماً ، جميلي تنظراً  
 وعلى درجة عالية من التميز ، وكان عبيدهم قد ذروا معهم ، كما  
 هي العادة ، فبه كاخوة أكثر منهم كخدم ادخلوا الى مجلس  
 القهوة ، واستقبلوا برسمية بالغة ، من قس خدم محمد بدعوتهم  
 الى الدخول . والعادة في حائل ان الزائر قس ان يجلس ،  
 يجب عليه ان يعلق سيفه على احد الاوتاد الخشبية المثبتة في الحائط ،  
 وهذا ما فعله بناء جبر ، ومثلهم فعل عبيدهم ، ثم جلسوا ،  
 وانتظروا وانتظروا ، ولكن لم تقدم قهوة . واحبراً ظهر محمد  
 محاضاً بحرر . وم يكن هناك « السلام عليكم » . وفي الحال  
 امر « القبض على ابناء عمه وتقليدهم » فاندفعوا نحو سيوفهم ،  
 ولكن عبيد القلعة اعترضوا سيوفهم ، وسروهم . ثم امر محمد

ببربرية فظيعة فظيعة ، بقطع ابدنهم وارجلهم ، ثم سحقهم ،  
وما زالوا احياء ، الى فناء القصر ، حيث طرعوها حتى ماتوا .

## فسوة وعشبة ، وكرم ، يعقبان أنناً

ويبدو ان هذه الجرائم الشاذة شعوب الموت في وهي  
اكثر شحوباً في بلد سفك الدماء المتعدد فيه غير معتاد -  
يبدو انها قد نشرت الرعب في طول البلاد وعرضها ، ولم يجرؤ  
اي امرئ ، منذ ذلك الوقت ان يرفع يداً ضد محمد . ويقال الآن  
انه نادم على جرائمه ، و هو غاضب على نفسه ، بسبب ما  
تقترف . غير ان راضي يرى ان السماء على الأقل غاضبة بالمثل ،  
فع ان محمد تزوج مراراً وتكراراً ، فانه لم يسمع عليه بولد ،  
ولا حتى بنت ، وعلى أية حال ، وبصرف النظر - عن البداية  
السيئة ، فان حكمه ، مع شدته ، قد كان صالحاً . فالاشخاص  
الآخرون الذين كابدوا الموت ، مع استثناء واحد ، هم قطاع  
الطرق ، وهؤلاء يفرجون الآن عن حائل في نطاق ثلاثمائة ميل .  
ويمكن للمسافر ان يتجول في أي جزء من الصحراء بأمان  
واطمئنان ، دون مضايقة ، وكذلك لا يوجد لموسم في المدن  
ايضاً . وقد جعل جبل شمر مستقلاً بصفة نهائية عن الرياض .  
وقد فُرم محاولة او اثنين من قبل الترك لابتلاع امارته وهو  
مخفي بالنسبة للجميع ويمارس كرملاً لا حدود له . ولا يطرد  
انسان من بابيه ، غليظاً كان أم غنياً ، بدون طعام ، وغادراً

بدون مساعدة من الملابس أو النقود ، والكوم في بلاد العرب  
يغطي الكثير من الخطايا ، وإضافة الى ذلك ، فالعرب ينمون  
بسرعة ، ومحمد نصف مغفور عنه الآن ، والله يطول عمره ،  
هكذا هتف محمد بعد ان قص علينا هذه التفاصيل .

## بدر بن طول .. يلحق بأخيه

كان الامتلاء الوحيد الذي المعت اليه هو هذا . بعد عشرين  
من نجاح محمد في الاسيلاء على الشياخة ، بدأت حلية بدر في  
النمو - وبدر الابن الثاني لطلال الذي لجأ من مذبحه اخوته -  
وذلك في رأي العرب علامة الرشد ، ولأنه شاب ذو روح  
سامية ، ومباذى . عليا ، فقد عزم على الانتقام لموت اخوته ،  
وكان هذا بوضوح هو واجبه طبقاً لشرع العرب .

وكان وحيداً ، بلا عون سوى بعض عبيد من عبيد أبيه  
السابقين ، الذين عاد الى بينهم في حائل سرراً ، وبمساعدهم رسم  
خطة للانقضاض على محمد ذات يوم وكان يزور حمودا . ولو كان  
وجد الأمير لحرد سيفه وقتله ، ولكن ، كما حدث ، كان محمد  
قد خرج الى الحديقة ، ولم يكن حاضراً سوى حمود . سأله  
حمود عن مراده ، فقال : إنه رغب في الحديث الى الأمير .  
غير ان حمودا شك في شيء ما ، فاحتجزه وحذر الأمير .  
وعندما اعتقل بدر وعرف ، استجوب مرة اخرى ، وعندئذ

اعترف بليته في الانتقام لموت أخيه بندر ، وأنه لن يكف  
عن ذلك .

وقال ان محمدا ترسل اليه ان يهتف الى النخل ، وعرض  
عليه ان يطلق سراحه ، اذا كان سقيع ويترك الامور لشأها  
وقال . « لا تريد ان اسفك دماء اخرى ، ولكن عليك ان  
تعدي ان تقادر حائل » . ولكن الفتى رفض ، واخيراً وفي  
ياسر امر باعدامه

أما العبد الذي رافق بندر فلم يمس بدوه . ولقد صرفه  
محمداً بهدايا ، وهو الآن يقيم في راحة في ( السراة ) على الفرات .

## ثائف بن طهول .. ماذا سيكون مصيره ؟

وبعد هذه الحادثة ارسل محمداً ، ويبدو أنه احس بالندم  
من حواء شروره ، رسل الى ثائف وهو لبقية من ابناء طلال  
وكان ما زال صبياً ، يعيش معه وعنده كلبه . ومنذ سنة  
فلقد بعد أن رأى نحو الصبي نصحه بالزواج عارضاً عليه احدى  
بنات أخيه ، ومهناً له مكنها . ولكن الصبي - كما يقولون -  
رفض . وقال : « ماذا ؟ انك ستعاملني كما تعامل خروفاً أو  
جدياً ، نسف قبس أن تدبجه ا ، بكى محمداً وتضرع ، وأقسم  
أنه سيكون كآب لثائف ، ولا يزال يعيش ويعامل مبعلاً في  
في منزل الأمير . والرأي في حائل مستقر على انه بمجرد ما  
يرثه ثائف ، فلما هو وإما عمه يجب ان يموت . سوف يكون

من واجبه ان يتابع بدرا في محاولته ، واذا لزم الامر أت  
ينتهي نهايته .

كل هذا ، كما يمكن ان يفترض ، كان أي شيء الا ان يكون  
بأ سارا بالنسبة لنا ، ونحن في طريقنا الى حائل شمرنا كما  
لو كنا متجهين نحو عرين حيوان مشوحش .

## نسبحم ( نجد ) ( ونمر ) الجبل . ونار

### الارضى ١

وفي نفس الوقت كان أمامنا ، على أية حال ، أربعة أيام ،  
أربعة أيام من الراحة ، ومن المسدود الذي تمنحه الصحراء  
وحدها ، واقفنا على التمتع بها حتى النهاية . هناك شيء ما  
في هواء نجد ، كميل بأن سرج حتى إنساناً مثدانياً ، وكنا  
بعيدين عن ان نكون مدانين .

من استعيل أن نحس حقاً بأنك مغموم ، أو قلق ، هذا  
مع شمس ساطعة كهذه ، وهواء نقي ممسح كهذا ، قد نحس  
بوجود خلل ، غير أناسم نستطيع أن نحس بنور .

نظرنا ليلائنا الثلاث الأخيرة في النفود لمرح ، بارضفة  
من الأرض ، نحس حولها في ضوء النجوم الواضح ، نتمتع



التعمر الذي اشترناه من ( حبة ) ، والعباب الهاربة والقوة  
بين الحدم .

وسوف أقدم مذكرة يوم واحد ، الثاني والتشرين من  
يناير .

( لقد كما نوحى في الرمال العميقة طول اليوم على مهل ،  
بكثير من الغناء والعت بين الرجال ، فحين لم يعد الآت  
على عجل .

## قربنا من مدينة ( هائل ) .

بقي فقط يوم واحد حتى نصل إلى قبا ، أول قرية  
في جبل شمر . والجمال ونواها متعة ، لا خطر عيبها الآن  
من الانهيار ، وعندها نروة من حشائش استوى لتواعها ،  
وقد بدأت خصلات الحشائش الآن تطلق براعمها الجديدة .  
والفود هنا واسع كما هو دائما ، والأقلاج مميعة أيضا ،  
ومررت بأثر لبقرة وحشية ، قبل أنقل من مائة من نافت

وفي الثالثة والنصف صادفنا رعبا يسوق أربعين رأسا من  
النشأن إلى سوق حائل . وهو شيخ من شمر ، من آل  
الراهر ، رأينا خيامه اليوم بعيدة في الشمال الشرقي ،  
وهو يسوي بيع فضيحه على الحجاج الذين يتوقع وصولهم  
حائل اليوم . ويقول : إن الحجاج في طريقهم من مكة ،

وسيجكون أسبوعاً في حائل . من بدوي فقد تسافر معهم ؟  
والأغنام ، التي ظنتها لأول وهلة ماعز ، غنوقات مزينة  
طويلة الأطراف ، ذات شعر حريري طويل ، ليس صوفاً ،  
ينمو متدلياً حتى حوافرها ، وأذان ملساء بندولية ، ووجوه  
ذمعة ، وجنودها سوداء حالكة ، ورؤوسها بيضاء ذات بقع  
سوداء حول العينين ، والأنف تبدو كما لو كانت شربت حليباً .  
وهي لا تشبه الضأن كما يمكن إدراك ذلك من الأطراف والذيل  
والوجه . ولكن لها ميزة هي مقدرتها على الحياة على  
الطائر (١) شهر بدون أن تحتاج إلى ماء ، ويخيل لي أنها  
خاصة بنجد . كانت هذه القديسة علامة للتوقف لمشاهدة  
فلج (٢) صغير ، دهش ، انشاعه كان ليحتويها وسط حوض  
من النضير .

انزلنا بحيداً منحدر الرمل ، ونعشم الجبال بيديا كأن  
محمد يساوم الراعي على أحسن خروف في القطيع . هنا حطط  
رجالنا ، وفي عشر دقائق أخرى كانت الجبال ممتدة على  
جوانب النبل ، فقد كان هناك قل رملي بالقرب منا ارتفاعه  
على الأقل مائة قدم وكان إبراهيم - القصير - قد عين ليراقبها

(١) نوع من الشجر .

(٢) نمر تكاد تكسبه مع بما يطلق عليه في نجد اسم ( حبة ) وهي  
الأجر المنخفضة من كتبان الرمل ، التي يطلق على أحدها دعص .

بينما شغل الآخرون بإقامة الفخم . وكان يوجد حطب وافر ،  
كتل بيضاء جميلة تشتمل كأعواد الكبريت .

## منظر رائع .. جبال ونهر تذكّر

### بأسيانيا :

سعدنا إلى قمة التل لغرى الجهات المحيطة بنا من البلاد ،  
لأنه يوجد هناك منظر رائع لجبل شمر ، لا قمة منعزلة هناك ،  
كما ظن ( كولفيل ) في السنة الماضية ، بل سلسلة طويلة من  
الجبال الرائعة ، تمتد بعيداً إلى الشرق والغرب ، تذكر  
الإنسان إلى حد ما ( بسيرا جوداراما ) في أسيانيا . وهناك  
أيضاً عدة قمم بعيدة متميزة عن السلسلة الرئيسية . وخلقنا ،  
في الشمال الغربي ، مجموعة ( جبة ) ، مع متواليات إلى الغرب  
والجنوب الغربي . وإلى ناحية الشرق توجد نقطة واحدة -  
جبل ( عطشوى ) .

## موقع مدينة ( حائل )

وتقع حائل الى الجنوب الشرقي تقريبا ، مبنية في مرتفع

- ( ١ ) الظاهر أنها تتصد جبال ( عطرول ) وتقع في الشمال الغربي من حائل .  
أما جبل ( عطوى ) . بفتح العين وسكون الطاء ثم واء مفتوحة ممدودة .  
فطريق الذهاب من حائل الى خيبر .

وعمر قرب الطرف الشرقي لسلطة جبل ( اجا ) ويبدو الأفق  
 الشمالي ممتداً امتداداً فصحاً أمام النظر . وبعد أن انتهينا من  
 هذا ، تركنا - نحو الاثنين - لتليس قليلاً على بعد نصف ميل  
 ووجدة عمقه مائتين وسبعين قدماً ، وأرضه حلبيّة ، وهي  
 جانبها المنظم الاتحادار علامات منتظمة من آثار أقدام أغنام ،  
 تبين مدى الثبات الذي يظل عليه سطح التلّود ، لأن من  
 الواضح ان المرات الصغيرة ذات تاريخ قديم <sup>(١)</sup> .

وبعدتنا كانت قهوة ( حنا ) الطيبة معدة مع طبق من  
 الخبز والكاري ، لتهدئة الجوع حتى يغلي لحم الخروف . وكان  
 ( عواد ) الذي يصره أن يقوم بعمل الجرار ، قد ذبح الخروف  
 وسط مخيمنا . فالعادة أن تنحر على باب الخيمة ، وكان يقطع  
 الجمال بالدم ولما سألناه عن السبب قال : « سوف تبدو كما لو كنا  
 قد دعينا الى وليمة » ، وانه ليبدو دائماً حسناً أن يكون على  
 جبل المرء رذاذ من دم . وكان قد نصب ثلاثية من أعمدة  
 الخيام ليمتلئ عليها الخروف ، وهو يجري الآن تقطيعه بصورة  
 فنية حقاً . و ابراهيم الطويل وعبد الله يجمعان كومة عظيمة من  
 الخطيب من أجل الليل . و ( حنا ) يستعد تقطيع . وقد كان  
 ( حنا ) المسكين يجابه وقتاً عصيباً من جراء الطبخ ابتداء من

(١) استفهام - ألا يمكن أن تكون هذه هي العلامات الحتريّة التي  
 لاستطفا المسد ( لبحريه ) ، ونسبها الى فعل التريح . في وصفه لخدمة ما  
 في التلّود ؟

( سكاكا ) ، لأن على كل انسان أن يسير على قدميه الآن ،  
ويصر هو على الذي أبصأه حتى يضع الشاكل ، كما يقول ،  
وربما يكون على صواب . فسيجي منتظم من حلب ، مثل  
حناء ، في بلد كهذه يحسن صمما بانكار ذات وإزالة سلاح الفيرة  
مالم يستطع التواخذه ، ويوحى في نفس الوقت بالاحترام ،  
ويبدو ان ابراهيم قد فعل ذلك . وحاصره ، ولا يشكو ،  
ويبادر الى الانبساط حين ( يكايده ) الآخرون ، ولو ان  
عباء بطل أسيفا . وإذا أبذل جهدي في حديثه ، ولك لا  
يسير على أن يقوم من جاسه بنصيبه

## محمد « الدليل » ، وأسطورة « آل

### عروج »

وأخيراً ، فان محمد يرفأ ثوبه ، استعداداً لظهوره في البلاط ،  
ويتحدث مع اثنين من ( جنة ) ، مسافرين معنا ، عن متاعب  
ابن رشيد ، وعظمة ( آل عروج ) ، وأسطورة ( ابن عروج ) ،  
ككرة الثلج ، تتجمع كلما تخرجت . وإذا لتوقع فمما أن  
محمداً بسيطه في حائل في شخصية أمير . به يتكلم عن محمد  
كانها من يمتلكاته الشخصية . ويخضع حواً من الحماية علينا ، كما  
يفعل الضيف في تكريم ضيوفه . أما فرعه من ( أبي الرمال ) فقد

فيه تماماً . وعلى أية حال ، كنا من كان أميراً أو فلاحاً ،  
 فلحمد ميزة كونه دائماً حسن الطبع ، وأنه سُكِّلَ هذا المساء ،  
 فقد كان يحكي لنا تفاصيل تاريخ صلاته بحسين باشا في (الدايم) ،  
 وهو ما لم نفهمه تماماً من قبل ، وما لا أحرز على إعادته  
 بالتفصيل لئلا أسبب له المتاعب . لقد ذهب إلى السجن  
 مرتين أو ثلاثاً ، ولكن يبدو أن ( حبيباً ) السجين قد صنع  
 منه غي حزين ، وقدم لنا محمد أيضاً تقريراً كاملاً وصادقاً  
 وغريباً عن موت أحمد بك مرالي .

## تفكير في مقابلة (الوزير) !

وعندئذ قد بحث طويلاً في الطريقة التي سنقدم أنفسنا بها  
 في حائل . لمحمد سوف يقترح أن نطلي : ونفرد ! أن يقدم  
 نفسه ككاتب مسافر إلى البصرة لاستعادة دين ، ولكن هذا ما  
 لن نفعل له . إننا نرى إنه الأنسب والأكثر فطنة أن نكون  
 صرحاء ، ونسوي أن نخبر ابن رشيد أننا أشخاص ذوو مركز  
 سمعت عن أشخاص آخرين ذوي مركز ، وأنا قد نعرفنا  
 بأن حيدر وابن سلمان وكل مشايخ الشمال ، وأنا في كل مرة  
 رأينا رجلاً عظيماً ، وقد أخبرنا أن هؤلاء لم يكونوا شيئاً في  
 الحلال بالنسبة لأمير حائل ، وأنا عند سماعنا ذلك ، ولكوننا  
 في طريقنا إلى البصرة ، قطعنا النفود لزورهم ، كما فعل الناس في

ابام سلفت ليروا سليمان بن داود ، وعندئذ تقدم هذا با ،  
وتسنى له عمراً طويلاً

واضطر محمد الى ان يعترف ان هذه ستكون حطة الفصل  
وهكذا انقروا .

ويظن ا راضي ا ، وهو الذي قد وثقنا فيه كثيراً او  
قليلاً ، ان الأمير سوف يسر ، وبعد ان يتغنى بمدحنا ونحت  
السلام . ويتحدث عن الفرغبي وهو نفس في حائل ، وبعد  
ذهابه من حائل يحسن نفوداً وملاسر من ابن رشيد . أما من  
يكون ذلك ، فلا نستطيع ان نتصور ، لان بلجرف لم  
يكن معروفاً هناك كأوربي .

## (سيرة) مكنة.. في رمال (النفود)!

وهكذا انهلنا الوقت حتى كان العشاء معداً ، وجبا شعر  
الجميع بأنهم قد غتموا تماماً جاء محمد ليدعونا الى نادي الخدم  
حيث كانت تدور ألعاب القوى . وفي البداية ، يتعدد مصادفة  
على الرمل ، ويوضع ( شداو ) الجمل على ظهره ، ثم يوضع  
خرجان عظيمان يزن كل منهما حوالي قطار ( ١١٢ رطلاً )  
وهذا كله يكافح لبلف على ركليه ، ثم يبذل جهداً مفرطاً  
لبلف على قدميه ، فيترشح خطوة وينكسر . ويرفع محمد ،

وهو لا يجازي ابراهيم قصير ، ويزن على الاقل ١٦٨ رطلا  
يرفعه من رجله على راحته . ثم يصنعون دوائر كتلك التي  
تشاهد في « السيرك » .

## انواع من اللعب ..

ثم يلعبون نوعاً من ألعاب النطّة بأن يقفوا في صف واحد  
تلقوا الآخر ، وينط الاخير على اكتافهم ويحري حتى يأتي الى  
نهاية الصف حيث عليه ان يدور دائياً ويستقر كيفما يستطيع  
على رأسه او كعبه . وهذا عملٌ جداً ولا يؤلم احداً في  
العمل العميق

ويشارك الجميع الا احناء في هذه الرياضة البدنية ، غير  
ان عواد ، وهو بدوي المولد ، يسير في اللعب بوجه مصغر  
نوعاً ما . فالفرد لا يلعبون قط للعباء كما يفعل عرب المدن ،  
وليس لديهم القوى العضلية التي للآخرين . وعلى أية حال ،  
فقد انتقم عواد لنفسه بأن اخفى قليلاً من الجهر في الأرض  
بشكل مُرذ وبين آونة وأخرى بطلاً شخص ما على هذه  
الفتاخ بقدميه الخافيتين ، فتكون هناك صرخة . وتسلية  
كبرى تسبب أيضاً بأن يرمي ا واحد في اللعبة القديمة  
بالدوران على الرأس ثلاث مرات مستقراً على عصا قصيرة ثم  
محاولة التمس على خط مستقيم ويعتبر هذا مضحكاً جداً ،



وهم محبوا يريدون أن يلقوا فوق ( حنا ) ، وعندما يحملونه  
يحاولون يرتبون أن يجرى إلى النار .

وأحسن لعبة ، في رأيي ، هي شيء ما يشبه تلك التي  
يلعبها البحارة ، أحياء في سطح المركب . فيضعون عباءاتهم  
جميعاً في كومة واحدة ، وعلى رجل واحد أن يقوم بحراستها  
ثم يرقص الجميع حوله ، ويحاولون أن يسرقوا الملابس بدون  
أن يمسوا .

ولإبراهيم طويل عظيم في هذه الرياضة ، وهو يدافع عن  
الكومة بيديه الضخمتين ورجليه ، مددا ضربات شديدة نحو  
من لا يأخذ حذره ، بحرزا - كما الخيل - كثير أمن الدرجات  
ويتلقى عدائه بشكن خاص - وهو غير محبوب من  
البقية بسبب سوء طبعه - يتلقى ضربة نظيفة على رجله  
بركعة كما تركل كرة القدم تقريبا .

وتكاد تنشب معركة . غير أن عواد الخاذق يحول الموقف  
بأن يسرق بندقية ، ويطلق النار فجأة من أعلى القلج ،  
ويتدحرج على الرمل ليمثل غزوا . وهكذا يمر المساء ،  
وعندما نعود إلى مخدعنا الخاص نشاهد شفق البروج في غرب  
السماء للمرة الأولى .

كانت هذه آخر ليلة لنا في النفود ، ومثلت ذكراها لنا  
كمقاس لسعادتنا ، حين كنا حبيسي الجدران في حائل ، أو  
مسافرين في أراض أقل إمارة للسور .

# الوصول الى ( قنا )

وفي اليوم التالي بلغنا ( قنسا )<sup>(١)</sup> ، أول قرية في جبل  
شمر ، والجبال نفسها بعد ذلك يوم ، ( الجبل السعيد )  
التي ظلت طويلا هدف حجنا .

## ذكريات رائدة

٢٣ يناير : ( ١٨٧٦ م )

انه حلم أن تجلس هنا ، تسجل يوميات على صخرة في  
جبل شمر . وحيناً أتذكر كيف قرأت ، منذ سنوات تقريبا  
بلجريف ( الرومانتيكي ) الذي لم يصدق أحد ، عن دولة  
مثالية في قلب بلاد العرب ، وعن أرض سعيدة لم يرها أحد  
سواه ، وكيف بدا كل ذلك مستحيلا وغير حقيقي ، وكيف  
جميعا ، مؤخرأ أثناء سفرنا ، عن محمد وحائل وجبل شمر  
هذا نفسه ، يتحدث عنه بنوع من الرهبة كل من سمع باسمه ،  
حتى البدو ، ومنذ اليوم الذي أجاب فيه في حلب السيد من .  
عن امثلتنا الفاضلة عنه بقوله : « من الممكن الذهاب إلى  
هناك . لم لا تذهبون ؟ » .

(١) قنسا - بلخ القاف واليون بمعنى القف مقصورة ، ومن عادة سكان  
لك الجهة ان يطغونها بامكان القاف ( قنا ) وهذه الصورة كتبها الرحالة .

واني لأشعر اننا قد الهزئة شيئاً ما لا يتاح لكل واحد ان  
يلعبه .

## لو بلد يشبه «جبل مسمر»

وبصرح ( ولنفرد ) انه سيموت الآن سعيداً ، حتى لو قطعت  
رؤوسنا في حائل . وانها لقاعدة مطردة ومفضلة لديه ان كل  
مكان هو مثل اي مكان آخر تماماً ، الا جبل مسمر فلا شيء  
يشبهه ، على الاقل فيما شاهدت في هذا العالم ، الا ان يكون  
جبل مسمر ، وهو اجمل من ذلك .

## وصف قرية ( قنا )

كل رحلتنا اليوم كانت قصة خيالية ( رومانس ) . مررنا  
بلدة ( قنا ) في الصباح الباكر ، ونوقفنا فقط لسقي حيواناتنا .  
وهي قرية صغيرة جميلة ، لشبه ( جبة ) ، على طرف الرمال ،  
ولكنك تلك ما تقتصر اليه ( جبة ) ، حقول مريضة من الشعير  
الاخضر لا تحيط بها اسوار وهذه طبعاً بفضل الري ، الذي  
شاهدناه يجري ثناء انظارنا من بشر كبيرة ، ولكنهم يخلعون  
عليه منظرأ زراعياً اكثر من اعراج التخيل المصورة التي  
شاهدناها حتى الآن .

وبعد ( قنا ) مباشرة جئنا الى ( حبة ) وفي انشراحنا  
نعاضينا عن امهارة في مرج وخيلاء ، كان من ازمها ان ازلت  
تصلب اقدامها وركبت اترأ حساً فيها .

## التربة .. والذبات « وجبل مينا »

وكانت التربة مجمدة بحمال ، وثابتة ، مكونة من قساع  
( جرابيني ) رفيع ، مختلف شاماً عن تكوين الصخر الرملي  
في ( حمة ) او ( الحوف ) والرسات تغيرت هي ايضاً فالارطى  
والعادر رسات التود الاخرى اختفت ، وحل محلها اعشاب  
أندكر اني شاهدتها في وديان جبل مينا ، مع اشجار صغيرة  
احياناً من فصيلة ( السنط ) تعرف لدى الحجاج بـ ( علبقة  
مومي ) ، طلع في التربة - وايضاً نبات ذي اوراق غليظة  
خضراء عديم السوق تسمى « غيشة »<sup>(١)</sup> يقولون انه طيب  
للميون . وبين آوبة واخرى كانت تبرز صفاء متوحدة ، كلها  
من ( الجرانيت ) الأحمر ، في السهل ، أو مجموعة صغيرة من  
الصخور المستديرة ، ومنها افزع عدداً من الارانب البرية .

## روعة معالم جبل مئمة :

وكان المنظر من أمامنا حيلاً بفوق ( الوصف ) سهلاً كامل

(١) لعل الكتابة لتعدد نبات ( الجلاء ) أو ( الجلاء ) كما يسمى ببعض القبور .

الاستواء ، يتدرج في الارتفاع ، و منه انبثق هذه الصخور  
 و تتلألأ كجزائر من ورائه الجمال القرمزية اللون قريبة منا  
 الآن ، ذات طرف صيف كان هاديا لعدد أيام ، نشخ على  
 الجليج . ان معالج جبل شمر طاروعة غريبة ، ترتفع مكونة  
 من وقاد وقتنا ، تركها هناك كوة نستطيع من خلالها  
 أن نرى السماء ، أو صفاء عجيبة جافة وكأنها صخرة قد حرج  
 على خط السماء . وكانت إحدى الصخور في شكل جبل ،  
 واهـ السوف نخرج أي شخص لا يعلم أن أي حل لم يكن في  
 استطاعه أن يتسلق إلى هناك .

وفي الساعة الواحدة والنصف ( بعد الظهر ) عودا أولى  
 لكنر لصخرية المفصلة التي تتعصب كقلاع خارج حصن ، ثم  
 مبنعدي إلى اليسار ، وعلما كثف التكوين الرئيسي للتلال .  
 و ترتفع هذه بقعة من المسطح الناعم المنحدر للسهل ، خلافا  
 لجمال معظم التلال ، بدون فصل من الأرض المنكسرة .  
 جبل سبـ ( انطور ) هو الجبل الوحيد الذي رأيت كهذا .  
 وفي كلتا الحالتين نستطيع ان نلق على السهل ونفـس الجبل  
 بيدك . فقط نحن مصادفات من شقوق في التلال تجري وديان ،  
 مينة ان المطر ينزل أحيانا في جبل شمر . وحقا ، من المحتمل  
 ان نجد البركة برهنا على هذا لأن صحابة عظيمة سوداء ترتفع  
 خلف القمم ناحية الغرب ، وبين آونة وأخرى بدعهم الرعد .  
 كل شيء في خيمنتنا يحكم ، ومؤمن ضد المطر .

وتوجد وهدة في الصخر بالقرب من المكان الذي خبئ فيها ، وفيها صديج طبيعي مملوء بالماء . ولم تكن لتكتشفه لولا الراعي الذي جاء مع اليوم ، لأنه مستور بعيد تحت بعض الصفا ( الحرانيتية ) العملاقة ، وتصل اليه عليك أن تحف خلال كوة في الصخور ، وينمو عدد من النباتات البهيجة في وسط فجوة ، ورأينا زوجا من الحجل ، وهو طير ملون صغير يتغير صفر .

## جماعة من "شمر" ورجل من "حرب"

مررتا بجماعة صغيرة من بدو شمر ، ينقلون تخيمهم اليوم . وكان مع أحدهم باز صغير على ذلوله (الأكثر احتمالا طائر حر) . ولم يكن معهم حيل ، ولم نعثر على أثر الحصان ، منذ أن تركنا ( الشقيق )<sup>(١)</sup> .

نسيت أن أقول أننا رأينا امس بدوياً من حرب ، وحلأ صغيراً قبيح الوجه ، أخبرنا أنه يرعى غنما للامير . وحرب قبيلة تحتل الاراضي المجاورة للحدبة ، ولها سمعة شريرة بين الحجاج .

٢٤ فبراير (١٨٨٠م).

عاصفة في الليل ، أرسلنا راضي ، في الصباح الباكر

(١) الشقيق - فتح الدين عندما كان مكسورة منهل ماء من حارة والجوف .

بخطاباتها الى حائل ، لأنه لم يبق علينا أن نسبر الا بضعة أميال .

## كان صباحاً جميلاً ، ولكن ..

كان صباحاً جميلاً بعد المطر ، وللطير تغرد في الاسكات  
تفرحاً حثوا ، غير اننا جميعاً أحسنا بقلق . حتى نجد كان  
صامتاً ومنشغل البال ، لأنه لا أحد يعلم ما قد تأتي به أية  
 لحظة . وعلى أية حال ، فقد ارتدينا أحسن ملابسنا ، وحاولنا  
أن نجعل جبادتنا تبدو أكثر ناعماً .

وكنّا نوقن أن نجد « حائل » على الحجاب الاخر من الللال  
غير أن هذا كان غلطة . وبدلاً من عبورها ، ظللنا على طول  
الطريق ، غير تدريجياً نحو اليمين ، والأرض ما تزال تملو .  
وسجل ( البارومتر ) في الحميم ٣٣٧٠ ، وهو الآن يسجل  
علامة الحدار مائتي قدم

## ( اللقيطة ) و ( الوفيد ) من قرى حائل

مورثاً بفرينين مما اللقيطة <sup>(١)</sup> والوفيد تلعبان على بعد ميل  
إلى يسارنا ، ومن احدها انضم إلينا بعض الفلاحين متجهين  
إلى حائل على حبر . وهذا أكثر تحضراً من كل ما قد

(١) اللقيطة بفتح اللام وكسر القاف ، والوفيد بفتح الواو وكسر القاف .

رأينا منذ أن تركنا سورية . وقد بدأنا نصبح قلقين ومتعجلين  
لنتيجة رسالتنا ، حين ظهر ( راضي ) وأعلن أن الأمير قرأ  
خطابنا ، وأنه سيبره أن يرانا . وأمر بأعداد منازل من  
أجلنا ولم يبق شيء نقوم به أكثر من أن نركب إلى المدينة  
ونقدم أنفسنا في القصر .





## القسم الخامس : في بلاط ابن الرشيد

إلى هذا الفصل وهو العاشر من الجزء الأول من الكتاب - نتحدث التالية عن مشاهداتها في مدينة حائل في قصر الأمير محمد بن رشيد .

وما يؤسف أنها لم تلتصق لها الفرصة للاختلاط بمسافر مجتمعت المدينة كما أتيح لها في العصر - ولو قدر لها ذلك لرسمت صورة رائعة عن الحياة الشعبية في ذلك الوقت).

## وصف مدينة حائل

... ولما أتينا إلى قمة مرتفع وأبنا فجأة حائل تحت أقدامنا ، على بعد ليس أكثر من نصف ميل . والمدينة ليست بصفة خاصة مؤثرة في النفس . فمعظم بيوتها تحفها النخيل ، والور الذي يحيط بها ارتفاعه أرفع قليلا من عشرة أقدام . والبنية الوحيدة الهامة التي أمكن رؤيتها كانت قلعة كبيرة قريبة من مدخل المدينة ، هي قصر ابن رشيد . ولن أذكر الانطباع الذي اخذني حين دخلت المدينة من منطقة الجدران والشوارع الخارقة للعامة ، والذي يكاد يعطي جواً خيالياً .

### في قصر الأمير محمد بن رشيد :

وكان استيائك في قصر الأمير هو ما غيضا . ونحن ركبنا متجهين إلى هو القصر قابلت حوالي عشرين رجلاً حسي الهندام . مما جعل دليلي حس : ( أولاد الأمير ) اركلت في وسطهم يقف رجل مهيب ، في ملابس قمرزية ، ولحية في

بياض الثلج ، وممس الدليل ( الأمير ) حينئذ وأشار الشيخ  
 البنا بالدخول . ثم علمنا ان هؤلاء هم خدم الأمير ، وأن الشيخ  
 خادمه الخامس . ومرور خلال مدخل ملتو مظلم ، من الواضح  
 أنه شيد بهذا الشكل بفرض الدفاع ، ثم المجدرة الى ممر مظلم ،  
 تكلم على جانب منه أعمدة تذكر الانسان بدخل معبد مصري  
 قديم . وتكر أحد الخدم على باب منخفض ثم فتح اثاب ووجدنا  
 أنفسنا في حجرة الاستقبال . وبدأت أبنقة واسعة - ٢٠ × ٣٠  
 قدماً - وبصف من السواري الخس ، وبضء الفرقة فتحات  
 مربعة صغيرة قريبة من السطح . ولم يكن في الغرفة أثاث  
 سوى أوتاد خشبية قصيرة لتطبيق السيوف . ودعينا الى الجلوس  
 وتبدلت كلمات لطيفة وزود السؤال عن مسحتنا أكثر من  
 عشرين مرة ، مع ذكر اسم الله دائماً لأن هذا يتطلبه الادب  
 في لمجد ودار الحديث مع القهوة ، ثم وقف الجميع وموت  
 عبارة : الأمير قادم . ووقفنا نحن وحدها لقد كان الأمير في  
 هذه المرة ، دخل الأمير على رأس جماعة في ملابس أكثر ألفة من  
 أولئك الذين قابلناهم في البداية

سلمنا على الأمير ، وأبدى سروره لمجئنا ... ودار  
 الحديث . وبدأ لي ان كل شيء على ما يرام الآن ، ولم يعد  
 هناك شيء تخشاه . ومع ذلك فلم استطع أن أمنع نفسي من  
 أن أنظر بين القبضة والأخرى الى تلك الأوتاد على الحائط  
 وأن افكر في قصة ( أبناء جبر وعبيد ) الذين قتلوا غدرا في  
 نفس هذه القاعة ويبد نفس هذا الرجل ، مضيفنا

## وصف الأمير

والأمير وحده غريب . وقد يكون شعوريا مجرد وهم .  
أوحى بسمة البنا معرفتنا بحياة ابن رشيد السابقة ، ولكن  
ملاحظه أعادت إلى ذاكرتنا صورة ( ريتشارد الثالث ) وجه  
خميل ، ووجنات شاحبة غائرة ، وشفان دقيلشان ، مع تعبير  
عن الألم ، إلا حينما يتسم ، وطية سوداء خفيفة وحاميان  
مفودان أسودان ، وعيدان رائعتان . عبتان عبقشان وغادقان ،  
كعيني صقر . ولكنها أبداً تشغلان بطل من وجه أحدهما إلى  
آخر ، ثم إلى وجوه الذين يحافه . لقد كان نفس السموج  
لوجه واقع تحت وحز الضمير ، أو تحت الخوف من مفال ،  
وبداه أيضاً طويلشان ، يشبهان خليل . ولا تستقرت لحظة ،  
تعبان بسببه ، أو بأهداب عيانه عندما يتحدث . وبكل  
هذا بدا الأمير متميزاً في مظهره طويلاً ، كل جره منه يعبر  
عن ملك .

## ابن رشيد في مجلس حكمه:

وبعد حوالي ربع ساعة سار الأمير . ثم جاءت منه  
رسالة يروجوا أن نخصر مجلسه ، وهو مجلس القضاء الذي يعقد  
يومياً في هو القصر .

وفي اليوم، وهو حوالي ( ١٠٠ x ٥٠ من الأقدام ) انتظم في صفين من جميع جهاته جنود ، لبسوا كالجند الذين نراهم في أوروبا ، انهم ما زالوا جنودا بالمعنى لهذه الكلمة . واستطعت أن أعد الى ال ٨٠٠ منهم .

وقد الأمير على مقعد مرتفع يحيط به اصدقاؤه ، وبالذات ابن عمه حمود الذي يصاحبه في كل مكان يذهب اليه ، وعبد المفضل مبارك ، الذي من واجبه حراسة الأمير من لغتافين . والخطر على حياة محمد هو بسبب ما ارافقه من دعاء ، لا بسبب مركزه ، فهو كأمير ، محبوب من قبل رعاياه .

ويتقدم الناس بمرانض ويقوم حمود بقرائتها ويتولى الأمير ختمها . ولاحظت أنه وإن كان رجال البلاط يخاطبون عمدا بـ"لبق الأمير" فإن الفقراء - وقد يكونون من البدو - يخاطبونهم بـ"لبق شيخ أو صاحبه الجرد" . وتقدم أيضاً بعض الحجاج الذين هم مظالم ، ونظر في قضاياهم باختصار . لم تكن أية قضية تستغرق أكثر من ثلاث دقائق ، وفي نصف ساعة انتهى كل شيء .

## بيت للضيافة

أعد لنا بيت مزدوج في الشارع الرئيسي ، على بعد لا يزيد عن مائتي متر من القصر . كان كل شيء في غاية البساطة ، ولكن

في حالة ابهة ونظيفة وأحسننا أخيراً بعد غناء الرحلة بالراحة ولكن على أية حال ، لم يكن وقت راحتنا قد جاء ، قضى أقل من ساعة منذ وصولنا الى منزلنا ، استدعاء الأمير مرة أخرى .

## جولة في داخل القصر

وكان الاستقبال في هذه المرة خالصاً في حجرة العليا ، ومع الأمير كان حمود فقط . وكنا قد أحضرنا هدايا للأمير ، وشعرة ونخل ونحن نقدمها لتباهتها ، إذ لم يكن لدينا مفهوم عن المركز الحقيقي لابن رشيد ، ونحن في دمشق .

### في الحديقة :

نهض الأمير لتفصلاً ، وبعد ان عاد أقترح أن يربنا حديقة وسرة في حمرات ملتوية ، وأهواء ، وأبواب حديدية وصلت الى حرج نخيل . وهنا انضم اليها بعض العبيد ، حمود وببص ، وكلا اللذين موجود في حائن . كان هناك عدد من الفيرلان وروج من لوعن ، وكان أكثر ما يلفت الانتباه بما في الحديقة ثلاث بساتين وحشيش من اللوز . ثم قادنا الأمير خلال باب منخفض الى حديقة أخرى ، حيث توجد شجيرات الميراث والتوتج والرمال

ثم زحف الأمير من خلال باب مخفض ، وتبعه لنجد  
أنفسنا في اصطبل ممتلئ بأثاث الخيل ، كل مربوط إلى مدود .  
ويحتوي هذا الاصطبل على عشر فرساً ، وخلفه اصطبل آخر  
يحتوي على نفس العدد ، وثالث فيه ثمانية خيول ، وخلفه  
آخر فيه بين ثلاثين وأربعين مهرًا . وبإشارة ندية قال الأمير  
بسخرية : هذه هي خيول عبيدي !! وبالرغم من تواضع الأمير  
فهذه هي خيول ابن رشيد المشهورة والمثلة لمقتنيات فيصل بن  
سعود التي نسج حركها الخيال

## المطبخ ،

وفكر الأمير في مشهد ليس أقل انارة لاهتمامنا ، هو  
مطبخه . وهنا ويفخر لا بنفسه ، عرض لأمير قدوره وإرائيه  
خصوصاً سبعة قدور هائلة ، يمكن لكل واحد منها ، حسب  
تقدير الأمير ، أن يتسع لثلاثة جمال . وعدد منها كانت بالفعل  
في حالة استعمال ، لأن ابن رشيد يستقبل يومياً مائتي ضيف ،  
إلى جانب أهل المنزل . وقدغة الطعام اليومي أربعون خورفاً  
أو سبعة جمال . وعندما خرجنا وجدة العدد العديد من الطاعمين  
يتجمعون . كل غريب في حائل له محله على مائدة ابن رشيد ،  
وعند الغروب يبدأ اليوم بالامتلاء .

## من صفات ابن رشد

توطدت صداقتنا مع حمود وعائلته. وهو رجل يرحي بالثقة من البداية . ويقال إنه يرفض دائماً أن يتقبل هدايا من الأمراء ولم يوافق قط على سلوكه . ولو إنه ساند حبيباً ويخدمه باخلاص كالح . وصفاه بمثارة كصفات أي رجل يمكن أن يوجد في العالم ، وإلى جانب ذلك فهو ذكي ، ومطيع . أما الأمير لختلف عنه وكان من المستحيل أن أسى القصة المزعومة لاعتصابه السلطة . وهناك شيء آخر أيضاً ، عنه جعل من المستحيل أن أحس براحة في حضوره فرغم أنه يحسن السلوك بكرامة ، فإنه لا يفعل ذلك دائماً . ومن الصعب التوفيق بين عاداته الصيبانية ، أحياناً ، وبين قدرته التي قد برهن عليها . إن فيه من صفات الطفل الدلل في ثقته من موضوع إلى آخر وفي سؤاله أسئلة ثم لا ينتظر لستمع الجواب ، قطعة من سوء الطباع ليست جميعها غير ملكية ، وربما كان هذا من أثر كونه أميراً ذا سيادة وهو أيضاً مغرور بسذاجة ، كمعظم الناس الذين يتفنون دائماً على التعلق ، وهو في انتظار متصل للشأن على قوته وحكمه ومملكاته . وعيرته من المشايخ الكبار الذين رأبناه يكشف عنها بطريقة صيبانية . أما حمود فليس فيه شيء من ذلك . وإلى لا تخيل أنه يقف بالسبب إلى ابن عمه محمد إلى حد ما في المركز الذي وقف فيه « مورني » بالقسبة إلى



لويس نابوليون ، الا أن ، مورفي ، لم يكن رجلاً طيباً ولا  
مبدأً رفيعاً كعمود .

ان ، حمودا ، يقدم النصيحة للأمير ، وفي المجالس الخاصة  
بيدي رأيه بصراحة انه بالنسبة للعالم الخارجي فقط يبدو  
كاتباع الذليل للأمير .

## عن الأمير حمود :

وحمود عدة أبناء ، أكبرهم مابعد في السادسة عشرة بحور  
كل شعر طباع أبيه ، وله ثلث حائفة كشاف  
الودود ، والجمال انثالي . ومابعد ، هذا الفتى الذي يبدو  
علاماً ، مقروج ، وتعرفت بزوجه ( رقية ) وهي حبيبة  
صغيرة القدر ، صغيرة السن . وهي أحسن من ذات مذهب ،  
وأختها زوجة لعمود .

## في زيارة هرهم القصر

استأذنت من الأمير في زيارة زوجته ومعه من بخت  
السيدات ليتبينان الاستعداد . ومررت بوقت طويل قبل أن يعود  
الزمرول بالجواب . واني لأتحيل ان السيدات هنا قد يعطين  
يهدامن ما لم يردن عرض ما لديهن من حديد وجواهر غير  
رائع ما . وفي مدامية كهذه يتفنن في زينة ريسنر  
وقنا طويلا في ذلك .

و : عشا ) الزوجة الأولى للأمير يمكن أن تميزها بين  
جمهرة من النساء الأخريات ، فلها مظهر ممتاز ، وطباع تكشف  
عنها في أي مكان كانت ، وحفاً لقد عطلت على كل من عداها .  
وهي ابنة عبيد وأخت حمود ، لها كل حق انت يكشف  
نورها صديقتها ، وقرباتها ، وضررتها . وكانت ( عرشة )  
و : لؤلؤة ) الزوجتين اللتين حصرا ، يرتديان ثياباً موشاة  
بالذهب مثل ثيابها ، عليها نفس الزينة التي عليها . لكن  
: عشا ) إلى جانب ذلك كانت ذكية ومسلية ، وقادرة على  
أن تجلس الحديث منفصلاً ، بينما قل أن غامرت إحدى  
الأخريين في الاشتراك فيه ، وتقديم ( لؤلؤة ) و : عشا )  
ممتاز عدم مفاداة المدينة ، وبذلك تنقسمان على ( موشة ) التي  
يقع على عائقها أن تنبج خط زوجها في الصحراء حيث يقضي  
جزءاً من السنة ، والقيام بهذا يعتبر حفاً لكافة وبالتالي  
لا تنقبض سيدات حائل .

وحلما : وقبل مضي وقت دخلت : عشا ) وهي فتاة  
صغيرة حلوة ، قدمت لي على أنها الزوجة الرابعة ، ولكنها  
مدت كزوجة المستقبل أكثر منها زوجة الفلعل . ويبدو أنها  
الآن قد سرى بها لجرد النظر إليها واختبارها ، وأن الأمير  
قرر أن يرفضها باعتبارها صغيرة إلى درجة الطفولة . وفي  
الواقع كان الأمير يفكر بخلف مناسب يكسبه عضداً سياسياً  
يحارب الرأفة في الحياة المنزلية . عرفت أهدافه من ذلك

من خلال أسئلة عن مآل بعض شيوخ السور ، التواني في سر  
 الزواج . وأنشد يذني معين ، جاء الأمير مرتين ، وفي كل  
 مرة يظهر على الباب تقف له جميع النساء لحاضرات وزوجاته ،  
 ولا يمدن لجلوس إلا بعد أن يذهب ، باستثناء ( عمشا ) فهي  
 تربي الخدم ، أو اشارة لآلو كانت على وشك التهنؤ ثم تظل  
 في مكانها يحاني .

بينما يقف الأمير أماما يتحدث ، وفي الغالب كان بوجه  
 حديث إلى ، ويتكلم بطريقة المستهزة ، الصياغة تقريبا ،  
 التي يتكلمها أحيانا ، استفسر عن رأيي في روحاته . من هن  
 أكثر حلا وسعرا من زوجة ابن شعلان ( عيوشة ) أخت  
 الخيدي ابن مشهور أو من روحته ، ابن شعلان ، السليقة ،  
 ( تركية ) بنت جدران ، التي تركته وعادت إلى خيمة أبيها ،  
 وفي الاثنين والأربعين ساعة منذ وصولي إلى حائل ، كانت  
 الأمير قد سألني أسئلة كثيرة عن هذين السيدتين ، وأما الآن  
 احسب للمرة الثالثة بأن تركية كانت حيلة للطبقة ، وإن  
 ( عيوشة ) كانت أجمل ، ولكنها متعطشة جدا ، غير أن  
 كان مصرا على المقارنة بين كمالتين ، ولحسن الحظ ، وقد  
 رأيت ( عمشا ) و ( عوشة ) و ( ثؤلؤة ) و ( عطشوة ) ،  
 فقد كان في مقدري أن أقول بصدق انهن أخوف ، حتى  
 ( عطا ) الصغيرة المسكينة المحترقة . ولكنه لم يطلق أن  
 تصنف ( عطشوة ) مع الاخريات وقال : أوه ، عطا ، أنا لا  
 أريدها ! انها لا تساوي شيئا .

## تحليل لنفسية ابن رشد :

ان شخصيته ، كما قلت ، مزيج غريب من المقدرة الخارقة  
والصورة السببية من جهة ، والميل إلى إحصاءة الوقت والتفكير  
في ندهات حقاء ، إذا كانت هذه الأشياء تسمى غرور ، الشخصي ،  
من جهة أخرى . فمن مقدرة احكم بما رأيت من ملاحظات  
المدعية ان العناية عن أمور حاده ، وكذلك بالتركز الذي  
استطاع أن يثله ويحافظ عليه ، وأما عن طاقته فلا يستطيع  
أحد أن يشك فيها ، لأنه قد بان عنه ، للامس ، خبرته ،  
ولكن نأكله الاحقاد الصغيرة الشخصية ، التي لا تعجب احبائنا  
فب لو كانت هذه الأشياء ستؤثر في سلوكه في أزمة سياسية  
هامة . ومن أي حال ، فاني أخص أن في لحظة كهذه سوف  
تضمر كل صفات الغرور ، لأنه ، فوق كل شيء ، طموح ،  
وعزور ، إذا هو جزء من طموحه . انه يغار شخصياً من كل  
الرؤساء ذوي القيت ، لأن البطولة الشخصية ، مما في بلاد  
العرب ، ربما كانت أبرز عنها في أي مكان آخر في العالم منذ  
عهد القروسية في تحريك القوى السياسية . ولا أشك في أنه  
سوف يدعى للتدخل مع نظام ، إذا رأى ذلك ضرورياً  
ليصل إلى غايته ومع ذلك فلم يستطيع أن يقاوم رغبته في  
التحدث إلى عز ان شعلان في هذه اللحظة التي لم تكن هذه  
هي الاطلاق ، أملاً أن يسمع شيئاً يخط من قدر منافسه .

واعترف اني وجدت الأمر عرجاً ان اكابد امتحاناً عن فضائل ( عيوشة ) و ( تركية ) بحضور زوجات محمد اللاتي اصبحن بأعين مفتوحة ، وامسكن انفاسهن من شدة الانتباه .  
وارداد عرجي ، بعد ذهاب الأمير ، عندما هاجتني عشا ،  
حالا ، من جانبها ، بطلقات من الأسئلة .

وبينا كان عندها الخ في استفساراته ، ان ان فقدت صبري ،  
بعد ان وجدت نفسي محاصرة في زاوية ، وقلت متعجبة .  
« ولكن ماذا تسألني كل هذه الأسئلة ؟ لماذا تريد ان تسمع عن تركية ؟ وماذا يعبك في ان كانت جميلة ولطيفة ؟ انك لم ترها قط ، وليس من المحتمل ان تراها ! » فأجبت : « اني لم ارها قط ، ومع ذلك فاني ريت ان عرفت عنها شيئاً ، وان اسمع رأيك فيها . ربما يوماً ما قد احب ان اتزوجها . ربما آخذها بدلاً من هذه الفتاة الصغيرة ، مشيراً الى عبطا التي لم تصلح لي ، والتي لن آخذها . انها لا تساوي شيئاً ، وكرر :  
« انها لا تساوي شيئاً » . ووقفت عبطا المسكينة الصغيرة نصبت ، بعدم اكتراث بلدد ، كما اظن ، لأي لاحظت مجاها فلم استطع ان استنج حتى ظلاً عابراً للسهم او لأشبهه .  
ولحق ان بين جميع زوجاته ، عشا هي الوحيدة التي بدت لي ان لديها شعوراً شخصياً بالعطف نحو الأمير

وفي اللحظة التي ذهب فيها ، انتهلت عني بالأسئلة : من هي تركية ؟ . وادعشتني انها لم تعرف ، فهي تعرف من هو خشميدي

بن مشهور . وكان علي ان اشرح لها ان اخته غيومة تزوجت  
 صطام ابن شعلان ، وان اخبرها عن قصة زواج صطام الثاني ،  
 وكيف ان غيومة صمت على الخلاص من ضربتها ، نجحت في  
 جعل الاخيرة غير مستريحة الى الدرجة التي كان عليها ان  
 تذهب . ورفضت ان تعود منذ ذلك الحين . و ( عشا )  
 بالتأكيد تحرم علي ابن رشيد وظننت انها تخشى ان يؤتى  
 بعنصر جديد للزواج في العائلة . اما بالنسبة لمركزها فقل ان  
 بتأثر بوصول زوجة جديدة ، فهي ، باعتبارها اخت حمود ،  
 يجب ان تضمن لها مرتبتها ونفوذها ، والامير يشعوره بالثقب ،  
 لن يحرر ، فبالرغم من ان يستعين بها او بمحمود ، الذي يدين  
 بالكثير لنصره .

## في بيت الاميرين حمود وسليمان

ومن بيت عشا ذهبت الى بيت زوجة حمود ، بنت بنت  
 صئب ، ورأيت عندها رقية اختها زوجة ماجد بن حمود ،  
 وزوجة اخرى حمود . ولا سألت عن اسم ابنيها اخبرت انها  
 بنت احد الناس من شهر . وفي كل مرة اكرر سؤال ( من هو ) ؟  
 يكون الجواب « واحد » - واخيراً كان الجواب « واحد  
 فلان من حاييل من البلاد » . انها لا تكاد تعتبر انها تنتمي  
 الى العائلة . والزوجتان الثالثة والرابعة من الاقارب ، بنت  
 طلال ، وبنت سليمان ، وهؤلاء الزوجتان الأربع صغيرات

الن . اما أم ماجد التي لم اجمع عن امها فقد ماتت منذ سنين ، وحمود مثل الامير يحتفظ دائما بأربع زوجات . و ( زهوا ) بنت طلال زوجة حمود جذابة ولطيفة وذكية ، ونحيفة .

وزرت عائلة سليمان عم حمود . وسليمان عرفته في البلاط ، وهو يصبح لحيته بالهاء ، ويجب الكتب ، ووجدت غارقا بينها في غرفة الاستقبال عندما ذهبت لزيارة زوجته . وكنت آمل ان محادثته ستكون مفيدة لولا انه بمجرد ما بدأ من الحديث ، دخلت زوجته مدفوعة يتبعها حمود من النساء فجعل كتبه ومخطوطاته وخرج مسرعا .

و اقوت زوجته أعمى شخص قابلته في حائل . وجاءت زهوة ) وهي زهوة اخرى ، بنت سليمان تحمل طفلها . وكانت جميلة المنظر . ولكنها بدت تقريبا في نفس غباء امها واملاها . كل مساء كما متعودين أن تتلقى دعوة من الأمير لتقضي المساء في مجلسه ، وكان هذا دائما أحمل جزء في اليوم ، لأننا نجد بعض الزوار الذين يشيرون لأهتام . قدور أحاديث شائعة . وذات مساء كان الأمير في غاية الانشراح عندما تلقى ساء هزيمة صطام رغم أن رحلته كانوا أكثر عددا . ولا يستغرب أحد أن ينصر بجانب الأتراك لأنهم يعتقدون هناك الحرية والنصر . من الله . ولما سألني الأمير ماذا أظن عن لصطام عقل ؟ أجبت : « أخشى انه ينسى له نصيب كبير منه . إلا اني آسفة

من أجله . انه ضعيف ولا يعرف كيف يحبر قومه . ولكن  
له قلباً طيباً . وسألتني : وماذا تقولين في ابن أسير ؟  
فأجبت : ان له من العقل أكثر مما في قلبه ، ومن الأمير .  
وقال : آه ما خدوني أنت ظني بك عقل . . . والآن ماذا تقولين  
في ؟ فقلت : إن بك حكمة .

فقال : رجمود ؟ فأجبت . كلامك هنا زور عقول ، طيباً ،  
أكثر من السور الذين معظمهم كالأطفال .  
فقال : ولكننا بدو أيضاً .

قال هذا مؤمداً أن يجادل مسافضة فبدأت . فأجبت .  
« اني أحب السور أكثر . وأن يكون للمرء قلب أفضل من أن  
يكون له عقل » ثم وهو الأمير في استعواني عن الشيوخ  
الآخرين الذين يعرف أسماءهم

قال : - من أحسن الذين قابلت ؟

محمد الدوخني أفكاهم ، وفروخان بن هديب أكثرهم  
تهذيباً ، ولكن الدين أحب أكثر هو قريبك في الخزيرة ،  
فارس الجربا .

وما أفضن انه صر من هذا . وقال انه لم يسمع حسناً أو  
سيئاً عن ابن هديب . وهو ينتمي إلى البشر . ولم يكن ( أي  
الأمير ) على وفاق مع أي من البشر باستثناء ابن مرشد الذي



زواره منذ سنتين . ان ابن رشيد تأكل الفيرة من كل من له  
أقل حصة في الصحراء .

ولقد أدهشنا ، على أي حال ، ان نجد مطلقاً على كل  
شيء ، وعارفاً عن كل انسان في أقصى الشمال ، ونحن مهتمون  
كثيراً ، من حيث انه قد حل لنا احدى المشاكل عن نجد التي  
طالما حيرتنا ، وتلك هي العلاقات التي تربط قبائل جسر  
شمر مع قبائل الشمال . فقد أخبرنا الأمير ان شمر الذين في  
الجزيرة وشمر أنباعة ومسدون أنفسهم أقرباء قرابة رحم  
وقال : وان دعاء خيولنا واحدة .

## عربي يرطن بالانجليزية

لم تكن قد تحدثنا طويلاً مع الأمير وحمود حينما قدم لينا  
رجل حين تبدو عليه الملاحظة . وكان من الواضح انه ليس من  
حائل ، لأن ملامحه كانت غليظة . وعبابه شربة . وتحدث  
بلهجة بغدادية قوية . وكان يخاطبه كل فرد وبالطرح ومن الخلق  
انه كان ينتمي الى الخبيج . ولكن ما لدي شيء من هذا ؟  
واقترح السير بسرعة فوجدنا مكاناً مائتة بيضاء وبيد حمود ،  
انتهى الزائر إلى ( ولورد ) ، وهو روج الكاف . وبدأ  
يخاطبه بلغة حسنة في أول الامر ثم انما هو لم نود جواباً  
قال متعجباً بالعربية . ثم أقبل لك انه ليس من الانكليز ؟  
ثم استعجب ، ولورد ، وشفت انه كان حلي وهذا في احدى

بواخر شركة الهند البريطانية على الخليج الفارسي وان الثقة التي تحدث بها كانت الانكليزية وكلمتان اثنتان فقط نجحنا في تغييرهما Werry Good Chief Engineers وبكرتنا عرفناهما وأعطيناهم بقابلتهما بالعربية اعترف ببولتنا . ثم صرف الرجل إلى حال سيده .

## صانع من حائل

وفي وقت متأخر من المساء قدم صانع محلي ، اسمه عدد من السلع من صنعه في حائل . كانت جميلة ولكنها لم تكن مثيرة للاهتمام أو عذبة الشبه بما يمكن أن يرى في أي مكان آخر ، مقابض خناجر وغمد ، وبعض حلي . وعنى أي حال ، فانه هو الرجل الذي قد صنع كل المقدض الذهبية للسيوف التي يلبسها أفراد العائلة . واختبرنا هذه موجوداتها متقة الصنع .

## أطراف حادثة

ولعل أطراف حادثة في ذلك المساء، وهي إحدى الحوادث التي لم تكن مستمد من هناك كانت إبداع الأمير المقاجي، واحدة من هذه اللعب التي تسمى ( التلفزيونات ) وكانت في السنة الماضية بدعة جديدة في أوروبا فقد جعل الأمير اثنين من عبيده ليقوم بالدور معه ، أحدهما خارج السور . والآخر

يضمن . وصلت الرسالة بنجاح ، فالعدد الذي في الخارج ،  
 ليجعل الامر اكثر وثوقاً ، يصبح دأ على صوته . يا عبد الله  
 وابن امي ، الامير يريدك ، وعدك طبع شبيهة بهذا . وعموماً عن  
 دهنه عظيمة ، كما يقضي الواس ، ، ، ، ، لقد كانت المرة  
 الاولى التي رأينا النعمة فالعص ، و هو امر قريب أن تجد الختام  
 حديثاً كهذا قد وصل إلى حائل

## القسم السادس : حكم ابن رشيد

( في الفصل العاشر قسمت المؤلف ابن رشيد ، شخصية  
لميت خوراً - وما زال لها دور متقلبه -

وفي هذا الفصل تقدم الدور والمروج - الأرض والناحر  
والقاريخ ، العوامل التي تلاحت ولما اخلت فيما بينها ليكون  
نتاجها حياة هذا الجزء من جزيرة العرب ، في تلك الجبل ،  
ثم لأجيال تأتي من بعده .

« سأحسن الصنيع : فالناس يحبونني » والصحراء  
ملكبي ، وقوتي هلال ، وأملى التفاضل يقول إنه  
سيكون بدرا ، .

شكبير

هذا الفصل هو نتيجة تحريراتنا التي أجريناها ونحن في  
حائل ، عن الحالة السياسية وموارد البلد . ولن ندعي الدقة  
القاطعة ، وخصوصا في الأرقام الواردة ، الا أن ما سنقدمه  
هنا سيساعد في اعطاء فكرة عن موع الحكم الموجود في بلاد  
العرب ، والمقدرة على الحكم الذاتي لدى العنصر العربي .

## طبيعة السكان :

ان الدستور السياسي لجبل شمر عجيب للغاية ، ليس فقط  
من حيث أنه غير شبيه بما هو مألوف لنا في أوروبا ، بل ربما  
كان فريدا ، حتى في آسيا ، وفي الحقيقة ، يبدو أنه يمثل  
شكلا قديما من اشكال الحكومة خاصا بالبلدة ، كما يبدو أنه

قد تبع بالطبع من الضرورات الطبيعية للأرض ، وخصائص سكانها . واني لأنتظر إلى حكومة ان رشيد في كل الاحتمالات أنها مطابقة لحكومات ملوك العرب الذين أتوا لزيارة سليمان ، وملوك الرعاة الذين سيطروا في وقت أقدم على مصر وبابل ، ولا أشك كثيرا في ان نجاحها يعود إلى أنها في الواقع في تناغم مع أفكار العرب والتقاليد العربية .

## الصحراء :

ومن أجل فهمها على الوجه الصحيح ، ينبغي للمرء أن يدخل في اعتباره ماهية بلاد العرب ، وخصائص العرب ، واسلوب الحياة . ان شبه الجزيرة كلها - ما عدا اليمن وبعض مناطق حضرموت الواقعة تحت تأثير الرياح الموسمية في اقليم صحراوي بلا مطر ولا مياه ، بكل معنى لكلمة صحراء . فالقرية قليلة ، مكونة أساساً من حصباء أو رمال ، وغير صالحة للزراعة باستثناء بعض بقاع محفوظة ، وبالقمل فالزراعة غير ممكنة اطلاقاً في نجد ، إلا بمساعدة الري ، ولري من الآبار فقط إذ لا يوجد ماء على سطح الأرض وحتى الآبار دائمة . والصفة العامة لهذه المنطقة الوسطى ، لشبه الجزيرة ، هي تجود واسعة من الحصاء تكاد تكون خالية من النبات ، وغير قادرة على الاحتفاظ بالمياه ، حتى على عمق كبير . وقد

توجد الآبار في بعض المنخفضات في سهول منخفضة ذات  
الاقدام عن السطح العام

وحيث توجد الآبار بقدر كاف من الماء ظهرت مدن  
وقرى تحاط بالبيتين وهذه على أية حال ، كثيراً ما تكون  
متسعة بحيث تبدو مجرد نقطة على خريطة بلاد العرب ،  
و دون أن تربط بعضها ببعض منطقة زراعية ، وحقاً ليست  
مسافة أن نقول أن نجد ليس به أي إقليم زراعي ، بمعنى  
الذي نقسم به للزراعة ، وأن لا اشاعها هو من منتجات  
البيتين

## المناطق الريفية... وعدم الترابط بينها

وما دامت الحال على ما ذكره فالمنطقة الريفية لا يوجد  
وكي مدينة منفصلة عن جاراتها إلى درجة كبيرة وتحيط  
الصحراء بها ( أي المدن ، كالبحر ، وليس بينها أية نقطة  
اتصال في شكل حقول أو قرى أو حقن مراعي ، أنها منعزلة  
بأدق المسر الطرفي لكلمة ، ومن هذه الحقيقة تنبع الفردية  
السياسية ، التي ظلت لغاية مركزة دائماً لرعايتها ، كل مدينة  
دولة مستقلة .

وفي نفس الوقت ، فالصحراء من حولها ، ولو أنها لا  
يحوزها سكان مستقرون تتجول فيها القبائل البدوية ، وهي تكون

سواد انحصار العربي. وهذه القبائل تحتل معظم صحراء النفوذ  
وفيهما وحدها يوجد الكلأ الوفرة، غير أنهم يترددون أيضاً على  
كل جزء من المناطق المرتفعة ولأنهم ميلون للعرب وأكثر عدداً  
من سكان المدن، فهم يسيطرون على كل الممرات المؤدية من مدينة  
إلى أخرى، بحيث أن قطع اتصال سكان المدن بالعالم، يعتمد  
على حسن بينهم (أي البدو) وعلى هواهم.

## الحكم القبلي .. وائر البيئية :

والمدن، كما قلت، في الغالب تكفي نفسها بنفسها، ولكن  
تحتاج مختصر على منتجات البساتين من التوابك والتمر، فهي  
لا تزرع برا ولا تربي ماشية، ولذلك فهي تعتمد في الحبوب والتخمير  
على الخارج وهي تحتاج أيضاً إلى سوق لتصااتها، تسبيح  
القماش، وصناعة السلاح والواني، ومن الضروري، على الأقل  
في جبل شهر، أن ترسل قافلة سنوية إلى الثغرات من أجل الحنطة  
ولذلك فإن سلامة السفر خارج أسوار المدن هو أساسي لحياة  
كل مدينة في بلاد العرب، وعلى هذه الضرورة يقوم البنيان  
للمساعي بأكمله. فكل مدينة تضع نفسها تحت حماية شيخ  
بدوي في منطقتها وهو، ينظر إلى الآخرة السوية (الآخارة)  
بصفتها لأهل المدينة سلامة خارج أسوارها ممكناً لهم بذلك  
من السفر في غير مضايقة على طول امتداد سلطته. وهذه في  
حالة ما تكون القبيلة قوية، قد تبلغ مئات الأميال، وتضم



مبدأ كثيرة . ويقال عندئذ أن المدينة تتبع الطبيعة القلاسية  
 ويصبح الشيخ البدوي هو السيد الخامي ومن تسميتها (أي المدن)  
 المشتركة وحرية التمازج التي نهينا لها هذه التبعية المشتركة  
 تنبعث بدور الاتحاد وتطور أحياناً إلى قومية .

وقد ظل هذا هو حال بلاد العرب دائماً ، فيما اعتقد .

ثم بلشاً عن ذلك تطور أبعد . فبين الشيخ البدوي لنفسه  
 قلعة بالقرب من إحدى المدن ، بعد أن يصير غنياً بفعل الآثورة  
 التي يشتاقها منها . ويبقى فيها خلال شهر الصيف . ثم بالهية  
 المستعدة من مركزه كبدوي ( لأن الدم البدوي لا يزال يعتبر  
 هو النفس ) وقوته التي تظهره في الصعراء يصبح بسرعة هو  
 الحاكم الفعلي للمدينة ، ويتحول من حامي للمدنيين إلى صاحب  
 سيادة عليهم . ثم يكرم منذ الآن بلقب أمير ، ولو أنه بالنسبة  
 للبدو يظل شيخهم ، ثم يصير ملكاً على كل المدن التي تدفع  
 له الآثورة .

## بلاد نجد لم تخضع لحكم اجنبي

هذا الشكل من أشكال الحكم ، وهو يقوم على أسس طبيعية  
 قد ظلت البلد تعود إليه دائماً ، كما نجحت في أن تحرر نفسها  
 بعد فترة من الطغيان الاجنبي أو الداخلي وقليل هو المعروف  
 عن بلاد العرب في القديم ، إذ لم تدخل ضمن نطاق الامبراطورية  
 الفارسية أو المندونية أو الرومانية ، ومن المحتمل أن نجد

عاشت تحت نوع الحكم الذي وصفته حتى زمن الرسول ﷺ وبعد ذلك أول زمن قصير صارت جزءاً من الامبراطورية الإسلامية وشاركت في الادارة المركزية أو شبه المركزية للخلفاء ، التي استبدلت حكمها ثيوقراطياً ( دينياً ) بالاشكال البسيطة التي سبقتها . ومع انها مهد الاسلام ، فلم يكن هناك جزء من الامبراطورية العربية أسرع في التمدد من بلاد العرب ذاتها . ففي القرن الثاني لعصر الاسلام ، عادت شبه الجزيرة كلها تقريباً الى استقلالها القديم ، ولم تدخل تحت نجد منذ ذلك الحين ، الا مؤقتاً في نطاق النظام الامبراطوري لابي ملك اجنبي أو مملوك .

## دعوة الشيخ محمد ، وقيام الدولة

### السعودية

وفي منتصف القرن الماضي على أية حال ، تماماً مثلما أكد الرسول ﷺ سلطته الروحية على شبه الجزيرة ، أسس أمير العارض الوهابي (١) حكومة مركزية ثيوقراطية ( دينية ) في

( ١ ) كلمة « وهابي » أو « وهابية » مما اطلقه اعداء الحركة الإصلاحية الدينية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحده . فاصبح « عبد » الحركة يطلقون على معتقلي تلك العظيمة الإصلاحية ومزاوليها ذلك القلب . ويطلقون على الدولة السعودية التي أدارت الشيخ عبد الوهاب الوهابية . واضطروا للمحافظة على الأصل ايراد الكلمة كما اوردتها الكتابة الإنجليزية مع اعتقادهم بعدم صحة إطلاقها على تلك الدعوة الإصلاحية . ( الترجمة )

بلاد العرب . فجرد الأمراء السود واحداً بعد الآخر ، وقامت  
 امبراطورية عربية جديدة . وهذه لم تشمل جميع نجد فحسب  
 ولكن أيضاً ، وفي أحد انحرافات ، اليمن ، والجزيرة ، والاحساء ،  
 والصحراء الشمالية حتى خط عرط دمشق ، ولستين سنة حلت  
 تقرصاً حطيم استقلال كل المدن والقبائل الداخلية ، واستبدل  
 نظام امبراطوري بالنظام القديم . وحكم أمة نجد من آل سعود  
 حكم لا يقبل ولا يزيد عن حكم الخلفاء الأوائل ، إلا أن حكمهم  
 انمر إلى نهايته في سنة ٨٠٨ . حينما فتح الترك نجداً وأخذ ابن  
 سعود الحاكم أسيراً وقطع رأسه في القسطنطينية ، ثم عند  
 جلاء الترك ولأهم لم يستطعوا الاحتفاظ بنفهم طويلاً ، أكد  
 حكم الرعاة هذه مرة أخرى ، وأصبحت إمارة جبل شمر

## ٢٠ تأسيس حكومة ابن رشيد .

وفي سنة ثمر هي الأولى في شمال نجد . وقد وضعت مدن  
 حائل ، وقطر ، وبقعا . وبقية المدن الأخرى ، نفسها تحت  
 حماية عبد الله بن رشيد الذي نجح في أن يكسب لنفسه سباحة  
 ثمر ، ويبدو أنه كان رجلاً ذا مقدرة عظيمة ، واليه تنسب  
 سياسة الحكومة التي قابها خلفاؤه من بعده . اتخذ مقامه في  
 حائل ، وبنى للقلعة هناك ، وكسب الاعتراف لنفسه بالإمارة ،  
 كدسج في السعدية لابن سعود ، الذي ظهر مرة أخرى في  
 الدرعي ، ثم ، في نهاية ، لحسابه الخاص . ويبدو أن سياسته  
 كانت أولاً أن يسترضي قبائل نجد الأخرى ، وأن يخضعها ،  
 بجوراً إياها على أن تصبح تابعة لقبيلته ، ثمر ، وثانياً أن يقيم

حايته على جميع مدن الشمال . وكانت هذه خطة غاية في البساطة ، قد يتوصل بها أي شيخ بدوي ، غير أن جدارة عبدالله تكمن في طريقة تطبيقها . لقد رأى لكي يكسب هدفه ، أنه يجب أن يستثير الأفكار القومية والعصبية القومية ، وكان ينفق الأمانة التي يستمدّها من المدن بسطاء في الصحراء . ويمارس كرماً لا حدود له تجاه كل شخص يصادف أن يزوره . أعطى الهدايا للجميع ، وهرم بعضهم ، فيعودون إلى القبائل باضطرابات ضخمة عن ثروته وقوته ، وهذا كسب أصدقاء عديدين وبمساعدهتهم استطاع أن يخضع القبيلة من أعدائه ومنافسيه وفي معاملته هؤلاء يدور أنه دائماً كان يحاول أولاً طريقة الاسترضاء ويكتفي ، إذا أجهز على الالتجاء إلى السلاح ، بمصر واحد ، متخذاً من انتموين أصدقاء ، وحق أنه يعيد إليهم ممتلكاتهم وهو محل من أعمال المروءة بلقي كل تكدير في الصحراء .

وبهذه الوسيلة تجاوبت قوته وجمعه بسرعة ، وكذلك اخوه وساعده الابن عبيد ، الذي هو الآن بطل اسطوري في نجد .

## عبد الله بن رشيد وثروته ..

وأمر آخر أولاء مؤسس دولة آل رشيد انبثاها كبيراً ، هو المالية . فلرغم من صرفه سرياً مبالغ ضخمة على الهدايا والضيافة ، فإنه اجتهد ألا تتعدى هذه المصاريف دخله ،

وعند موت ترك داراً مملوءة بقطع النفقة ، طبقاً لتقرير شائع ، ولم يكن أحد من خلفائه - ومن المستحيل بالطبع - أن يضمن بالدقة مقدار المال الدخّر ، ولكن من المؤكد أنه يمثل مبلغاً خيالياً في بلاد العرب ، وامتلاك هذا ، بجانب العيت الذي تمنحه الثروة في بلد فقير ، هو مصدر هائل للقوة .

## الحالة السياسية والإدارية

وأخيراً ، فإن عبادة ، وكل عائلة ابن رشيد ، قد وهبوا قسماً وافراً من المنطقة ، فيما من مشروع هام اتخذ فيه قرار على عجل ، ومن المؤكد أن جميع شئون الدولة الآن تبحث في مجلس عائلي ، قل أن يتخذ أي أمر ، ويبدو أن القاعدة دائماً عند آل رشيد أن يفكروا مرتين وثلاثاً أو اثني عشرة مرة قبل أن يبرموا أمراً ، حتى أحمد محمد الصيفة تجاه أبناء أخيه قد أمعن فيه النظر ، وفكر فيها شهوراً قبل القيام بها ، وهم في سنوهم نحو الـ ١٠٠٠٠٠ سلاطين الترك ، ينتظرون دائماً الفرصة المناسبة وينجسرون انشغافاً عالياً ، ومن المدهش جداً أن كثيرين من هذه الأسرة رجال متفوقون ، فمن الصعب أن تقول من هو أقدرهم ، عبادة ، أو عبيد ، أو طلال ، أو محمد ، أو ابن عم حمود . وليس الجيل الجديد أقل في ما يبشرون به .

ويبدو أن واحد جميع قبائل شمل نجد في نوع من الاتحاد

تتعددي ، أصبح عند الله بطبيع السيد الاعلى في جميع المدن ،  
إلا أنه لم يكلف بمجرد السلطة ، بل هدف إلى جعل حكمه  
عقوبياً ومن مغايرة ومفسد خلدائه أنه ما من أحد منهم ،  
فيه يسر ، قد أساء استعمال مركزه .

## سياسة آل رشيد :

وقد كانت سياستهم مطبوعة بطابع التحرر ، والاسترضاء  
المفرودين بالتفويض بالقوة في المناسبات ، وطلقت هذه السياسة  
بالسبة لسلطان المدن والبدو ، وهذا وضعوا حكمهم على القاعدة  
المنصوصة الوحيدة الشعبية ، وقد كان على آل رشيد في أيامهم  
المتكررة أن يجازروا من أحسن مركزهم في حائل ، ثم في الجوف  
وسكاكا ولكن حكمهم الآن معروف به باختيار في كل مكان ،  
وبجهاة في جبل شمر .

وإن لعراية مفاجئة بقايلها الماسر الجديد من تركية إن  
يسمع التعليقات التي يطلقها سكان حائل عن حكومتهم ، فهو  
المتحير إن تعادلت عشر دقائق مع أحد منهم دون أن  
يؤكد لك أن حكومة الأمير أحسن حكومة في العالم .

( المحدث ) بلدنا محظوظ ، الأمر معاً يختلف عما هو مع  
الترك والفرس . الذين حكومتهم ليست حكومة . هنا نحن  
في معادة ورغاء ، المحدث ) . ولقد أدهشتني هذه المعرة  
القومية .

## الجنر؛ والمحافظة على الأمن

وفي حائل يعيش الأمير في أهلها ، وله حرس مكون من ٨٠٠ أو ١٠٠٠ رجل لهم نوع من الزي الموحد ، أثواب بيضاء و كواشي ( غتر ) حمراء ورق وملحون بسيف مقبضها من الفضة ، ويوجد هؤلاء من بين شباب المدن والقرى بالاختيار ، والذين يرغبون في الخدمة يسجلون اسماءهم في القلعة ، ويستدعون اذا تطلبت ذلك مناسبة ، وواجباتهم خفيفة ، ويعيش معظمهم مع عائلاتهم ، ولا يشقون رواتب ولا أروافاً الا حينما يستخدمون بعيداً عن مواطنهم في حملات القلاع الثانية وفي الحروب . تكاليفهم «نفسه للأمير» إذت ، تزيد قليلاً عن تكاليف ملابسهم وسلاحهم . واليهي توكّل عمال الشرطة التي قد تكون ضرورية في المدن ، الا أن من التامر ان تحتاج سلطة الأمير سداً آخر غير سد الرأي العام . وعرب نجد عنصر حريد في اعتداله ، وقلما يدخلون في شغب أو تعكير لصفو الأمن ، فان ثار نزاع بين المواطنين فانه يسوى في الحال بتدخل الجيران ، وسداً المشاغبة والعنف المعروفين في المدن الاوربية غير معروف في حائل وحينما لا تسوى الخصومات بتدخل الاصدقاء ، فإن المتسارعين يذهبون بقضاياهم الى الأمير ، وهو يصدر قراره فيها في محكمة مفتوحة ( المجلس ) وكنته نهائية .

## النظام والقانون

ويخيل لي أن قانون القرآن ولو أنه بشار إليه ، ليس هو القاعدة الرئيسية في قرارات الأمير ، وإنما العرف العربي ، وهو سلطة أقدم بكثير من الشريعة الإسلامية . وأشك في أن هناك ضرورة لتدعيم هذه القرارات بقوة الجود . وقد أكد لي باستمرار أن السرقة غير معروفة في حائل ، غير أن قطاع الطرق أو الصوص الذي يضبطون متلبسين يفقدون بدأ واحدة للجريمة الأولى ورؤوسهم للجريمة الثانية .

وفي الصحراء ، وفي كل مكان آخر خارج أرباب المدينة ، يقوم البدو بحفظ الأمن ، والأمير يرضي معهم سرّاً من تمام وهو عندئذ ليس بأقل ولا أكثر من بدوي . فيخلق عليه بكل طرف المدينة ويطلق بحرية ، ويعيش جواً في صحراء النفود وعادة يقوم هذا في بداية الربيع ، والربيع هو فصل حروبه وعندما تبلغ حرارة الصيف أقصاها يعود إلى حائل .

## الضرائب والنفقات

وتقدر النفقات التي تصفها كل مدينة وقوة طاقاتها من أشجار النخيل ، ومن الأغنام التي يحتفظ بها أهل المدن مع البدو . واعتقد أن كل شجرة بدفع عليه أربعة قروش .



وتعفى الأشجار دون السبع سنوات . وفي حائل يقوم أعوان  
الأمير بفرض هذه الضريبة ، وفي الأماكن الأخرى يقوم  
بذلك الشيوخ المحليون ، وهم مسئولون عن جبايتها إذ  
استحقاقها . وفي الجوف وسكاكا ، اللتين لا تزالان لقطيعين  
فما حديثا ، ينش ابن رشيد وكيل ، ويقوم بفرض الضريبة  
في شكل نقود ، والعملة التركية هي وسيلة التبادل المعترف  
بها في كل مكان .

## الذهل والعروقات

وردون ادعاء الدفعة فقد أجريتا عمليات حسابية وفقدرة  
أن دخل الأمير من جميع الموارد ، أداة وضريبة ، يمكن أن  
إلى ٦٠ ألف جنيه سنويا ، ورسم مرور الحج في ممتلكاته  
يمكن أن يأتي لخريفه يبلغ بفروج بين ٢٠ و ٣٠ ألفا من  
الجنيهات .

أما فيما يتعلق بمصروفاته ، فربما كان حسابها أسهل فهو  
يدفع مبلغا ضئيلا كأداة لشريف الدفعة ، كقرىبان دهي من  
جهة ، وبعض حصانة لممتلكاته شاذية ، كخبير ، وكاف ،  
وغیرها ، من اعتداء لاثراك ، وموت أخمن هذه الأداة بين  
٣ آلاف جنيه و ٥ آلاف جنيه ، ولم أستطع أن أؤكد من  
الرتب الخلفي ونقبات الأمير على حيث مع المدعي المدرجة

استأجروهم تحت الخدمة وكل مصاريف الحكومة لا تكاد تبلغ أكثر من عشرة آلاف جنيه .

وقد تبلغ مصاريف منزله ٥ آلاف جنيه ومصاريف الاسطول ألف جنيه . وأضخم بند في ميزانيته هو بند الضيافة . محمد بن رشيد تطلبه لأسلافه يضم يرمياً بين مائتين وثلاثين صيف ٠ ويكثر الفقراء ٠ وتعلم الهدايا من الخيال والملايس للأغنياء الاغراب ٠ القادمين من بعيد ٠ والرجية قتال من دور وخم جمال ٠ وأحياناً لحم صائفة ، ويحاسب ذلك تقدم الكعجا<sup>(١)</sup> والقهوة والنسر مستمرار ٠ ولا يمكن تقدير ذلك بأقل من ٥٠ جنيتها في اليوم ٠ وليكن ٢٠ ألف جنيه سنوياً ٠ أو مع الهدايا ٢٥ ألفاً من الخبثات وعلى ذلك تكون الميزانية في حدود ٤٠ ألف جنيه نفقات مقابله ٨٠ ألف إلى ٩٠ ألف جنيه دخلاً - وهذا يتحقق دائماً لا بأس به من أجل الحرب وحوادث اخرى ٠ والتكديس في الخزنة وهو أمر تقليدي في آل رشيد ٠ وعلى أية حال فمن المضم على أن أقول مرة اخرى أني أحن فذلك ورعاً مما من إنسان في حبل شعور ٠ ما عدا الأمير نفسه وجوده يستطوع أن يصنع أكثر مما غلت ٠

(١) الكعجا: نوع من الخمر يسمونه الخمر ويصنع منه السكر . يذوق حتى يبيس ويقتل . وقتاً طويلاً . والكعجا ادوية كثيرة أو بطوعة في رحلته ( المترجم ) .

## الازدهار في جبل شمر :

وسوف يوضح من كل هذا أن جبل شمر في حالة ازدهار ،  
من الناحية المالية . فلعنة تسليف النقود لم تغز بعد ، ولا  
يخطئح لا الأمير ولا الشعب أن يصرف شئاً بنسات زيادة  
عما لديهم .

وحتى الآن ، ليس هناك أشغال عامة في سبيل الانجاز تحتاج  
إلى نفقات عامة ودون عام . ومن الصعب أن نتصور مكوث  
هذه الأشغال العامة . وحفر بئر جديدة هي الواجب الوحيد  
الوحيد الذي يمكن أن تقوم بتنفيذه جماعة ، لأن الطرق  
غير ضرورية في بلد كلها أشنة بطريق مرصوف والمصاه ،  
وليس هناك من أنهار حتى تنشأ قنوات أو ضواحي حتى يحتاج  
سكانها إلى انعام ويمكن للمرء أن يفسأ شقة أن مر استخدام  
المخار في القل سوف يكون قد نسى حتى قبل أن تفصل  
السكة الحديد جبل شمر

## لا يحكم العرب إلا العرب :

وبالنسبة لشكل الحكومة ، فهو حسن فقط لأنه فعال .  
وإنه لأمر عظيم مطابق لآلة الأتاتوركية السياسية الأوروبية أن  
تستقر السلطة العليا في أيدي كادو . لا أن هذه الأيدي هي

الوحيدة التي تستطيع أن تدبرها في بلاد العرب . فالمدينة لا  
تستطيع أن تقهر الصحراء ، ولذلك من أجل العيش بسلام  
يجب أن تقهر الصحراء المدينة .

## عجز الترك عن حكم الصحراء :

والترك بكل جهازهم الإداري وسلطة الثروة والقوة  
العسكرية لم يستطيعوا قط أن يؤمنوا أرواح وأموال المسافرين  
في الصحراء ، وقد ظلوا في بلاد العرب لا سلطان لهم في  
السيطرة على غير المدن . حتى طريق الحج من دمشق ، رغم  
أنه آمناً في يدهم ، لا يمكنهم عبوره إلا بجيش وغناطه  
عظيمة .

## الاستقرار والامن

أما ابن رشد فيجبره تأثير ارادته ، يحفظ كل الصحراء في  
سلام مطلق . وفي جبل شمر بأكله وهو من أفقر الصحاري  
ويكفيه ناس من أشعر من في العالم ، يمكن للسافر أن يسير  
بلا سلاح ولا حراسة . بلسميلات أو غنيمات أكثر مما لو كان  
يسير في إحدى طرق ( إنجلترا )

وعنى كل طريق في جبل شمر ، يمكن أن نجد رجلاً من  
المدن يتكاثرون على حيرهم ، أو على أقدامهم وبفردهم ، يحضون  
كل ما يملكون . وإذا سألهم عن غناطه الطرق أعادوا إليك

المزاول : ( أو لمسا في بلاد ز وجهد : ) . ان يستطيع أي  
 قدم : مها كان كاملا ، من نظم العاصمة والحصون والحرر  
 أن يأتي بشتائج مثل هذه والأمير البدوي في المدينة ، على  
 اسمه ده وقع تحت صمد بحكم من الرأي العام .

## النظام والقانون :

ومواطنوا جبل شمر ليس لهم مسميه بحقوق الدستورية ،  
 وليس ثمة جهاز مهم لتأكيد منطتهم غير أن من المحتمل أن  
 ليس هناك مجتمع مسا في العالم القديم ، يارس فيه الشعور  
 الشعبي نفوداً على الحكومة أقوى ، في حال . فالأمير ، مها  
 كان غير موزل في أعماله الفردية ، يعرف جيداً أنه لا  
 يستطيع أن يخطئ القانون التقليدي غير المكتوب في بلاد  
 العرب دون أن يال جراه ، فالشيخ غير المحسوب سينوقف  
 عن أن يكون شيخاً ، ورغم أنه لا يجرّد من مركزه واحتفال  
 عام ، ولا يس بتجريح في شخصه ، إلا أنه سيجد نفسه قد  
 أهل لصالح عضو آخر من عائلته أكثر قبولاً لدى الناس  
 وحسن المدينة لن يستندوا طائفة معترفاً به في المدينة ، ولا  
 البدو خارج المدينة سيفقدون ذلك . وإذا كان أمر بلاد  
 العرب عنهم أن يعتبروا الرأي العام قل كل شيء آخر .

# فوضى ورائة الحكم

ولعل الخلل في التنظيم ، ولكل نظام خلل ، هو في التباس حق الخلافة في الشياخة أو العرش البدوي . فعند موت الأمير ، إن لم يكن له ابن في سن الرشد وذى مقدرة معترف بها لينتقل مقاليد الحكم ، يقوم النزاع المسلح بين المتنافسين - من اخوة ، وأعمام ، وأولاد العم على الخلافة ، وكثيرة ومبررة هي الحروب التي نشأت نتيجة لذلك . ومن ذلك ، الخصومة التي هزت المعارض عند موت فيصل ابن تركي آل سعود ، وقادت إلى تحلل الشكبة الوهابية (١) .

## اللائبة كانت تتوقع النهاية

رعل هذا ، فلا يستطيع المرء أن يكتم مخاوفه من أن يكون هذا هو مصير جبل شمر عند موت محمد . فليس لعدم أبناء ، وأبناء حلال وهم الذين بنوه في سلسلة العرش ، لهم من

---

(١) كلمة ( الوهابية ) من الكلمات التي أضفها أعداء الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - على تلك الدعوة ، تمييزاً للناس عن قبلها . وقد شاعت من أصبحت هذا لتلك الحركة الإصلاحية . والدولة السعودية الشكون التي أودتها ونصرتها . والكتابة عربية لا أنهم مدونوا . فاستعملتها كتبها من الكتب الذين يحملون منها .

حمود مدافس خطير. والأمير ما زال صغير السن ( ١٥ سنة ) وقد يعيش طويلاً ، ويبدو ، إذا حدث ذلك ، أن خلافة الملكية الوهابية في يديه. لقد صنع هو وأخلاقه ، اتحاد جميع مشايخ البندو ، من ( مشوه على إلى المدينة ، تحت قيادته ) وهو على صلة قريبة بمشايخ القصيم والعارض. وسلطته مهيمنة شاملاً حتى ( كاف ) . وعيناه ترصدان عدداً أبعد إلى الشمال ، فيما لو تحركت ضد القيود التركية .

واني لأنتظر اليوم الذي تتحالف فيه معه أيضاً الرواة وورثه على ، وجائز أن تنضم أيضاً السبعة وأن هذا ، ولو أنه ليس من المحتمل ولا من المرغوب فيه أن يعاد تأسيس الامبراطورية الوهابية بأسسها المركزية ، فالاتحاد المعهدي بين قبائل الشمال يمكن أن يستمر على أحسن تقاليد . وقد كانت مدن حوران والمجاء والفترات ذات مرة تواضع لآل سعود ، ويمكن أن تكون كذلك يوماً ما لآل رشيد . وقد يبدو هذا بعيداً ، ولكنه ليس أبعد مما ينظرون محمد <sup>(١)</sup>

#### (١) حاشية للدولة : -

كون محمد بن رشيد لم يقرر الطاعة على محمد فهد قد ثبت مؤشراً . ففي أبريل الماضي ١٨٩٠ خرج جيش مكون من ٥٠٠ رجل من حائق ومرتزقي لشرحات وذهبت محمد بن رشيد بن سعود إلى (حرات) وملك محبته ثم واصل جبهه آل حوران . ولا يمكن دحض الحق بمشقة قبلا حين علموا قات صباح آل الأمير في ( بصوى ) عر بعد أقل من ٦٠ ميلاً من العاصمة السورية وكانت هناك تحقيقات كثيرة فأنسية لاهياهم من اقتراف شذائهم هذا الحد .

جدهم يحسن قد شوهد أي حيثى من الجحد في (الثالث) منذ أيام الإمبراطورية  
الرومانية ثم دار الحمص في ابن رشيد قد عقد صداقة مع ابن سبويه . وأن  
الحمصية بينها كانت خطأ . وأن وليلاً شرارياً قد اعتمر معزولاً عن الخطأ  
فقطع رأسه . وأخيراً أقام ابن رشيد وليمة فخمة للقاتل اشترى الفصاله وفيها  
ذبح ٧٥ خلاً . و ٦٠٠ حروف . وعده الأمير الى محمد بعد أن مكث بعض  
أما يبيع في (الأنح) .

ويكون أن أنطاهر بمعرفة عدنان يسور في نفس محمد تقديم هذه الشجيرة  
أو كل ما حدث فعلاً . يبدو في أنه ليس من الصعب تصديق هدفه الرئيسي .  
فتطلب ابن صبيح من ابن شعلان قد وضعه في مركز قيادي بالنسبة للقاتل  
اشعلان . وخدمته ضد دروز حوران . وهو قديم كان في يوم من الأيام من  
فرجيع امراء محمد . اعترف محمداً عليه ومن مبالغة ابن رشيد أن يضرب ضربة  
واحدة ثم يلحقها بحقد سلام . وبذلك يخلل من أحبة الخبيث الروماء . ويصبح  
صاحب الانعام غاية . وقد نجح محمد بهذه الخطا في أن يثقل سمعة التي يفسرها  
أكثر بين قاطن اشعلان . فقد أكد ثقوته . حين اختار أن يكون كذلك .  
في الصحراء . وفوق ذلك ذكر سكان الحسود في سورية بالطلب الرومانية  
القديمة في سورية الشرقية . وقد يمكن تصوره أنه . ولد أجير أو أفتح خولة  
على الانتماء لجماعته . قد يصبح بعد التحطم الإمبراطورية للمدافعة . في ضم ثلث  
الجزء من عبراني . ويثرب سيادته على كل الأراضي الواقعة خلف الأردن .



## القسم السابع : في طريق العودة من حائل

( في هذا الفصل - وهو الثالث عشر من - الجزء الأول من الكتاب - تقدم المؤرخة انطباعاتها عن الحياة في حائل . وعن مشاهد من نجد - وملاحظات عن العرب - ومركب الحجج لعرب - وهو مشهد قصيد احتفى عند أن حلت وسائل المواصلات الحديثة على الوسائل القديمة - وكاتب مورو وحائل معظم حكومة ابن رشيد . أشارت له الكتابة في الفصل السابق ) .

« كانت ناسل مفصورة لصيد النمرود ، ثم أصبحت  
مدينة مدائن ، والأسوار ، والقرية المذمومة وفيها مد  
يسر حذ نصر ، ملكا بين الرسل أن أن فكب على اربع  
ذات يوم قالت صيف »  
و . آء ما انص ذلك الرجل الطير الذي يعيش على  
احسان الأمراء . »  
شكبير

## حديث عن الدليل :

لقد أشرت إلى النمرود الذي وجدنا انفسنا محاطين به بعد  
بضعة أيام من وصولنا إلى حائل ، والذي سبب لنا آذاك قلقاً  
ليس بالقليل . لقد كان مصدره بعض تصرفات صبيانية من  
جانب محمد ( دليل الكتانية ) ، الذي أسكرته لحفاوة الضيفة  
التي قابله بها الأمير باعتباره من ( آل عروج ) ، وأخشى ، أن  
تدليتنا له كان له أيضاً دخل في هذا . وحتى اليوم ، لست  
مناكدة تماماً من اننا سمعنا بكل ما حدث ، ولهذا فاني أمتنع  
عن الدخول في الموضوع بالتفصيل ، إلا أنه قدر ما سمعنا ،  
يسر أن غرور محمد قد قاده إلى أن يكبر من مركزه في  
عيون رجال بلاط ابن رشيد بتقديمه كأشخاص وضعهم تحت  
حمايته ومن هم بطريق ما يعتمدون عليه ، مفاخرأ أن الجلال ،  
والخيول ، والأموال الاخرى هي من ماله ، وأن خدمنا هم  
قومه . ولتحت ظروف عديدة كان يمكن أن يكون لهذا الأمر  
نتيجة غير ذات أهمية ، وما كنا لنندمر منه بسبب تعجيد نفسه

قليل من حساباء ، مدركون ، كما كذا - اننا مدبرون بالسجاح  
في رحلتنا حتى الآن أساساً ، إلى اخلاصه

## نكدر من الأمير .. ثم صفاء : -

ولكن ، سوء الحظ ، كان الدور الذي عبته لنا هذا الشكل ،  
قد جعل علاقتنا بالأمير ليست مخرجة فحسب ، بل خطيرة  
. لذا كبد ، كان استقبالننا في البداية ودبا للغاية مما جعلنا نشكر  
أن نجد بعد أربعة أيام من وصول إلى حائل ، اننا لم نعد نخطئ  
والاهتمام الذي حصينا به حتى ذلك الوقت . فقد وقفت هدايا  
الحب ، والحرور ، الذي كنا نتحف به للعداء ، حل محل  
الحلم جميل . وبدأ من جنديين بحرسنا في الطريق إلى القصر ،  
أنش غلام صغير بموكب برسالة . وفي اليوم الخامس لم ندع إلى  
حفلة المساء ، وفي اليوم السادس ، عندما ذهب ( ولفردي )  
لزيارة القصر ، أخبره بقضاب أن الأمير لم يكن هناك . ولم  
يستطع أن تصور سبباً لهذا التغير ، وأصبح محمد ، وهو  
عادة ، المرح المشرح الصدر ، غائبا ومخرجاً ، يلضي معظم  
الوقت مع الخدم في المنزل الخارجي .

و ( حننا ) حننا المخلص ، بدأ يلح بتموض أن الأمور  
ليست على ما يرام ، وبدأ أن عداثه وبقية الخدام المسلمين  
غير عازمين على القيام بواجبهم . وقد ذكرنا أننا بين .. قوم  
منصيين ، فبدأنا نترجع بشدة .

كنا ما رلنا يعيدون عن تخمين السبب الحقيقي . ولم يعلم

( ولقد ) حقيقة الأمر إلا بعد أسبوع من مجئنا إلى حائل ،  
 في مقابلة له مع مبارك كبير عبيد الأمير . ولم يكن من الغيب  
 أن يغضب ، فسوك محمد في الواقع كان صيانياً أكثر منه  
 عدم ولاء ، وما كان للشكي يستحق الذكر إلا كتصور لطباع  
 العرب وطريقة تفكيرهم ، وإلا كتوضيح لسبب تقصير مدة  
 إقامتنا في حائل أكثر مما نريثا ، وإذا انضمتنا إلى الحجاج  
 الفرس في طريقهم إلى ( مشهد علي ) ، بدلاً من ذهابنا إلى  
 النعم .

والضبط لم تقف الأمور عند ذلك ، فبعد عودته من مقابلة  
 مبارك وبخ ( ولقد ) محمد أثنى حرافته ، ثم أرسل إلى القصر  
 يطلب مفرج ، رئيس التشریفات ، وهو نفس الرجل المهيب  
 الذي استقبلنا عند وصولنا ، وبعد أن أوضح له الظروف  
 رجاء بدوره أن يشرحها للأمير ووعده الرجل الشيخ في أن  
 يقوم بهذا . ولا شك في أنه وفى بوعده ، لأننا استدعينا إلى  
 القصر مرة أخرى في نفس الليلة واستقبلنا بنفس لود القديم .  
 رانه لما بسجل للترتيبات بلاط حائل أن أي نوع من أنواع  
 الايضاحات لم يكن مدار حديث . ورغم أن محمد وضع في  
 محله التلاقي به ، فإنه استقبل بلطف ، ان المزيد من الرعاية  
 الحبية هو فقط ما جعلنا نذكر انه كان هناك سبب للشكوى  
 في وقت ما . أما بالنسبة ل محمد فان علي أن أقول أنه بمجرد  
 ما تبخر غروره ، لم يعد يحمل أي نوع من الحقد بسبب ما

أجبرنا على عمله ، وصار مرة أخرى الصديق البالغ اللطف واليقظة والخدم الذي كانه حتى الآن . إن سوء المزاج نقيصة لا يعرفها العرب . ومع ذلك فالحادثة كانت درساً وتحذيراً ، درساً في أننا كنا ما زلنا أوروبيين بين آسيويين ، وتحذيراً في أن حائل هي عربن الأسد ، ولو أننا لحسن الحظ كنا أصدقاء للأسد . وبدأنا نضع خططنا للرحيل .

## زيارة لخيم الحجاج : على الخيل :

لم أقل بعد إلا قليلاً عن الخيم الحجاج الفرس ، الخيمتين خارجه اسوار حائل ، والذي كان يحتمل من اللامع الرئيسية للسكان ففي يوم ثلاثة ، أرسل البنا الأمير رسالة يقول أنه يتوقع خروجنا معه للركوب ، وأنه سوف يقبلنا في بوابة المدينة حيث كان الحجاج ، وكان يوماً سعيداً لنا ، لا لأننا رأينا الحجاج ، بل لأننا رأينا ما كنا قد قمنا بالرحلة من أجل مشاهدته وكذا نياح من ذلك ، أحسن خيول الأمير وهي تعدو .

لقد اشرعنا للفتاسة ، وامرعا بالاستعداد . وفي نصف ساعة كنا نمتطي أمهارة ، في المدرج وكان هناك حشد كبير من الناس ، يتحرك نحو الخيم ، وخارج المدينة وحدها مركب الأمير ، استوعب هذا كل تفكري لحظة ، لأنني لم أرا قبل خيول حائل وهي مركوبة . وكان الأمير على قمة الفاخرة تنطلي ميراً أبيض جميل ، بينما تبعته ( كروش ) القهراة ينطبها عده

وكان جميع الأصدقاء هناك ، حمود ، وماجد ، وصبيان  
 هما أخواه ، وصبي آخر أصغر قدموه لنا على أنه ابن متب ،  
 الأمير المتوفي ، والجميع في روح عالية توفي لفظة لمرض خيولهم  
 وفروسياتهم ، وإلى جانب الأمير ولحمته حمايته الخاصة ركب  
 الشاب ذو التاريخ الحزن ، عائف ، البقية الباقية من أبناء طلال  
 الذين قتلهم أخوه محمد ، والذي كما يجري المحس ، سيدهى يوما  
 ما للانتقام لقتلهم . وكان هناك أيضاً مبارك ، العبد الأبيض  
 عبد بالاسم فقط ، لأنه يلا محه كواحد من أسرة الأمير وهو أغنى  
 وأشهر شخصية في حائل .

وتتألف بقية الجماعة من أصدقاء وخدم ، يرتدون أحسن  
 ملابسهم ويمتنعون أسيار الأمير . وكان حمود على حصانه الكمية  
 الجميل ، باديا للعيان ، وكالمعاد ، قام بواجب الضيافة لحمود ،  
 فشرح لنا الأشخاص والأشياء المختلفة التي رأيناها .

## صفاء الجو في نجد :

وكان صباحاً لا يمكن للمرء أن يجد مثله إلا في نجد . فالجو  
 مشرق ، منير ، إلى درجة لا يستطيع المرء أن يتصورها في  
 أوروبا ، ويملا النفس بمعنى للحياة مثل ذلك الذي يتذكر  
 الإنسان أنه أحس به في الطفولة ، ويمتلئ رغبة في أن يصبح .  
 والسماء كثيفة الزرق ، والتلال من أمامنا كأنما هي منحوتة من  
 ياقوت أزرق ، والسهل هنـ ( منجمد ) ومستو كنضدة

إبلارد ) يرتفع بلطف في الجبال وعلى الجانب ، أسوار  
حائل وبروحها ذات لشرق ، والقصر يبرز من بين حكمة  
الخيال الكثيفة التي تكاد تندو سوداء في نور الشمس ، وفي  
الجانب الآخر ، منح الحجاج ، كتلة من أحياء المتعددة الألوان ،  
برقده ، وخضراء ، وحمراء ، وببضاء . والحجاج أنفسهم في  
ثمرة سوداء ، يراقبون بتعطيل وعيون نصف فزعة المعرض  
الهدري يدي كوثا نحن حزنه أنه .

## عرضة ... ومركبة مصطنعة :

وأعطى الأمير إشارة للتقدم وفي توجه الجنوب الغربي تحرك  
جميعا في اتجاه دال من الخيل على بعد ميتين ووجهة اندفاع  
الأمير بهره في العدو ، والتحم الجمع في معركة مصطنعة في طراد  
واردواج الواحد نحو الآخر ، ثم في عودة إلى الأمير الذي ظل  
معنا وارتفع الصراخ كما لو كانوا سعدون لساء من آدابهم . وفي  
النهاية لم يعد الأمير يعتمد على المقدمة ، واندفع بنفسه بين  
الآخرين ، بعد أن اختطف جريدة تحمل من أحد بعيد . وفي  
حظة نسي هيبته وحل حة ادب ، وحار بدوا من حديد .  
بدويا على حقيقة هو وجميع أسرته ، عرفت غمائمته الحربية  
إلى الحلف ، وبدا حامد الرأس ، فساح صفاته لمدويه في ربيع ،  
حالي القدمين ، عازي الساعدين ، بعدوه وعضائه ، عاجزا

على الحشد ، يطارد ويطارد ، صائعا ، كأنه لم يشعر قط  
بهم ، ولم يرتكب جريمة في حياته قط .

ووجدنا أنفسنا وحيدين ، مع وجوه صغير كنا قد رأيناها  
يركب بجانب الأمير ، وبدأ أكثر منا نفورا في مظهره . من  
هذه التسلية الرائعة . وآمل على الأقل ، أننا بدونا أقل إثارة  
للسخرفة مما بدأ . فهو عى كديش صغير عيب ، وفي ملابس  
من طراز ملابس أطفال أوروبيين مد ٥٠ سنة - صدرية عالية  
ذات نسبة من الأسفل ومرتويين تصل ركبته ، وفي قدميه  
بعل ( شيش ) ، وعلى رأسه عطاء بي ، وله وجه حليق  
يشبه خلافا صريح اسمو ، ولكنه ما كان في خلفية الشخص  
الرئيسي بين الحجاج للقرم كان ( عني كولي خان ) : ان كان  
التخيلية الكبيرة ، الذي عامله الأمير من أجل والده . كل  
تجربة ممكنة . ويمكن أن ، مع بقية الحجاج ، في طريق عودته  
من مكة . وقد كان من أهداف تنظيم هذه الحفلة هو التأثير  
عليه ببيعة الأمير .

لم نكن وحدنا طويلا ، فقد توقف العدو في ضيق دافق ثم  
مر بأجزاء الصديق ، وبمرور الوقت وحل في الخيل ، التمس  
فيه بعد أنه من أملاك الأمير ، في مكان محاص سور عدل  
وهذا دعيا إلى أن نرحل ، وحلينا فوق سحره ونسخت تحت  
الأشجار ، وبسرعة لأن الحدم مشغولين بصفدي عذ ، خفيف  
من نهم الحار ونركم لأعمال مسطرون أشجار المبحور



ويساقطون الفواكه ، ثم دارت القهوة . ثم أدت الجماعة كلها الصلاة ما عداها ، نحن والفارسي ، الذي لم ينضم اليهم في العبادة باعتباره ( شيعياً ) . وركبنا مرة أخرى عاتدين الى المنزل ، وهذه المرة ، انضممنا الى الجماعة في المدر ، الذي استوف سرعة ، ناعمين بالهوى ، وهذه الطريقة عدا الى حائل .

## مع رئيس حجاج المصمم :

وفي اليوم التالي زار ( ولغرد ) <sup>(١)</sup> ( علي كولي خان ) في غيخته مصطحباً محمدا الذي عاد الآن رفيقاً مقتولاً وثامناً رادعاه محمد بالحسب والنسب في الخيم الفارسي <sup>(٢)</sup> ، لم يكن في الواقع لبؤبه به ، لأن الفرس لا يهتمون إطلاقاً بالنسالة العربية ، بل يعاملون العرب جميعاً كبندو وبربريين <sup>(٣)</sup> .

و ( علي كولي ) ، رغم انه أصغر اخوته ، كان مسافراً في ابهة ، مصطحباً امه معه ، وعددأ كبيراً من الخدم ، رجالاً ونساء الى جانب متعهدي احماله ، والعرب الذي يسومون حيواناته .

وكان مفرجه شخصية مهيبه ، وأتباعه في ملابس كهنوتية مما أضفى عليه مظهراً بشعراً بأنه رئيس ذو أهمية . وكانت

(١) زوج الكاتبة .

(٢) خيم حجاج المصمم .

(٣) قد يحسب رأي الكاتبة ، وواقع ان المسلمين منهم يحسون العرب .

غيت تركية الطراز، حنة الخطوط ومريحة، أرضها مفروشة  
ببساط أعجبية، وفيها أريكة .

وهناك وجدته (ولفرد) يجلس مع صديق قديم . هو عبد  
الرحمن، ابن فاجر من (كرمان شاه) وهو في نفس  
الوقت وكيل قنصل بريطانيا هناك . وكان أطفال الفرس  
لطافاً جداً، ولكن تبان طابعهم عن طباع العرب المتكلفة  
أفادت ابتلاء (ولفرد) في الحال . لم يكن هناك أي شيء من  
ذلك لثناء المحكم، والاستقارات المذهبة، التي يجدها المرء  
في حائل، ولكنه استقبل أوزبي في شكله . ومن أجل راحة  
ولفرد اجلسوا الأريكة، وأنشأوا الشيء الذي اعتد على  
(سماور) . وفي الحال صَبَّوا عليه تاريخاً طويلاً من معاناتهم  
في الحج . ردوا هذا في عربية مكسرة جداً، وببنبرة لا  
يستطيع المرء مقاومة لكتبتها، لأن الفرس يتكلمون بنغمة  
بطيئة، غريبة بالنسبة للعربية . ولغة (علي) الطبيعية، كما  
يقول، هي الكردية، ولكن حيث أنه شخص متعلم وضابط  
في جيش الشاه، فهو يتكلم الفارسية بنفس الانقياد . وفي فارس  
تلعب العربية في التعلم نفس الدور الذي لعبته اللاتينية في  
أوروبا قبل أن تصبح لغة مبته قاماً .

## حديث عن العرب

وكان علي وعبد الرحمن يصرخان بالشكوى من كل ما هو

عربي ، وبالرغم من وجود محمد ، فقد شاع كل العنصر العربي ،  
فقر المدن ، وجعل المواطنين ولصوصية البدو ، والأجور الناحية  
للجبال العرب ، والنجاليين ، ويؤس السفر في الصحراء . هل  
هناك شيء أبأس مما في سوق حرس ، حيث لا يمكن أن نجد  
أجس حلوى بالحب أو الفود . العرب مجرد براوة ، وشراب  
قهوة بدلا من الشاي . وبين وقت وآخر ، ينفجرون في  
محادثة بلغتهم .

وعني أية حال ، فقد أحب ، ولقد ا ، على كوني ،  
وافترقا صديقين حميمين ، بدعوة من الشابين الفارسيين السفر  
معهم إلى مشهد : على الفرات ، حيث يسكن الفرس حبيهم  
دنيا زيارة ضريح علي والحسين .

وبدت هذه فرصة ممتازة ، وبعد مشاورة مع الأمير ،  
الذي وافق على الحطة ، قررنا السفر مع احتياج حبي يسافرون .

## زيارة بلدة عقدة ، ووصفها

ولم تكن أيامنا الأخيرة في حائل أقل متعة ، بأية حال .  
وكبرهون على حسن نية الأمير فقد أعلن أنه يمكن أن نوزر  
عقدة ، وهي قلعة في الجبال على بعد اعيال من حائل ولم  
يرها احد من العرباء قط من قبل .

كثبان موقع عقدة بأمر الأمير !

ولست في حس أن أقول أين تقع العقدة ، لأننا أرسلنا

لنراها على وعد الكتمان ، ولو اني أمل ألا يتعرض ابن رشيد  
لخطر عزو أجنبي فنن أقدم مقترحاً لأعداء احتاليين . بكتفي  
أن أقول : انها تقع في الخيال ، في مركز ذي قوة طبيعية ،  
وازداد قوة بجهودات بدائية للتحصين ، وهي بكل تأكيد  
من أغرب الأمكنة في العالم .

يقرب المرء إليها من السهل عن طريق واد ضيق متعرج ،  
يذكره كثيراً يوديان جبل سيناء ، الطور ، حيث تعز  
صخور الجرانيت ابنته على اجانبين خارجة من قاع رملي ملي.

### خربة « سحاريب » ١

وعلى واحدة من هذه الصخور نقشت كتابة عربية مثلاًها ،  
ولو انها غير جيدة الوضوح إلا انها تذكر أن نقرأ كالآتي .

« هذه خربة سحاريب » هذا هو المعنى على الأقل في رأي  
السفر ( سابعي ) من ثلثات دراسي العربية ، ولو اني لن أحضر  
لأشرح المناسبة التي اتخذ ( سحاريب ) فيها صريفاً إلى نجد ،  
ولا السبب الذي جعل يكتب بالعربية بدلاً من كتابته السحرية .

ومن داخل التحصينات يتسع الوادي الى مدرج مكون  
من اتصال ثلاثة وديان أو أربعة ، حيث توجد قرية ويسان  
من النخيل ، وبجانب ذلك تملأ الوديان بالنخيل الوحشي  
تسمى بالعنابة الالهية . أو كما يقول العرب ( من الله ) ، على  
الأقل ليس بيد بشرية .

وهي جبهة حداثاً في تكويها - التناين بين خضرة الحُصْب  
 الخلافة وبين الصخور الجرانيتية العادية التي تطل عليها من جميع  
 الجهات ، وربما كان ارتفاع هذه الصخور ألف قدم ، وتنحدر  
 عموديا الى سطح الوديان الرملية . بحيث تذكر الناظر اليها  
 بوادي الماس حيث تعيش الحيات ، وحيث رمى التجار اللحم  
 لطيور الرخ من اجل جمع الماس ، في قصة (السندباد البحري)  
 وما من حيئات تعيش في ( عقدة ) وانما يعيش هناك قوم من  
 شمر الأماناء ، الذين اضافوا بمطاه مخفي من اصناف الثمر  
 والقهوة ، كن من الصعب ان تعدل بينها . وصحبنا فارسان  
 من فرسان الأمير ، من شمر ، قاما بواجب الضيافة في الطريق  
 الى ( عقدة ) وكل ما فيه كن في الحقيقة ملك خاص لأن  
 رشيد . وقد قدم لنا هذان الفارسان والقرويون كثيرا من  
 المعلومات عن النلال التي كنا فيها ، وأروا موقع المعركة الكبيرة  
 التي حارب فيها ابو محمد ، وعمه عبيد ( ابن علي ) الأمير السابق  
 للجبل .

ويبدو ان ( عقدة ) هي اقدم ممتلكات آل رشيد وانهم  
 بعد اخذهم لحائل منى السهم ( آل علي ) فتراجعوا الى القلع من  
 حيث اداروا المعركة ، واخذوا هزيمة بأهل ( قفار ) ضمنت لآل

رشيد السلطة العليا منذ ذلك الحين (١) . وأرونا أيضاً بعقار  
كبير سوراً بناء عبيد ، لبسد الوادي الضيق ، وجعلوا تنفرج  
على كل شيء ، الآبار والبساتين ، والمنازل بحيث اننا قضينا كل  
اليوم تقريباً هناك .

## حيوان الوبر

كما اخبرونا أيضاً عن الحيوان الغامض الذي يأتي من التلال  
في الليل فيتسلق النخل من أجل الثمر . بحجم الارنب البري  
ذي ذيل طويل ، وهو جيد للأكل ، كما وصفوه بأنه يجلس  
على قائتيه الخلفيتين ، ويصفر ، مما جعل ( ولغرد ) يظن أنه  
فأر بري . ولكن هل تتسلق الفئران البرية؟ ويسمونه (الوبر)

## أغنية عربية لشمر

وفي عودتنا سارت الخيل تعدو بدا عدوا مبهجاً يرافقتنا  
بدويان ( لم يكن محمد معنا ) نعلنا منها إحدى أغاني الحرب  
لشمر ونجري كالآتي :

(١) لأهل هذه البدة قصص وملاحم شعرية حول اسلياء ( السناجيس )  
على عقدة ، واخراج ( جيج ) منها وعن شرم قصيدة مشهورة عندهم  
جاء فيها : -

فتبليك ( جيجر ) ندموا ورو ( السناجيس )  
من ( عقدة ) التي ما يزالون "جيج" قتلنا  
وسناجيس : حيرة أهل حائل .

ما يريد أن يكتب الذلول

نور ريشوا في شدا دها

أريد أن تحسراً يشوف

نحراً صريحاً أوزادها

و كما يخطبان فرسين رشيقين صغيرين ، إلا أنهم لم يستطيعوا

العدو بنفس السرعة التي عدونا بها .

## أبام عزبي وترفع

ولو كنا في تركية ، أو أي مكان آخر عدا بلاد العرب

لكان علينا أن نطعمها بسخاء بعد رجعة من هذا النوع ، أما

في حائل فتشبه من هذا النوع لم يكن يشوق . وكان كل من

هذير الثمور تابع لشدة ، حس الدالك ، ورواحي سموان

على النور . كما يقولان بواجبها نحو الأمير ، كشيخ ، وليس

نحو كعربين وقاما به منحصر .

## أجل أبام حائل

و شدة : على ارتفاع ٣٠٢٨٠ قدما فوق مستوى سطح

البحر ، وحائل على ارتفاع ٣١٥٠٠

١٠ : لا أريد . كوب : قه الدالة بر كوب . و كان : شدة : ( رجلي

بني مجلس فيه أراك قد بين وجهي بقايا أعمال و لرجة .

٢٠ : أريد موتاً حراً . طوية قوية : صريخة البحر : الانقضاض و

العدو : أوزاد ( أوزاد ) وهو لحدارها صرخة

كان هذا أجمل الأيام التي قضيناها في حاشل ، وسوف  
نعيش طويلا معنا كذا كرى منشة .

## في وداع ابن رشيد :

وفي اليوم التالي كنا منرحل وكان محمد أثناء غيابنا يقوم  
بإستعدادات الرحيل . فإلتاع جليل آخرين ومونة شهر من  
النمر والرز ، بالإضافة الى هدية ممتازة من بن اليمن ، أرسلها  
لينا الأمير . وكانت آخر مقابلة مع ابن رشيد متميزة . فلم  
يكن في القصر ، وإنما في بيت بالقرب من بوابة مكة ، من  
حيث يستطيع أن يراقب من نافذة دون أن يلاحظه أحد كل  
ما يجري في نخم المصعج أسفل منه . وجدناه وحيداً ، فقد  
زال عنه الآن كل خوف من أن نكون مغتالين ، كان هناك في  
النافذة كطير كاسر ، يجب بدون شك كقطعة أخرى من  
الفضة يمكن أن يجمعها من النمر من قبل أن يكونوا بعيدين عن  
محاله . وبين آونة وأخرى كان يميل الى خارج النافذة التي  
كانت جزئياً مغطاة بضلفة ، ويصبح بأحد رجاله الذين كانوا  
يقفون بالحارج مبلغاً إياه رسالة تتعلق بالحجاج . وبدأ أنه  
يستمتع بسلطته عليهم ، وهي سلطة مطلقة .

وكان بالنسبة لنا ودوداً ، مجدداً إقامة الحجة على صداقته  
واهتمامه ، عارضاً أن يعطينا أي شيء نختاره ، ( هجين )  
للرحلة ، أو أي واحد من أمهارة . وهذا ، وإن كنا نحب



أن تقل للعرض الأخير ، ما أبيتاه ، بالطبع ، وألقى (والفرد)  
خطبة قصيرة بالطريقة العربية قائلا فيها : ان الشيء الوحيد  
الذي نطلبه هو صداقة الأمير ، متمنياً له طول العمر ورجاء  
ابن رشيد أن يعتبره ركباً في أوروبا في حالة احتياجه الى أية  
مساعدة من أي نوع ، وشكر له اللطف الذي تلقيناه على يديه .  
ثم اقترح الأمير أن نرجى رحيلنا ، ونذهب معه في غزو  
كان سيبدأ به بعد أيام قليلة ، وهو عرض جذاب كان من  
الصعب أن نرفضه لو تقدم به في وقت مبكر ، فأبيتاه الآن .  
وفي الواقع كانت رؤوسنا بين فكي الأسد وقتاً طويلاً فيه  
الكفاية ، وكان هدفنا الوحيد الآن هو أن نخرج من العرين  
بهدوء واحترام . ومن أجل ذلك اعتذر ( والفرد ) بضيق  
الوقت ، وأضاف ان جمالنا كانت في الطريق الى الرحيل ،  
وقلنا : وداعاً واستأذنه .

## عند الأمير حمود :

وكان علينا أن نؤدي زيارة لاعتبارات الصداقة هذه المرة  
أكثر من اعتبارات الرحميات . فحينما سرنا راكبين خلال  
المدينة نرفضنا عند منزل حمود ، وجدناه هناك مع كل  
عائلته . وكنا وداعنا لهم بحق تمييزاً عن الأسف للفراق ،  
وقدم لنا حمود نصيحة سليمة حول ذهابنا مع الحجاج الى

مشهد على هذا من محاولة الدور الى تصورة . فقد زالت  
الاعطار ، نجا دل ، على طريق الحج ، ون لك حلاى بالماء  
رك رعدة ) . ولعلك فان رحلتنا ستكون سهلة بسلة  
سنة . ، يعني ان العود الى مصره سيحتم علينا ان نمر في  
بعض عدم الماء ، يدون أن يكون هناك شيء لبعض عن  
عن هذه الصوبة

ولكن عد ما ينكر ان مظهره بعد الرحيل ، فالتى  
ال دل كافت ، كان هو ان نادر ، وسوف يكون هناك  
وقت كاف فيها بعد لوضع تفصيل خط سيرة .

## هدية للطائفة وزوجها:

وكان ماجد هناك وقلقى من (العود) كذكرى ، خنجراً  
اسائياً ذا قبض عتي ، ومن أجل ذلك أرسل من يأتي بعبء  
سوداء ، طوقها مصرز بالذهب ، وقدمها هدية إلى ، وكانت هدية  
عناية ، فلم يكن لدى شيء من نوعها ، نعم لم يكن لدى  
عباءة محترمة على الإطلاق ، وكانت هذه ذات مظهر مهيب  
وهدي . ان ماجداً ، على الأقل ، وأنا متأكدة ، بأسف  
لمرافقت ، ولو تأخذنا الظروف مرة أخرى الى حائل ، فسوف  
يكون أحسن حظ لنا أن نجسده أو أذه على العرش . انها  
بمهران الوارثين للطبيين للشيخا ، وان رشيد لا يبدو كمن  
سيعيش طويلا .

## خارج المدينة

استطينا خيولنا بعد هذا ، وفي خمس دقائق أخرى كنا خارج المدينة . ثم ملتفتين الى الوراء ، شد كل منا نفساً عميقاً فحائل بكلل سحر غرايتها ، وسكانها اللطاف ، أصبحت كسجن بالنسبة لنا . وفي وقت ما عندما تخاصمنا مع محمد بدت كثيرة الشبه بغير .

غادرتا حائل من نفس البوابة التي دخلنا منها ، ويدا كائنا كان قبل سنين ، ولكن بدلاً من أن ندور في انحاء الجبال ، حاذينا سور المدينة ، ثم بساقين التخييل التي هي امتداد لها ، في نحو ثلاثة أميال ، منحدرين الى وهدة نيفة ، ثم خرجنا الى السهل مرة أخرى . وعند مجموعة منزلة من شجرات الاثل ، توقفنا لتتمتع بالظل للمرة الاخيرة قبل أن ننضم الى ركب الحجيج الذي كان يبدو كخط طويل من النمل يعبر السهل بيننا وبين سلسلة جبل شمر الرئيسية .

## صفاء الجو في الصحراء

وبدون استثناء ، كان أجمل منظر رأيناه في حياتي وسأحاول وصفه ، ويجب أن يكون مفهوماً ، منذ البداية ، ان الجو وهو دائماً صاف في جبل شمر ، كان هذا اليوم ، ذا

هذه شفاف ، يفوق كل المرتبات في الصحاري العادية أو في المناطق العليا من ( الألب ) أو في القطب الشمالي ، أو في أي مكان آخر باستثناء - ربما - القمر . لأن هذا هو نفس مركز الصحراء على بعد أربعمائة ميل من البحر ، وعلى ارتفاع ١٠ آلاف قدم تقريباً من مستوى سطح البحر .

## جمال ضواحي المدينة

ومن أمامنا امتدت واجهة أمامية خشنة لومال محمرة ، وما غلبت الأمطار من صفور جبل أحا ( الجرانيتية ) مع أدغال عظيمة من الأثل هنا وهناك ، أشجار عظيمة ذات فروع مقدس جذورها بين ٢٠ - ٣٠ قدماً . ( قسنا إحدى هذه الأشجار ذات الفروع فوجدنا محيط جذعها ٣٦ قدماً وارتفاعه عن الأرض ٤ أقدام ) وتبدو هذه الأشجار على روائي صغيرة مبيدة مواقع ثيوت في الماضي - تماماً مثلها تفعل أشجار البحر في ( سويسكا ) - لأن المدينة قد انتقلت من نهاية الراحة هذه إلى حيث تقوم الآن . وعبر هذا الرمل يمتد حزام طويل أخضر من الشجر ، ربما كان قدانين وسابل الفلة الخضراء متألقة ، وقد ارتفعت إلى المستوى الذي يسمح بحجب ( السواقي ) بحاري الماء . وخلف هذا بيل أو أكثر ، يتحول مناسيباً أفق الصحراء من اللون الأحمر إلى البرتقالي ، حتى يقطعه ما يبدو صفعة مشعة من المياه يمتدحس

زرقاء السماء العذبة - مراب بالطبع ، ولكنه أجمل وم  
يمكن تصويره .

وعبر هذا ، وهو ما يبدو خائفاً في الماء ، كان خط جمال  
الحجاج ، وكل واحد منها ينعكس تماماً في السراب الذي تحت  
مع نقط زرقاء ، وحمراء ، وخضراء وقرونفلية ، ، بثلة  
الفض أو الخيمة التي يحملها . ويمكن ان خط الموكب كان  
خنة أميال أو أكثر طولاً ، لم نستطع أن نرى آخره . وما  
وراء ذلك ، مرة أخرى ، شجنت فن جبل (أجا) بلون الباقوت  
في كتلة مغلطة رائعة ، كأغرب وأجل سلسلة جبال يمكن أن  
تخطر على الخيال - مرأي حبيب 11

## الثانية وزوجها برزجان بالمرية !

ويبدو ان توقنا محبين بكل هذا ، وانتهت رسماً تخطيطياً  
له - فلم يكن هناك من داع السرعة - امتطينا جيادنا من جديد  
وانطلقنا بحدود متتبعين - نحن والجياد - بحربلت ، ومغني  
اغنية شعر :

نما ريدة انا ركب الاول

كول ربتوا لي شداها

أريد انا خيراً يشوف

خيراً يبيع أولادها

وهزجنا بهذه الأغنية أكثر في جيادنا أكثر مما كان يستطيعه

سوط أو مهراز ، وجعل الجمال عندما قربنا من قافلة الحج ،  
تجفل ، ودفع الحجاج الى ان يفرغوا ظانين ان بدو (حرب) في  
طريقهم اليهم مرة أخرى .

## اللقاء بالحجاج :

هكذا سرنا بقبنا محمد حق وصلنا الى طليعة الحجاج والى  
العلم ذي اللونين الاخضر والاحمر الذي يسير امام المركب .  
والقرب من هذا وجدنا جمالنا ، وبعد ذلك بفترة وجيزة خيمنا  
معهم ، ليس على بعد لا يبلغ عشرة أميال من حائل ، في واد  
صغير ركز فيه العلم .

سبنا خيامنا على بعد ٢٠٠ ياردة من نخيم الحج ، الذي  
انتصب في احتشاد خوفا من اخطار الصحراء .

أذن المؤذنون لصلاة المغرب ، وهام الناس يؤدون عبادتهم  
خيلنا نضع شعيرها ، وصقرا ( وهو طائر مدرب اقربناه  
امس بسنة عجديات من بدوي في حائل ) يلعب امامنا ناظرا  
الى وكرة انه مساه نرد ، ولكن آه كم هو نظيف ومرح في  
خيمتنا !

## الامير الرشيد يؤخر سير الحجاج

٢ - فبراير :

بدو ان صف الحجاج قلظ غادروا حائل أمس . لقد

كانت هناك صعوبة فيما يتعلق بالجمال - يقول البعض ، ويقول آخرون إن ابن رشيد لن يتركهم يذهبون. ويحتمل أنها مسألة نقود في كلا الحالتين . وهكذا ما كدنا نسير حوالي المبلق ، حتى اصدر أمير الحج ( عنبر ) وهو عبد اسود لابن رشيد أمراً بالتوقف ، وبقيت الجمال وراكبوها متراسمة على قطع مرتفعة من الأرض ، لفرض عدم - كما نظن - وعلى أية حال ، فقد استمر قنبراويش والحجاج المشاة في سيرهم كما يحبون ، وكذلك فعلنا نحن ، لأننا لا نعتبر أنفسنا مقيدين بأية قاعدة من قواعد موكب الحج ، وعند عبادة أوامر ابن يسير جمالنا خارج حدود الجماعة الرئيسية .

لم يكن هناك أي طريق أو درب اليوم ، وواصلنا سيرنا في مكان ما ، أمامنا ، عشرين أرضاً صلبة وودياناً هي أقرب إلى الوهاد ، لقد أصبحنا الآن - بحثاً عن ماء سمعنا انه يقع - متعودين على الصحراء ، انى حصد اننا ميزنا الماء من بعد كبير ، نحمين موقعه عن طريق اللون الأبيض للأرض القريبة منه . ان البياض سببه ترسبات شبه صخرية يكوها الماء حينما يقف طويلاً في أي مكان وفي هذا المثل يقع في مستودعات طبيعية أو في عدة مستودعات في بطن واد ضحل . وهذه (المستودعات) لا بد انها قد امتلأت في وقت ، ماء اثناء الشتاء بفعل المطر ، واسرعنا لنسأل قريتنا منها ، وهي لا تزال نظيفة ، لأن الحجاج مريضاً يشربون منها وسيلوثونها. انها ليست سوى بركة صغيرة وجدة ( عواد ) قد وصل الى هناك ، وكان قد ارسل في المقدمة

مع ذلول ليضعن قلوبنا، ولم تكند اجراءات ملء القرب تنتهي  
حتى وصل الداراريش الذين يسبون دائماً على رأس الحجاج .  
ولهم عادة كريمة هي انهم يفتلون في الماء اربلا ، ثم يشربونه  
بعد ذلك ، وهي طبقة لما سمعنا جزء من طقوسهم الدينية .

كانت الريح تهب بعنف طول اليوم بحسبة بقدر كبير من  
الرمال ، ولكنها الآن قد كفت . كان طريقنا منذ غادرتنا  
حائل شرقاً بشمال . وينتجه نحو قل مرتفع ، جبل ( جلديه )  
وهو علم بادي الظهور . ان نعيمنا الليلة أمر منه بالامر لأنه  
أبعد عن الحجاج ، ولدينا واد صغير كله لنا ، مع غرفة في  
الوقود الجيد ، وعلف للجمال .

٣ - قهرار :

مع ان النيران اوقدت هذا الصباح في الساعة الرابعة كما لو  
كان استعداداً للرحيل المبكر ، فلم تبدأ أية حركة ، اليوم .  
نصف الحجاج ما زالوا في حائل - كما اخبروا - ويجب ان  
ينتظروا . فعب اليوم ( ولقرد ) لبحث عن صديقنا ( علي  
كولي خان ) ، ولكنه لم يجد احداً سواء هو ار عبد الرحمن ،  
او أي شخص آخر يعرفه قد وصل .

## مقارنته بين اخلاق العرب واخلاق

### المعجم

ان الحجاج الفرس ، مع انهم غير مقبولين في أشخاصهم



وعاداتهم ( لأنهم يفتقرون الى اللباقة التي هي سجية عربية )  
وَدُوْدُون بشكل كاف ، ولو أمكن التحدث اليهم ، لكان  
ذلك ممثلاً ، غير أنهم يبدوون من المقارنة السطحية مع العرب  
أفظاضاً وبلين . ومعظمهم ذوو سحن صافية ، وقد يكون  
شعرهم أشقر وعيونهم زرقاء ، ولكن ملامحهم خشنه ( غليظة ) ،  
وهناك من الفرق الكبير بينهم وبين ( شمر ) الذين يجرسونهم  
مثل الفرق بين حصان عربية ( هولاندي ) وبين مهر من أمهار  
ابن رشيد . وبالرغم من الاستحمام الذي يقومون به بمناسبة  
وبدون مناسبة طول اليوم ، فانهم يبدوون قذرين ، بشكل لا  
يوصف ، في ملابسهم ذات اللبس البطني ، كما لم يبد أي عربي  
لم يستحم . وبين آونة وأخرى يتور النزاع بين (عواد) والآخرين  
وبينهم كلما اقتربوا من خيامنا بحثاً عن وقود ، ومن الواضح  
انه ليس هناك حب مفقود بين الفرس والعرب .

قضيت برمي بشكل مريح في المنزل ، أعيد حشو سرحي ،  
الذي كان يحتاج الى ذلك بشكل يرضى له .

وقد عاد محمد الى نفسه الاصبه تماماً ، بدون تعاضم ، ولا  
تظرف من أي نوع ، ويقول : ان هواه حائسل لم يناسبه .  
ويبدو أنه الآن قلق ليمحو كل أثر لذكرى الماضي ، وقد جعل  
نفسه مقبولا ، يحكى لنا القصص المتعلقة بـ ( السبعة ) وحيولهم  
وكلها ذات عبرة ، وبعضها ملل .

## يوم آخر.. متى يؤذن للهجاء بالسفر

١ - فبراير : -

يوم آخر من الانتظار ، والهجاء مثلنا عجلون ، ولكن العجة ليست حنة . ولكي نشغل الوقت ، ذهب ( ولقرد ) بنفسه في تحلية مسح ، مع مهره والكلاب السلوقية ، سار في خط مستقيم في اتجاه الشمال ، نحو صف من التلال المنخفضة ، التي يمكن رؤيتها من هنا من الارض المرتفعة وهي على بعد ١٢ ميلا لم يقبل أي اناس ما عدا بدويين على ذلول ذاهبين إلى (عطوة؟) حيث توجد بئر - على حد قولها . نظرا اليه والى بندقته بريبة ، ولم يحب أن يكونا موضع استجواب . وبعد ذلك وجد الصحراء خالية من الحياة ، متابعات من سهول الرملية المسوية ، وسلاسل خشنة من الصخور الرملية . والتلال ذاتها التي وصلها قبل ان يقفل عائدا كانت ايضا من الصخور الرملية الصفراء ، تقبل إلى السواد في بعض البقع ، ومن قمة السلسلة قدر ان يميز النفود كبير احمر وقطع المسافة ذهابا وأوبة في ثلاث ساعات عدوا . وكان ذهبه مفيدا من حيث انه مكبه من ان يعرف موقع عدد تلال رئيسية ، (باطب) و ( حديه ) ، وتلال أخرى ، وبضعها على خريطة . لم يخبرني أن كان قاصدا ، وبما ان الامر قد وقع ، فقد عاد قبل أن يمر وقت كاف يحتمل أفلح .

وفي الوقت ذاته ، كان عواد وعبد الله بمضيان الصقر درسا

بطعم صنعاء من الخلقة . ويبدو أن الطائر أليف ، فيذهب إلى عواد عندما يدعو صائحاً : اشوا اشوا ، والتي يفسرها بأنها اختصار لاسمه ، : رشام ، وهي تحريف لكلمة ( راشمون ) والتي تعني ( لأمع كالبرق ) . وبأمل الآن بتسعدة ( رشام ) أن يكون ممدداً من اللحم متصلاً ، فإن الأرناب الجيرة موجودة بوفرة .

جاء روار بعد الظهر ، بعضهم بدو من شمر من عائلة ابن طوالة ، الذين فضلوا أن يخيموا بجانبنا ، كجيران أخف ظلاً عليهم من الفرس . انهم في طريقهم من حائل إلى خيامهم في النفود ، ومعهم رسالة من الأمير أن جبالاً أخرى مطبوعة ، ثم يذهبون بعد ذلك مع الخجاج إلى مشهد علي ، ورعاء حتى السهولة على الفرات ، ليشتروا رداء (تشن) وبراً .

مرتين في السنة فقط يستطيع جبل شمر أن يتصل بالعالم الخارجي ، مناسبة عبور الخجاج ذاهبين وعائدين من مكة . انهم حينئذ يجمعون مؤنهم لسنة ، وأكبر هؤلاء ( الطولة ) رجل في الستين من عمره ، حسن الطباع ، ولطيف ، تناول غذاءه مع محمد والحدم في خيمهم ، ثم جاء لمجنوس مصابيح ذلك في خيمتنا . اتنا حائرون بين أمرين : بين أن نساخر مع الخجاج المثلثتين وبين أن نذهب معه غداً . ولكن خيمه تقع - إلى حد ما - يسار طريقنا .

وهـ (الطولة : ) يوجد بعض فقراء البدو مع  
جاهلهم التي أغضوها في وادينا حتى تكون بعيدة عن الأنظار.  
انهم خائفون أن يرموا فانهم حجاج ، وفي البداية كان من الصعب  
أن نفهم سبب هذا الخوف .

وإذا كان الأمر كذلك ، فكان يجب أن نفكر بواحه .  
ولكنهم أوضحوا انهم أملوا أن ينضمروا في حشد ، وأملوا  
أن يبدوا ميزات مصاحبه ، بدون أن تثقل جاهلهم بالأحمال .  
وهم ، مثل غيرهم في طريقهم إلى مشهد علي ، الشر ، حنطة .  
هناك اخبار ان الامير قادم غداً من حائل ، وانه سيأمر  
ثلاثة أيام مع موكب الحج ، متجهاً بعد ذلك الى حيث لا يعلم  
اسان ، في غزو . سيكون هذا امراً متعباً ، لأننا الآن ،  
وقد ودعنا ، نريد ان نبعد عنه .

## رحلـة قصيرة

٥ فبراير :

واخيراً نحن كذا ، ولكن عشرة اميال اخرى فقط ، الى  
واد اكبر ، يدور انه مسيل الجهة بأكملها ، ويدعونه وادي  
( الخنصر ) ، اما ناد سمى هكذا ؟ لا استطيع القول .  
وتوجد هنا عدد من الآبار ، ويقع كبيرة من ثلث لإيسو ،  
من النوع الذي يسمى ( ريمث ) وشكراً في هذا المكان

الارانب البرية ، وقد قما ببعض المطاردة مع كلابنا الصوفية ، يساعدها كلب من كلاب السيد ، ألقى نفسه ينسا ، ويسديه .  
أخدم ( مرزوق ) ، وهو حيوان غير جذاب ولكنه يتأثر بحاسة شم قوية .

## مكان اترى ، ذو كتابات وصور

وبعد ساعتين أتينا الى تل عجيب ينتصب وحيداً في السهل وهو ، مثل سائر الجهات ، الآن ، من الصخر لرملي وسرنا ان نجد منفض ينقوش ، وصور طيور وحيوانات من نفس النوع الذي شاهده من قبل ، ولكنها بطريقة احسن كثيراً ، وعلى مقاس اكبر <sup>(١)</sup> .

والكتابة ، اياً كان اسمها ، جميلة جداً وواضحة ومناسبة كوضوح وتناسق الحروف الاغريقية او اللاتينية الكبيرة ، ويمض الرسوم لها خصائص الفن الحام ، ولكنها فنية حقاً ،

(١) غير من السيد رسام ، ادى أجرى حفريات في ايل . ان هذه النقوش هي بالحروف العبرية القديمة ويبدو أن العبريين ، وهم أمم من التجار ، كان من عاداتهم إرسال مسافرين تجارين بعثات مر يستعمل في كل أنحاء آسيا . وحيثما يتوقفون على الطريق ، ينقشون اسماءهم . اذا وجدوا صحرة لينة ، ويرسمون صور حيوانات . وقد يكون هذا التفسير هو الصحيح . لكن كيف يبعد هؤلاء التجار الى اختيار موضوعات صحراوية تحت لفهم . جمال ، ونعام ، ووعول ، وفروسان برماج . الى القليل ان هذه من أعمال العرب . أو من مثل العرب كاشاً من كان ، في عهد مضى ، انها من أي حال من أعمال قوم كانوا يعيشون في البلد . ولكنني لست من علماء الآثار . (الأصل)

وهي لا يمكن أن تكون عمل مجرد بربريين

ومن الملحوظ أن الحيوانات المنسوبة هي بشكل أساسي  
عربية ، الفزال ، والجل ، والوعسل ، والنعامة . ولاحظت  
أيضا أن شجرة النخس عولجت بطريقة تقليدية ، ولكن لا  
شيء مثل بيت ، أو حتى خيمة . والموضوع الرئيسي هو  
سكون من جملين متقاطعي الصقن ، هو تكوين لا ينسب  
بخصائصه ، وبصاحبه نفس منتظم الحفر . وبدل على أن  
هذه الأشياء قديمة . لون الخطوط ، والصخرة من أصل رملي  
بمحر ، مع ميل إلى الأسود ، ومن الواضح أن الحروف  
والرسوم عندما كانت جديدة كانت حمراء على أرضية سوداء  
ولكنها الآن قد تقلب عليها مرة أخرى ، وهي عملية لا بد  
أنها احتاجت إلى قرون لتحدث تأثيراً في هذا المناخ الجاف .  
كما في مقدمة الحجاج عندما اتينا إلى هذا التل ( تل  
السيلة ؟ ) وانتظرة على قفته ، بينما كان الموكب يمر بنا ،  
ساعة أو أكثر . كان منظر غريباً . ومن الارتفاع الذي كنا  
نقف فيه ، استطعنا أن نرى مسافة ثلاثين أو أربعين ميلاً ،  
حتى جبل ( أجا ) على السفح الذي تقع عليه حائل .

## موكب الحجاج

وكان الموكب بطول ثلاثة أميال ، مؤلفاً من نحو أربعة  
آلاف رجل ( ولم يكن هذا كل الحجاج ) ، مع عدد كبير  
من المشاة .

# ساة الحجاج

وفي المقدمة كان البرابوش ، يسعون مسرعين ، يحرون  
تقريبا ، ألس قدرون متوحشون ، ولكثهم لطيفون ،  
ومستعدون لتبادل الحديث . لو كانوا يعرفون العربية ، ثم  
بمجموعة من الدس في ملابس محترمة ، يشون بدافع الورع ،  
رجل بعمامة خضراء ضخمة اعتقد أنه «فني» وشاب نحيف ،  
حسن النظر ، قد يكون من الكتبة أو مساعد صاحب دكان ،  
يقرا في قرطاس ملفوف بشي . وآخرون يحدون في أيديهم  
زمزميات من أجل تحته على ماء وضوئهم ، الذي يقفون بين  
آونة وأخرى ليقوموا به . وأحيانا يغنون أو يرددون أدعية

كل هؤلاء المتعبين خشون مفا ، لا يردون إذا حينئذ ،  
ويستقلون في القزع إذا اقتربت منهم الكلاب خشية أن تهم  
قتلهم . وقف واحد منهم ، الشاب ذو القرطاس الملفوف ،  
هذا الصباح عند ثارنا ليدفنه يداه ، فقدمنا له كوبا من القهوة ،  
ولكنه قال : انه قد افطر ، واستدار لينحدر إلى الخدم ،  
زملائه السفليين ، غير ان الخدم أخبروه أن ينصرف ، لأن  
رفض فئجان من القهوة عند العرب يعتبر اهانة ، وتكاد تكون  
معادلة لإعلان حرب ، ان العرب لا يفهمون شعيب الشيعة  
الفرس اللعيني .

## المركب .. والعلم الربديان :

وخلف هؤلاء المرعين في المقدمة يأتي ( البيروق ) عمولا في وسط جماعة تقتطع هجنا عليها حل ، وتقتضي مسرعة . هذه العلاقات الحميلة لها معاطف كالأطلس . وعيون كعيون الفزلان ، وحركة رشيفة يمجهر عنها الوصف حتى اخصان العربي ليس له مثل منظر الجمال الكريمة الاصل ، انها تعرف بـ ( الناقية ) لان نره قد يذهب في النوم وهو ركب عليها دون أدنى هزة ترجعه .

و ( البيروق ) وهو لواء ابن رشيد ، مربع من الخيزم الأرجواني ذو حذفة خضراء بشوسطه شعار أبيض . ويقوم بمحمد خادم على هجين طويل ، وعادة يطوى جزئيا أثناء السير ، و ( عنبر ) أمير الحج لزنجي غالبا ما يصاحب هذه المجموعة وله مهر صغير أبيض بسوسه عبد يسير وراه لم نره راكبا .

وخلف ( البيروق ) يأتي جمع الحجاج ، كل اثنين يركبان جملا أحياء ، وعلى الجمل أحياء صندوقان من كل جهة . بضمان الاقفاص . والجمال يملكها البدو ، هم غالبا من شمر ، وكثير منهم من القير ، أو الشرارات أو ( الحويسن ) ويسيرون وراء جمالهم مشبا على الاقدام ، وهم في خصام دائم مع الحجاج ، الا أنه لو وصل الامر إلى الاشتباك فان شرطة ابن رشيد الهجاة تتدخل ، وتنتهي الخصومة بطريقة مختصرة .



## بين الفارسي .. وبين الجمل !

والفارسي ، وهو يركب جملاً أعظم منظر في العالم مشير  
للخبرة . فهو يصر على أن يركب مدلياً رجله على الجانب  
ويبدو أن غير قادر على الإطلاق أن يفهم طماع ( اخوان )  
الذي يركبه ، وهو يتحدث له بصوته النشار بلفة لا يمكن  
أبداً لجمل عربي أن يفهمها ، والتكلمات التي يطلقها للعرب . على  
الفارس لا تنقطع قط من الصباح حتى المساء .

## وصف المحمل ( الهودج )

وأحسن طبقات الحجاج ، وطبعا جميع النساء عدا الفقيرات ،  
يسافرون على محامل - سلال من القش على كلى حمل منها  
اثنان - مغطاة ، مثل عربة التاجر مستارة زرقاء او حمراء ،  
شخص او اثنان يملكان ( تحفورات ) ، وهي معدات أكثر  
تكلفة ، وتحتاج الى بغلين - ورجلين لحملها - واحده من  
الامام وآخر من الخلف ، وفي أي من هذين الوسيلتين يمكن  
المسافر ان ينعقد القرفصاء او يتمدد لينام ، والجمال التي تختار  
لحمل الحامل قوية ، ذات خطوط مستوية وبعض هذه ( الهودج )  
المزدوجة مهيأة بعناية ورشاقة بالسبط الفارسية الفاخرة ، ويقود  
الجمل سائق موثوق به ، ويسير الخدم أحياناً على جانبيه ( الجمل )  
ويحتفظ احد الحجاج برجل يمشي أمامه يحمل ( نار جينة )

يسكن منها بواسطة انبوية طويلة ، وهو حارس في (الهودج) ويوجد عدد من الجبول - ربما ستة . ويسكن احدها (خيلان حرقان ؟) اشترى منه يمين حاج عتي من بعوي من شمر - أحد الحرم . ويبدو ان هذا الحصان كرم الأصل . طبقاً ، ينطق بالحكم عليه من رأسه وذنبه ، وارباعه ، وبقية جسمه يتغيب (بغلان ؟) أو مرج للحمل - مزير الخصى ، وعليه يركب مالكة الجند . ولم أر شيئاً آخر يستحق الذكر

تتابع النوكب أمامنا بينما كنا جالسين على تل (السيلة) فوق رؤسهم تماماً .

## حجاج من أهل المدينة

عرفنا بعض الناس - حجازيين من المدينة - الذين أتوا اليوم إلى خيمتنا وجلسوا بمودة لشرب القهوة معنا. والحجازيون هم أهم معدودون عرباً خالصاً ، سود كالزنج تقريباً ، ذوو ملامح قبيحة دنيئة ، لا تشبه قط ملامح شمر والمهاجرين الفجة التي شهدناها . وهم ينتفرون أيضاً إلى الكرامة ولهم حصة غير حسنة ، في هذا الجزء من بلاد العرب .

## حديث مع شيخ الحرم المدني

كان هؤلاء أناساً معروفين . ورئيسهم ، (صالح بن

بنجر ؟ | هو سادون المسجد الكبير في المدينة ، وهو الآن  
 مسافر إلى فارس لجمع الصدقات . وقد أخبرنا أنه ، مع عزمه  
 التام على أن يصادقنا هنا ويترب فهوتنا لا يستطيع أن  
 ينصحبنا والذهاب إلى المدينة . لا لأن ليس للانجليز كانكبير  
 صيت حسن ، ولكن لأنه يخالف القاعدة ، ( لم يسمع لغير  
 المسلمين بدخول المدينة ) فإذا جئنا كلين ، فذلك حسن ،  
 أما كتماري فغير ممكن - انه هو نفسه سيكون أول من  
 يحاول أن يتم موتنا . لقد وحدوا يهود في السنة الماضية في  
 المدينة فأعدموه ، وغضب الناس جداً لأن السلطان أرسل  
 مهندساً وإفرنجياً ، ليقوم ببيع المنطقة ، وأشاع انه كان مسلماً .  
 وتطبق القاعدة بالقبة للمدينتين المقدسين ، مكة والمدينة ،  
 وليس لبقية البلاد .

والمسلمون من رعايا الملكة (فكتوريا ملكة إنجلترا) الذين  
 يأتون من الهند يستقبلون دائماً استقبالاً حسناً ؛ حتى ولو كانوا  
 شيعة | وكذلك سيكون لو ألسنا .

والفرس ، وان علمهم الحجازيون بقسامح ، مكروهون  
 كفرس ، ورشدة ، وكثيراً ما يضربون في المدينة . وهو ،  
 ( أي صالح ) كان ذاهباً ليجمع منهم نفوداً ، وكانهم أغضبوا  
 إلى الدرجة التي بمطوره «ياها» إلا أنه لم يجرس على مرافقتهم .  
 انه حالاً مسافر معنا . وقد نشقي في هذه الجولة خلال  
 فارس . نريد واحد لم يستطيع فهمه عن حكومة البريطانيين ،

هو ما هي مصلحتها الدنيوية في تدخلها في تجارة الرقيق ؟  
 قضاها مع لقسوة، ولكنه أمر على ألا قسوة فيها وسأل :  
 من الذي رأى ربحاً تمام معاملته ؟ لم يستطيع أن يقول  
 أحد رأب ذلك في بلاد العرب ، وحقق أنه شيء مشهور أن  
 لعبه هذه العرب للأجناد المذنبين أكثر من كونهم خدماً  
 وكان عقيب أن نوصي أن العبيد أميلت معاملتهم في انقطاع  
 أخرى ، ولكن ما أن ( صالح ) ظل غير مقتنع ، فالتفت  
 شخصاً قلص أن يخلص إلى أن منتهى إلى ملاحظة عامة ،  
 وهي أن هذا التدخل في تجارة الرقيق هو ( مثل حكومة )  
 وليس من شئونة ، وبدا أنه مطلع أخلاقاً لا بأمر به على ما  
 كان يجري في العالم فقد سمع عن الحرب الروسية ، ولو أنه لم  
 سمع كل الضرورة المتعلقة باستنهاها ، والشارل عن ( قبرص )  
 التي أشد ألب على أن السلطان أعطاها كذا بحشيش الملكة  
 التكاير ، وكانت آخر كلماته ( الكلام بصراحة أحسن ،  
 هذا أنا مصدقكم ، لكن ، نهكروا ليس في المدينة ، الأمر  
 يتعلق بالدين ) .

## من ( هائل ) إلى ( الفرات )

ه تعالى ، بأمرها ، فتنفص إلى الفرات . ه

بيروت

٦ فبراير : ( ١٨٢٩ م ) .

نحن متصور من تمكّن الحجاج ، وفوق ذلك ، لا نحرص

أن نرى ابن الرشيد الذي يتوقع وصوله اليوم ، مرة أخرى .  
 انها قاعدة طيبة الا تتجاوز اقامتك الترحيب بك ، وأن تذهب  
 عندما تكون قد قلت كلمة الوداع ، وهكذا ، عندما لم تجد  
 أية شارة للتحرك في معسكر الحجاج هذا الصباح ، قررنا أن  
 نسير بدوهم . اننا لم نذهب بعيداً بعد ، حقاً ، فمن الأرض  
 العالية حيث نقيم نستطيع أن نرى دخان المعسكر يرتفع في  
 طرف السهل ، ويوجد كلاً وفيه هنا .

## (بقعاء) أو (طيبة اسم)

ولدينا منظر رفيع واسع الى الجنوب والغرب جميل  
 وحلدي ، في اتجاه الجنوب ما ، وجبل ، أحاد ، الى الغرب  
 يجنوب ، وحائل على بعد اربعين ميلاً تقرباً ، ولى الشمال  
 البقعة ، وخلفنا من الشرق الى سلسلة التي فوق نخيلا ،  
 نستطيع ان نتصفح سبعة ثمانية او سبعة اميال ، مع  
 واحة ( بقعاء ) او ( طيبة اسم ) - طاب اسمها - حول  
 شواطئها . لقد كان المثل يسمى دائماً (بقعاء) ، هكذا أخبرنا ،  
 حتى سنوات قليلة ، حيث ظن ان الاسم كان سيء الحظ ، أو غير ،  
 ولو انني لا استطيع ان افهم تماماً لماذا ، لأن تلكلة تعني  
 لمكان حيث يمكن ان يجمع الماء

## لحم ارانب بريّة . . على ضوء القمر

طيرة صفراء اليوم ، وبعد مرة او مرتين من خيبة الأمل

قبض لنا على ارنط بري . ان الوديان مليئة بالارانب البرية ، ولكن انكلاب لا تستطيع رؤيتها في الاجاث العالية ، وكان هذا هو الوحيد الذي انطلق في المكشوف . حينما في وقت مسكر ، وانما لنعم بالعزلة . سيكون القمر مكثلا اليلة ، وانه ليدفع الى التفكير ، كما من ضوئه قد ذهب سدى بالتأخير ، ان القمر ذو قande قليلة لا سفر بعد ان يكتمل .

٦ فبراير (١٨٨٠م)

مع ننا لم تحرك حينما اليوم ، فقد ركبتا طويلا ، وبلغنا ميدا حتى قرية ( طيبة اسم ) ، التي هي جديرة بالمشاهدة ، انها مكان عريب ، يشبه ( جبة ) فيما يتعلق بالموقع . حقا ، يبدو محتملا ان معظم مدن نجد تشترك في هذا الملمح ، ذلك ان تقع في تحاويف ينصرف اليها نحوها ، كما انه في موقع كهذا يمكن ان تحفر الابار بدون جهد كبير ، مثل جبة ، فطيبة اسم سيخة ، ولكن الاخيرة في جملتها واحدة اكثر اهمية ، لأن بساين النخيل تصل تقريبا الى كل ما حوالى البحيرة ، ولو انها ليست منصلة تماما ، فمن المحتم ان لها امتداد يبلغ اربعة او خمسة اميال . وتبدو البيوت متناثرة في مجموعات على امتداد هذا الطول ، وليس هناك مدينة خاصة <sup>(١)</sup> .

(١) كانت طيبة اسم هي المكان الذي مر فيه عدد من شعوب متفرقة حينما خرج اخوه من شعابهم . ومنها ارسل تلك الرسالة القادرة ان مدحت بشا في بغداد والتي أتت بالفرح الى الاعضاء وحطمت الامبراطورية العراقية وهناك وجدت بلع من رجل القنود مع طائر القنود الأخضر . (الاصل)

## ( جيولوجية ) اقليم الجبل

ان جيولوجية ( الاقليم ) هي أكثر ما يتبر ( اهتمام ) ففي  
طرف السبخة ينشق الصخر الرملي من حروف غربية رالعة ،  
ليس أكثر من ٥٠ قدماً ارتفاعاً ، ولكنها ذات شكل مهيب  
بعضها ، وقد اتخذ شكل القطر ( نبات الشروم ) يستشف  
أن السبخة كانت حتماً في زمن ما بحيرة هامة ، بدلاً من الشبه  
لجاف بحيرة كما هي الآن . فلما أكبر هذه ، فوجدناها  
أربعين قدماً طولاً واتساع ٢٥ قدماً في أعلاها ، يحدج ذي خمسة  
أقدام فقط ، والكتلة كلها ترو على قاعدة عالية . وحدث  
الصخور الأخرى كما لو كانت قد برزت فجأة وهي في حالة  
غليان وحارة حمراء ، وتجمعت الفقاعات عندما صعدت  
كانت هناك ألواح عريضة من الصخر ذات لون وردي مثل  
القشدة بالفراولة ( كريم فراولة ) أكثر من صب القشدة فيها  
ولا تخرج بعد ، مرفقة بيون أحمر فاتح وأبيض . وهذالسات دائماً  
عليها ، مع تجمعات من النخيل الوحشي ، ونباتات الطرفاء مع  
بركة أو بركتين من الماء المر .

## واحدة ( بفناء )

والسبخة ، ولو أنها جافة تماماً ، بدت مثل بحيرة هكذا  
كان السراب كأملاً من الماء الأزرق الصافي بدون قوچ تمكس

النخيل والنبوت على الشط الملايل . ورا الى بعض من هذه ، فوجدت ساقين حبة ، ومرارح حصة مع بلع من الشعير الاحمر ثم في الخارج ، كانت هذه نروي من آبار عمقها حوالي 15 قدما ذات ماء طيب ، فتح الناس منه من اجل امهارنا لنسقى . مررنا ولكننا لم نذهب داخل قصر الجدن الكبير الذي يملكه ابن رشيد ، حيث كان بضعة (دررن او هكذا) من دروايش الخج ينسكمون حوله - سألونا عن الامصار ما اذا كان الامير قد جاء ، وما اذا كان الطجاج ما زالوا منتظرين . ولم يكن معظم هؤلاء من دروايش الفرس ، واو انهم شيعه ، بل من بغداد ومنهد على ناس من العصر العرفي .

## ابن الابل . . ورماله من الامير

وفي طريق عودك ، مررنا بجماعة من بدو شير ، باليوب بجمهم السقي من النفوس ، وهو قريب من هذا قدموا الى بعض من المعن الشرب ، اول ما دفع هذا تعام . كانت هناك س . معهم . قابلت ايضا رجلا وحيدا عني ذلول رقيقه . واندي محمد ملاحظه عن هذا الحيوان كانت يوما . عارفة عن لسان وعند ذلك وضع المالك في اردراء عصيتم كانت ، بنت عدهان . احسن ملالة لسجائب في بلاد العرب ، وان محمد لو قدم له مائة حبه لم داعها ، وانها كانت الرحة التي كان ابن رشيد يمشي في مهابت تحتاج الى سرعة . ثم هب منعدا



في خطواته ، رغم أنها بدت شيئاً لا يستحق الملاحظة ، فدنا  
سرعان ما أخفته عن الأنظار .

ذهب عواد وابراهيم القصير عائدين الى معسكر الخيـطـاجين  
اجل الماء ، وعادرا يحملون أخباراً تقول : ان الأمير وصل بالفعل  
ورسالة منه ، مؤداها : ادا ذهبا الى آبار الشـيـبة فسوف  
يقابلنا هناك



## القسم الأخير : عن الخيل

( هذا هو الفصل الثاني عشر ، نصف فيه الكتابة  
مشاهداتها عن الخيل في نجد -

وموضوع الخيل كان هو الدافع الأول للقيام بالرحلة )  
وقد أنشأت ثلاثة أسطبلات ( مزرعة ) في لندن ، لتربية  
الحيل العربية ، لا يزال موجوداً ) .

## شجرة قيل ابن رشيد

« ولم اجد فيها هذه الاشكال التي توقعت ان  
اجدها في موضع زيد الخيل » - غراماني<sup>(١)</sup>

وعدت بفصل عن الخيل التي رأينا في حائل ، وقد يكون  
حسناً أن أفي به هنا .

ان مزرعة ابن رشيد لقريبة الخيل هي الآن أشهر من مر  
على علم في جزيرة العرب ، وقد احتلت في تقدير الجمهور مكان  
مزرعة قبصل بن سعود التي رأها انستز بلجريف منذ ستة  
عشر عاماً في الریاض ، والتي وصفها في فقرات تصويرية أصبحت  
منذ ذلك الحين موضع اقتباس .

ويكمن السبب في انتقال التفوق هذا من العارض الى جيل  
شمر في التغيرات السياسية التي حدثت منذ ١٨٦٥ ، والتي

---

(١) كادو غراماني رحالة اوروبي جاء الى حائل سنة ١٨٦٤ ، وبحث  
عن الخيول الأصيلة ( أنظر طرفاً من أخباره في كتاب « اكتشاف جزيرة  
العرب » ص ٢٨٨ ) ولقد احتل هو القدر من الطائفتين العرب .

أخرجت رحمة واسط بلاد العرب من أيدي آل سعود  
ورسعتها في أيدي أمراء حائل .

وليس محمد بن رشيد الآن أقوى شيوخ البدو فحسب ، بل  
أغنى أمير في بلاد العرب ، وهذه الصفة لديه من الوسائل أفضل  
ما لدى الآخرين لاقتناء أحسن خيول نجد ، وما كان هو  
ليحمل هذه .

ان امتلاك أمهار أصيلة هو بين العرب دائما رمز للقوة ،  
وبفقدان مركزهم المتفوق في نجد ، فقد آل سعود سيطرتهم على  
الدوق ، ومالت حظيرتهم لتربية الخيل الى التضاؤل ، وان  
نزاع الاخوين عداوة سعود ، ابنه فيصل ، عند موت أبيهما ،  
وانتصاراتها وحروبها المتبادلة في العاصمة ، والتدمير الذي  
أنزله الترك بها ، كل ذلك حطّم مؤسسة اعتمدت على الثروة  
والأمن والطمانينة من أجل صيانتها ، وفي اللحظة الحاضرة إذا  
صح ما نتحدث به لتقارير الشائعة ، لا يكاد الجزء الذي بقي في  
الحظيرة القديمة بوازي الحس وانتقلت البقية الى أيدي أخرى .

## خيل آل سعود :

أما ان حظيرة فيصل لتربية الخيل في أيامها كانت أحسن  
حظيرة في بلاد العرب فذلك محتمل ، وقد تكون - لعدم

وجود فجميع الآن هناك . مزية مساوية ، إلا أن هناك حساً  
صغيراً ، فيما يبدو ، لانفراس لها اختلفت في أي شيء فيها  
عدا الدرجة عما رأينا نحن بأنفسنا ، أو ان الحيوانات المكونة  
لها كانت متميزة عن تلك التي لا تزال تملكها مختلف قبائل  
البدو في نجد . على العكس ، كل تحرياتها ، ولم تدخر مناسبة  
لطرح امثلة ، قبل الى أن تبين ان من خطأ ان نفترض أن  
الحيل التي يحتفظ بها أمير نواحي كانت من سلالة خاصة ،  
حفوظ عليها في مدن العارض منذ أومنة مفرقة في القدم ،  
أو أنها كانت مختلفة بأي شكل عن تلك التي ريس في أي  
مكان آخر ، في أواسط بلاد العرب . كانت ، كما أكد  
مراراً ، مجموعة جلبت من قبائل شتى من (الفود) - مجموعة  
رفيعة ، بدون شك ، إلا أنها مع ذلك مجموعة ، كل بدوي  
سألناه ضحك من فكرة كونها سلالة نجدة خاصة ، توجد  
فقط في العارض . في معرض الاجابة على أسئلتنا ، أجروا ان  
مسموئين من الرماض في أيام فيصل كانوا دائماً في بحث عن  
الأمهار حيث أمكنهم وجودها ، وان الأمير كثيراً ما قام  
بفرو ضد هذه القبيبة أو تلك ، دون أي غرض آخر غير  
حياسة حيوان معين من سلالة معينة . والقبيبة التي حصل منها على  
أحسن السلالات : ( حمداني السعري أو ) ( كحيلان الكرش )  
كانت ( مططير ) أحياناً تسمى ( الدوشان ) ، بينما أمده بنو  
خالد ، والظفير ، وشمر ، وحتى عنزة بعينات في مناسبات .  
وما يزال عبدالله بن سعود ، خليفته ، يحتفظ بقليل منها .

## انتقال الخيل الى آل رشيد

ولكن معظم المجموعة قد تشتت ، انتقل الكثير من أحسنها إلى أيدي ( متعب ) و ( بندر ) سلفي محمد بن رشيد ويضع محمد نفسه بدفة نفس النظام ، باستثناء انه لا يأخذ بالقوة ، بل بالثمن. فهو يقوم بعمليات الشراء من جميع القبائل المحيطة ، ولو انه يربس في المدينة ، فجموعته باستمرار تجد مدداً من الخارج . ولو لم تكن هذه هي الحال ، فسرعان ما كانت ستدهور ، لأن الخيل التي تربس في المدينة في بلاد العرب ، وهي نظم في الاصطبل ، ولا تجد اي نوع من التمرين ، نادراً ما تكون صالحة للامور العظيمة .

## س١ عن زينة الخيل

ان هناك فكرة خاطئة في ان الواحات ، مثل واحات جبل شمر والعارض ، هي مواقع موافقة بصفة خاصة لتربية الخيل ، وان انقفار الرملية خارجها لا تحتوي على مراعي . ولكن العكس تماماً هو واقع الحال فالواحات التي تقوم فيها المدن لا تنتج شيئاً غير التمر ، ومنشجات البساتين ، كلا وليس هناك نصل واحد من الحشيش ، أو حتى عذق واحد من كلاً الأبل فيها يحاورها .

وأهل المدن يختلفون بحجرات باستثناء قلنس من الجمال  
 لتعمل فتح آباء من الآبار ، والأحجار تجدهم أو هناك .  
 حتى هذه يجب أن تغلف في حنطة أو قشراً ، وهذا ما لا  
 يطيقه إلا الأغنياء . إن حُبس ثوب مقصور على الأعراء فقط ،  
 وحتى أغنياء المدن يتنعمون بصفارهم من قرية إلى أخرى  
 على قدمهم . وفي الرحلات الطويلة تستخدم الخيول بؤسها  
 من الصحراء ، فإذا تعرض ، وهي إما يملكها البدو أو يتركها  
 أهل المدن لهم مشاطرة . ومن جهة أخرى ، يحتوي النفود  
 على كلاً وغيره ، ليس فقط من أهل الليل ، بل أيضاً من أهل  
 الأسماء والحبس ، وفي النفود زمر كل هذه .

وإن رشيد ذهب كل ربيع مع معظاه مواشي إلى الصحراء  
 وبقية كلاً خلال جزء من الصيف مع القبائل ، محتفظاً فقط ببعض  
 خبراته للاستعمال في المدينة . وأمر لا يتكرر الاصرار عليه  
 بشدة : أن هضبة نجد العليا ، حيث توجد المدن والقرى ، تفر  
 مسخري بكاد يكون خالياً تماماً من النبات ، بينما يقدم النفود  
 مدد من الكلاً لا ينفد . ولما يحدد من القبيلة الرعية لهذا (أي  
 النفود) الحاجة إلى الماء فقط ، فانتظف المسكونة محدودة  
 بالضرورة بدائرة نصف قطرها ٢٠ ميلاً حول كل بئر - والآبار  
 نادرة . هذه الحقائق ، أظن ، لما تعرف حتى لأن معرفة كافية  
 لتقدر .

## وصف خيل ابن رشيد

اما بالنسبة لمجموعة ابن رشيد في حائل ، فقد نظرنا اليها اكثر من ثلاث أو أربع مرات في الاصطبلات ، ورأيناها في الخارج مرة في يوم عيد ، حيناً هي ، كل منها يبدو أحسن ما يكون . وتتألف الاصطبلات من أربعة أقنية مكنوغة متصل بعضها ببعض ، فيها تقف الحيوانات ، وكل منها مربوط الى مدود مربع من اللبن . وهي ليست مستورة بأية طريقة ولكنها تلبس قطائف طويلة ثقيلة مثبتة الى صدورهما . وتقل الى الارض بواحد أو أكثر من أطرافها ، وليس عليها لحم . ومن حيث أن الفصل كان شتاء ، فقد كانت في أقسن حالة ممكنة .

## مظهر لا ينم عن خجل

وكانت اولى انطباعاتنا كما ذكرت ، غيبة أمل . وهي إن الخيل عندما تكون في حائل لا يجري عليها تدريب منظم ، وتبقى كما يبدو أسابيع بجمعة مربوطة هكذا ، الا دقائق قليلة في المساء عندما تؤخذ تشرب . وتعلم في الغالب شعيراً جافاً في الربيع فقط ، لأسابيع قليلة ، تأكل حنطة خضراء تزرع لهذا الغرض ، وبعد ذلك تؤخذ الى التنفود في غزوات . وأنه لأمر مدهش انها تستطيع القيام بأعمالها تحت ظروف كهذه . كان أول فناء ، يدخله المرء في مروره خلال الاصطبلات ،



بضم - عندما رأيناه - بين ٢٥ الى ٣٠ مهراً. وكان في الثاني ٢٥ أخرى ، موضوعة تحت طرف معين من أجل استخدامها في حال الضرورة ، ولكن حتى هذه تلقى قليلا جدا من التعرّين. وكما تلقى هناك في الفناء ، محلوقة وشعشع ، ليس لها الا قليل من تلك الروح التي يتوقع المرء أن يجدها في الخيول الكريمة الأصل ، والمرء بحاجة اني قدر كبير من الخيال لينظر اليها باعتبارها حقاً من تلك السلالة العربية التي ليس ما يفوقها . ولقد وقفا في خصا ، وخطا شائع جداً ، ان نحكم على الخيل بحالتها ، لأن هذه ، في حالة امتطائها وانطلاقها ، تفتوت هيئتها في النو

ويمكن ان اقدم هنا وصفاً لطبقات معينة ، كتب بعد احدي رباراتنا للحظيرة ، وهذا قد يقدم فكرة عنها افضل من أية ملاحظات عامة . في مذكراتي اجد ما يلي :

## من أنواع الخيل

### ١ - كحيلة الكرش :

ثقراء ، ذات ثلاث قوائم بيض ( مطلق اليمين ) ، ١٤ ذنبية ، (١) ار ١١ ، ولكنها قوية جداً ، رأسها أبسط من معظم ما هنا - سوف يعتبر رأساً حيلاً في المجمل - هزبة رفيقة نوعاً ما . لها عنق ثقيل جداً ، إلا ان كتفها رفيعة

(١) مقياس طول ١٠ سم .

جداً ، كاهلهم غزال ، حوافر كالصلب ، مؤخرة غشنة حنماً ،  
شعر ذنبر في الكعوب ، عندما يراهم المراء في الخطيرة يجل  
الى القول انها ذات منية اكثر منها ذات مران ، ولو انها  
مؤنثة ، وعندما يكون المراء على ظهرها ، يجب ان يكون  
المراء غيباً ان لم يعجب بها ، انها فرس محمد المفضل ، وهم من  
افضل سلالة في نجد . حصل محمد على هذه السلالة من امصلات  
ابن سعود من نزياص ، ولكن في الاصل جاءت من مطير .

## ٢ - حمدانية مسراه :

كبت ، من مجموعة ابن سعود ايضاً ، رأس رشيق ، غدير  
ايه لا ميزة اخرى هناك ملحوظة ، هدد المهر من نفس  
سلالة مهران شريفة ، لكنهما اقل منها في الدرجة

## ٣ - صفلاوية شفي :

غيراء ، في غاية البساطة ، كما تبدو لأول وهلة ، واهنة  
الاطراف ، ذات رأس لا يثير الاعجاب بأية حال ، الا انها  
ذات كتفين رفيعين . وهذه الصفلاوية ذات جمعة كبيرة جداً ،  
وقولي اعتقاداً خالصاً ، لانها آخر ما بقي من فصيلتها ، الخلف  
لوحيد للفرس الشهيرة التي اشتراها عباس باشا ، الذي ارسل  
عربة تجرها النيران من مصر الى نجد لأخذها ، لانها كانت  
عجوزاً ، وغير قادرة على السفر سيراً ، والقصة معروفة تماماً  
هنا ، ورويت لك بالضبط كما سمعتها في الشمال ، بزيادة ان

مهرة ابن رشيد هذه هي المثلة الوحيدة للسلافة الباقية في جزيرة العرب<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - كحيله عجوز :

مهرة سوداء ، عاتكة ، ١٤١٢ قنضة ، إحدى قوائها بيضاء ، رائعة في كل جزء منها ، الكثف ، والجانبان ، وكل جسمها ، ارتشق رأس واسع عين في كل الموجود هنا . لها حركة مثالية ، رأسها وذيلها مرتفعان إلى درجة الجمال ، تذكر بهر ( بطنان بن مرشد ) ولكن رأسها أرفع .

إنها ملك حمود الذي هو فخور بها ، ويخبرنا أنها جاءت من جبرة شمر وإنها جاءت لنا أن نجد هذا مهر من بلاد ما بين النهرين ، ولكنه يروي لنا أن تادل الخيل بين شمر الجنوبيين وشمر الشماليين ليس قدرة بأية حال .

#### ٥ - كحيله عجوز :

بلون بني غامق ، لا يبيض فيها عند برصة واحدة في ما يبدو الخافر مباشرة ، رأس جميل ، ومظهر يدل على الإصابة ، ربما كانت أفضل بالنسبة للعدو هنا ، ولو أنها أقل قوة من

---

(١) يدل أن صلابية عباس باشا ألحيت فلوب في مصر . أحدها مات والأسير أمدي إلى ملك إيطاليا القرون . روى ملك إيطاليا الخيل من تلك (الأصل).

حصان الأمير الكعبت ومن مهر حمود . ومن الصعب أن  
تختار بين الثلاثة .

أحسن حصان بين الثلاثة جيد .

سويحان صباح : ذو قوة كبيرة ، رأس كبير وممتاز ، انه  
يذكرنا بمهر فارس جبر الذي هو من نفس السلالة ، من المحتمل  
أن بينها صلة نسب قوية ، فله نفس الاطراف ، المقدمة كاملة ،  
المؤخرة قوية ولو أنها أقل نيزا . وهو ، على أية حال ، من  
نتائج نجد .

ملاوي جدران :

أخير ، من ابن نديري من جسة عزة ، عينة بائسة لتلك  
السلالة العظيمة ، ولكن السدو يحترمونه لأنه هو الغالب  
هنا ، ولو أنهم ليس لديهم في نجد ملاوي جدران الخالصة .

## خيـل (عـزّة) و خـيـل نـجـد

وانه أمر مثير للاهتمام ان نجد هذا الحصان يحظى بالتقدير  
هنا ، لان الواقع يبرهن على أن خيل (عزّة) تحتل مركزا  
كبيراً في النفوس في نجد . وكلما ازدادت رؤية المرء هنا لخيـل  
نجد ، ازداد اقتناعاً بتفوق خيل (عزّة) من ناحية السرعة .  
ومع ان كل انسان هنا فخور بالخيـل النجدية ، فإنه يبدو  
كأمر معترف به ، أن خيل عزّة تبرزها في هذه الناحية .

« ان مهربنا ( العزيز ) ينظر اليها كآيتين في السرعة ،  
 وبقدرة ما نرى هنا ، بما رأينا في العام الماضي في الشمال ،  
 فأول شيء يخطر على بالنا أنت هذه خيل صغيرة « يرمي » ،  
 وتلك خيل حقة . وان الفرق الحقيقي هو ليس كثيرا في  
 الارتفاع ، ولو انه من المهم أن هناك ثلاث بوصات في المتوسط ،  
 كما هو في الشكل ، الذي يولد هذا الانطباع . فخيول نجد  
 كقاعدة ، عنافها في احتمالا أقصر ، وكذلك أجسامها ، وتقتصر  
 كثيرا عن خيل عنزة . ثم - ولو أن أكتافها تبدو شك  
 صالحة وكواهلها أعلى من تلك التي يراها المرء في الشمال - فإن  
 مؤخرتها قصيرة ، ولو لم يكن وضع الذيل بشكل فريد  
 ورائع ، لكنت بالتأكيد تفتقر الى ميزة . يبدو أن اطرافها  
 طيبة الى حد بعيد ، ولكننا لم نر في أي منها ذلك الخط  
 الرائع في الرجل الخلفية حتى الركبة الذي يجذب انتباهك  
 في خيل عنزة الأصيلة .

أما بالنسبة لحواقرها فمن الصعب أن تصدر حكما ، فإن  
 طول الوقوف من غير تدريب ، قد جعل حواقر أمهار الأمير  
 تنمو نحو كبيرا . أما أعرافها وأذيالها ، فأنتم بما كان المرء  
 يتوقع .

« وفي رؤوسها ، على أية حال ، يوجد بالتأكيد تفوق عام  
 على أمهار عنزة ، على الأقل في النقاط التي يكبرها العرب  
 غالبا ، ولقد جذبت انتباهنا عندما رأيناها مباشرة ، بالفرق » .

## وصف رقيق لأجسام الخيل

ومن حيث أنه يمكنني أن افترض بإطمئنان الى ان قليلين هم الأشخاص خارج بلاد العرب لديهم فكرة عما هي الصفات المعترة هناك مناسبة في رأس حصان ، ف سوف أقدم هذا وصفا لها :

يجب ، قبل كل شيء ، ان يكون الرأس كبيراً ، لا صغيراً فالرأس الصغير يكرهه العرب بصفة خاصة ، ولكن يجب ان يكون اخيضم جميعه في الاجزاء العليا من الجمجمة . ويجب ان يكون هناك مسافة كبيرة بين الاذنين والعينين ، وبين العين الواحدة والاخرى ، ولو انه ليس بين الاذنين .

ويجب ، فوق ذلك ، ان تكون الجبهة وكل الجزء الذي بين العينين وما تحتهما محدباً ، وأن تكون العينان ذاتهما تقفان نوعاً ما ويحوط ، . ولكن يجب ألا يكون هناك امتلاء حول نتوء العظام ، وكل عظم يجب ان يكون حاداً ، فالجبهة المسطحة ليست محبوبة .

ويجب ان يكون ما حول العينين خالياً من الشعر ، حتي تظهر الادمة السوداء ، وما حول العينين تماماً يجب ان يكون بصفة خاصة أسود وصفيلاً . وعظم الخد يجب ان يكون عميقاً ونحيفاً ، وعظم الذك ف علامة واضحة .

ثم يجب ان يضيق الوجه فجأة وينحدر الى أسفل حتى  
ينتهي تقريباً الى طرف دقيق . ولكن ليس على أية حال الى  
نلك الدرجة كما يحدث المرء في حصان الباي الانكليزي ، الذي  
يبدو ان القطاع الجانبي لوجهه « بروفيل » ، وينتهي بالأنف ،  
ولكن الى طرف الشفة . والأنف في حالة السكون .

يجب ان تكون منبسطة مع الوجه ، يبدو فيها ما هو  
أكبر قليلاً من شق طولي ، وظيفه وجمدة .

وكذلك يجب ان يكون الفم ، الذي يجب ان تكون  
الشفة السفلى اطول من العليا . « مثل شفة الجمل » كما يقول  
المدور . ويجب ان تكون الاذنان ، خاصة في المهر ، طويلة ،  
رفيعتين ومرسومتين بأذقة ، كأذني غزال .

ويجب أن يلاحظ أن الرأس والذيل هما النقطتان اللتان  
ينظر اليهما العرب بعين الاعتبار ، عند الحكم على حصان ، كما  
أنهم يفتنون انهم يستطيعونهما أن يكتشفوا آكد العلامات على  
سلالة .

وذيل خيل نجد غريبة كروؤسها ، وأساسية بالسبب لجمالها .  
ومها اختلافات الصفات الأخرى ، فكل حصان في حاله  
يتخذ فيه نفس الوضع . وفي حالة السكون يكون أشبه بذيل  
حصان متمايل ، لا كما وصف بأنه . « منتصب في قوس كامل »  
وفي أثناء الحركة يرتفع الذيل عالياً في الجو ، ويبدو كما لو  
كان يستحيل ان ينخفض تحت أية ظروف

وصرح محمد بن عروج بوضوح أن هذه الظاهرة كانت بفعل  
الفن ، جزئياً على الأقل .

وأكد لنا أن القلو قبل أن يصير عمره ساعة يفقد ذيل إلى  
الخلف على عصا ، ويحدث الالتواء نتيجة دائمة . ولكن هذا  
يبدو محتمل ، وهو على أية حال قل أن يؤثر على وضع الفيل  
عند العدو .

## ألوان الفيل الرشيدي

وقباً يتعلق بلون المائة من الخيل في اسطبلات حائل ،  
فكان هناك حوالي الأربعين غرماً أو ببضاء على الأصح ،  
وثلاثون كميته ، وعشرون شفاء ، والبقية ذات لون بني لم تر  
أية منها ذات لون أسود حقيقي ، وبالطبع لا توجد هناك  
سمراوات أو بلفاء ، أو شفاء ، لأن هذه ليست ألوان عربية .  
سألك الأمير أحد الأيام : أي الألوان تفضل في اسكتر ؟  
وعندما أخبرناه أنه اللون الكميته أو الأشقر ، وافق معنا  
تماماً . كل العرب تقريباً يفضلون الكميته ذا النقط السوداء ،  
ولو أن النقط الخضر مع الادمة السوداء والخوافر السوداء  
محبوب أيضاً . وفي الكميته أو الأشقر ، ثلاث أطراف بيض  
والطرف الأمامي أسود ، أمر لا اعترض عليه . إلا أن  
الاعتبار كقاعدة ، لا يؤخذ في الاعتبار كثيراً في حائل ،



لأن الثلاثة هناك كما هو الحال في أثر مكان آخر في بلاد العرب هي الكل في الكل .

## سوء الزينة في اصطبلات ابن رشيد

« وفي جانب الحيوانات الكلمة الثموية يضم فناء ابن رشيد ثلاثين أو أربعين قفوا ، وحولها ، مخلوقات جميلة ولكنها نعاوي سميا ومائة بشكل مربع . والاقلاء المولودة في الصحراء مائة بما فيه الكفاية ، أما هذه المولودة في المدينة فلها مظهر عليل يس . ولكونها مرموقة من قدمها طول اليوم ، يبدو أنها قد خارت عزيمتها تماما ، ولا تبني أي شيء من المسرح الذي يجب أن يكون فيها في مثل هذا السن .

وأن استئناسها ، « كاستئناس الدوحس والوحوش ، بضدمك ان تراه . ويخبرنا الأمير انه يرسل كل ربيع مائة حول في الكويت على الخيل الفارسي تحت مسؤولية واحد من عبيده ، يسعها في ( بوماي ) بما يعادل مائة جبة لكل واحد منها . انها الارب طعما في أسوأ من حيثها ، ولكن امامها ما ينظرها ، بصقة أشهر من الرعي في النلود قبل ان تظهر في السوق » .

« على العموم ، ثلاثة مصاب بخيبة أمل نوعا ما به تراه هنا من كل الامهار في اسطبل الامير ، لا أظن أن أكثر من ثلاثة أو

أربعة تستطيع أن تبرز أية ميزة بين الجاموس ، ونحن في الواقع متزعجان فقد يقترح الأمير أن يبادلنا بشقرانا ، رأس القناري ، التي يبدي كل إنسان إعجابا عظيما بها . وإن فعل فسوف لا نستطيع ، ولا نتحمن ، أن نرفضه .

## عن خيل ( نجد ) وندرتهما : -

وفيا يتعلق بخيل نجد بصفة عامة ، فالملاحظات الآتية مبنية على ما رأينا وسمعنا في حائل ، وفي أماكن أخرى من بلاد العرب .

فأولا ، أيا كانت الحال فيها مضي ، فاطبيل من أي نوع أصبحت الآن تادرة بصفة متزايدة في نجد . فقد يسافر المرء مسافة شاسعة في شبه الجزيرة بدون أن يتأهل حصانا واحداً أو حتى بدون أن يرى آثار أقدام حصان . وفي أثناء سيرة في التفرود وفي طريق عودتنا إلى القفرات ، اخبرتنا بمسافة كل أثر للإنسان أو الحيوان صادفناه ، بيد أنه من وقت مغادرتنا ( الرولة ) حتى قرب ( مشهد علي ) ، لم نجهن عشرين من هذه على أن تكون آثار خيل . والرياح بلا شك تطمس آثار الأقدام بسرعة ، ولكنها لا تستطيع أن تفعل ذلك كاملاً ، لو كان هناك عدد كبير من الحيوانات . وأخبرنا ( الكثيرون ) وهي قبيلة نجدية صليبة وفرح من ( بني خالد ) أخبرونا شيء من الاعتزاز بهم يستطيعون أن يجهزوا عشرين فارساً ، وحتى

( مطير ) ، المشهورة بأنها اعظم من يربي الخيل الاصبه في نجد ،  
يقال انها تملك فقط ٤٠٠ مهر . ان الخيل هي ترف بالنسبة  
لبدو شبه الحزيرة وليست كما هي بالنسبة لأولئك الثعالبين -  
ضرورة من ضرورات حياتهم اليومية . ان أسفارهم وغاراتهم  
وعروبهم كلها يقومون بها على الجمال ، لا على ظهور الخيل ،  
وعلى الأكثر يمتطي الشيخ مهرة في لحظة المراكبة . ان الافتقار  
الى الماء في نجد سبب كاف لهذا . فالخيل هناك يحتفظ بها  
للمرض أكثر منه للاستعمال الفعلي ، وينظر اليها كشيء ثمين الى  
حد بعيد ليعرض لها خطر غير ضرورة .

## قزة الكبر في نجد ..

ثانياً : كل ما هنالك من خيل في ، قومي النفوذ ، والخصاب  
الداخلة لا تحتوي على أي مرضى ملائم باستثناء أماكن قليلة  
جداً ، بينما يقدم النفوذ حشيشاً ، أخضر دافياً ، على مدار  
السنة . و ( مطير ) ، و ( بنو خالد ) ، و ( الظفير ) ،  
و ( خمر ) هي الآن القبائل المتبعة الرئيسية للخيل في نجد ،  
ولكن ( عذرة ) تعتبر انها تملك أحسن السلالات

وقد اختفت ( عذرة ) من نجد ، لقد سرعت في الهجرة  
شمالاً منذ حوالي مائتي عام ، وقد استمرت منذ ذلك الحين ،  
تنتقل في هجرات متوالية ، حتى هجروا جميعاً منازلهم الأصلية .

ومن المحتمل ان الاسم الضخم الذي تحظى به - بدوت شك - خيل نجد في الشرق كان الفضل فيه أساساً لمؤلاء العزيزين الذين يخيلهم تقارن هذه . كانت ( بشر عترة ) تقيم بحوار خبير ، على الطرف الغربي لتفكود . و ( الرولة ) في جنوب الجرف ، و ( المهارات ) في أقصى الشرق .

ومن المحتمل ان هذه من بينها كانت تقوم الخيل النجدية في الأزمنة الماضية الى سورية ، وبغداد ، وفارس . ومن الجائز ان بعض بطون القبيلة شقت طريقها الى الجنوب ، لأن آل معود أنفسهم من عترة . ولذلك فمن المحتمل ان احسن ملاكات الخيل كانت ، آنذاك ، كما هو الآن في أبدعهم . وإلى يومنا هذا تقيم ( عترة ) في الشمال نسل الامهار التي أحضروها معهم من نجد بكونها ( نجدية ) ، يربو يسمون نسل الامهار التي غنموها من قبائل الشمال ( شالية ) .

## نمرب الخيل في « نجد »

ويبدو ان ادارة الخيل وتعليمها تختلف قليلاً في نجد عنها في أي مكان آخر بين العرب . الا اننا فوجئنا ان نجد الشكية تستعمل في ( حائل ) محل الرمن البدوي . وفي البداية خيل البنا ان هذا كان تقليداً للطريقة التركية ، غير ان الأكثر احتمالاً أن تكون عادة قديمة للعرب المدن . حقا ان بدو الصحراء الكبرى ، لبسوا أقل من الترك في استعمال حلقه

الشكيلة ، وربما كانت بعد كل شيء من مخترعات جزيرة العرب  
وسببها كما هي بالنسبة للفم ، فانها بالتأكيد نافعة في الركوب  
اختيالا ، الذي يتفهم فيه في حائل لعبة الجريد ( والمعاك  
الصورية ) . أما بين بدر نجد فالرسن فقط هو المستعمل .

## مبادئ الخيل

وعن أي شيء كالسباق ، فلم نستطع ان نسمع عنه شيئا .  
ومحاولات السرعة لم تعد طرازا ، كما كانت فيما مضى ، والبراعة  
في الدوران وفي التنشيط هي الوحيدة التي لها قيمة . اما ان  
بعض تقاليد التمرين لا تزال توحد بين العرب ، فان الوصف  
الآتي لتربية فلولو يثبت ذلك ، هذا الوصف قدم لنا في معرض  
الرد على وصفنا للسباق الانكليزي وطيول السباق ، وقد يثل  
ممارسة تقليدية ، في جزيرة العرب ، تعود في قدمها الى أيام  
محمد ( ص ) .

### وصف عربية لتربية فلولو .

قال محدثنا . اذا احببت ان تجعل فلولو يحركي امرج من  
لدائه ، فتذكر القواعد الآتية :

« أثناء الشهر الأول من حياته دعه يكتف بلبن أمه ،  
فسيكون كافيا له . ثم أضف الى هذا ، أثناء الأشهر الخمسة  
حليباً طبيعياً من حليب الماعز ، بالقدر الذي يشربه ، و لمدة

سنة أشهر اخرى اعطه حليب نياق ، والى جانب ذلك أعطه  
كبيلا من البر منتعماً في الماء مدة ربع ساعة ، ويقدم اليه في  
غلاية .

« وفي العام الأول من عمره سيكون القلو قد فطم عن  
البن ، ويجب ان نطعم برأ وحشيشاً ، برأ ناشفاً في غلاية ،  
وحشيشاً أخضر إذا وجد .

« وفي العام الثاني يجب ان يعمل ، والا فيكون غير ذي  
قيمة . فاطعمه الآن شعيراً كحصان كامل النمو ، اما في الصيف  
فاعطه أيضاً زباداً كل يوم عند الظهر . اصنع الزبد هكذا :-  
خذ مداً من الدقيق واخبطه في الماء جيداً بيديك ، حتى  
يبعد الماء كالخليب ، ثم رشحه ، نركاً رواسب الطحين ،  
وقدم ما هو سائل الى القلو ليشربه .

« احرص منذ اللحظة التي يولد فيها على ان تتركه يقف في  
الشمس ، فالظل يضر باخيل ، ولكن دعه يشرب ماء كثيراً  
عندما تشتد حرارة النهار .

« ثم يجب ان ينطلى القلو ، وياخذه ماله معه الى كل  
مكان ، حتى يشاهد كل شيء ويتعلم الشجاعة . ويجب أن  
يظل دائماً تحت التدريب . ولا يبقى أمداً مدة طويلة في  
الحظيرة . ويجب ان يؤخذ في رحلة ، لأن العمل يقوي  
عضلاته .

« وفي عامه الثالث يجب ان يمرن على العدو . وعندئذ إذا  
كان أصيلاً حقاً ، فلن يسبق . يا الله ! » .

# فهرس

## الصفحة

## الموضوع

٨ - ٥	كلية عن الرحلة
٤٨ - ١٢	القسم الأول : قُرْبَات المِلح
١٣	بلدة كاف وسكان
١٤	في ضيافة شيخ البلدة
١٦	من تاريخ كاف
١٧	تجارة كاف والري
١٩ - ١٨	بلدة الري - وصف البلدة وآثارها
١٨	وادي السرحان
٢١	بين القريبات والجوف
٢٢	على ضفة وادي السرحان
٢٤	آبار قراقير
٢٥	صيد من الجراد والأرانب
٢٦	آبار الموجة

٢٨	في بطن وادي السرحان
٢٩	سير بخوف وحذر
٣٠	على أنغام "مثنى شراري
٣٢	طعام قليل ..
٣٤	من حكايات محمد الدليل
٣٥	برد ومرح
٣٦	التبك وبشر الجراوي
٣٧	هجوم على الكاتبة وزوجها
٣٩	في حاية ابن شعلان
٤٠	حسن معاملة الأعداء
٤٢	من آثار الهجوم
٤٤	الحماة : بين وادي السرحان والجوف
٤٦	حديث عن السرارات
٤٧	الوصول الى الجوف

## ٩٦ - ٩٩ القسم الثاني : بلاد الجوف

٥٠	حواس الجوف كان بجرأ
٥١	بلدة الجوف وصلها
٥٢	أخلاق السكان
٥٣	في ضيافة أحد أقرباء الدليل
٥٤	دعوة من الحاكم الرشيدي
٥٥	في قصر الحاكم



٥٦	من تاريخ الجوف الحديث
٥٨	ابن رشيد يدفع لترك المارة
٥٨	استقرار الأمن في نجد
٥٩	سكان بلاد الجوف
٥٩	الحاكم جوهري وجنده
٦٠	مائدة غير شهية ثم سهرة ممتعة
٦٢	دعوة لزبارة سكاكا
٦٣	شيخ الجوف السابق
٦٣	قهوة وتشر ١٠٠
٦٥	صناعات الجوف
٦٥	قلعة (مارد)
٦٦	صلاة بالقوة
٦٧	معامة لطيفة وهدية ( الزليخة )
٦٧	بين سكاكا والجوف
٦٩	وصف بلدة سكاكا
٧٠	في ضيافة آل عروج
٧١	حديث عن تلك الأميرة
٧٢	شيء من تاريخها
٧٣	نساء الأميرة
٧٦	البحث عن زوجة للدليل
٧٧	الكاتبة تصبح خاطبة
٧٨	في سبيل اختيار الزوجة

- ٨٠ أحاديث مع الفتاة النضفة  
٨١ اسليدال ( ليتا ) ب ( راشيل )  
٨٢ مجلس لبحث الموضوع  
٨٣ اصرار على خطبة ( مطرقة )  
٨٤ موالفة . وهدايا للفتاة  
٨٥ مسامرة حول المهر  
٨٦ حفلة الخطبة  
٨٧ ( جوهر ) نائب الحاكم  
٩٠ مشايخ العرب . و السلطان ، و المكوف ، ا  
٩١ هدية .. بمدى تصريح بالسفر الى حائل  
٩٢ (جوهر) يقيم مأدبة فداء  
٩٢ مناخ الجوف وجوها  
٩٤ كتابة أزية  
٩٥ استعداد للسفر

### القسم الثالث : النفود بين الجوف وجبة ٩٧-١٤١

- ٩٩ في وداع آل عروج  
١٠٠ في انتظار الهدايا  
١٠١ ثم انطلقنا في طريقنا ..  
١٠٢ عود الى محمد وعروسه  
١٠٣ (قارة) احدى قرى الجوف  
١٠٥ وصف جيولوجي للجوف وما حوله

١٠٧	التنفود وخصائصه الطبيعية
١٠٨	نبات التنفود
١٠٩	الحياة في التنفود
١١٠	المنخفضات في التنفود
١١١	تعليل تجويفات التنفود
١١١	حول خصائص بعض القبانل
١١٧	حليب الإبل
١١٧	على آبار الشقيق (٤)
١١٨	حديث عن بُفَيَّة بن شعلان
١١٩	مشاهدة ( حوار ) : ولد ثاقبة صغير
١٢٠	جدد في السير وتوفير الماء
١٢١	راضي الدليل الجديد
١٢٢	عظام .. ويقايا أجسام
١٢٣	طريق « ابو زيد الهلالي »
١٢٣	حكاية « بني هلال »
١٢٦	صهوة السير في التنفود
١٢٧	حيوانات التنفود وحشرات
١٢٩	بقر الوحش « المها »
١٢٩	الاهتداء الى الطريق
١٣٠	من قصص الدليل راضي
١٣٢	بارقة أمل
١٣٣	فراشة تسبح بالشمس !

١٣٤	شيخ النفوذ
١٣٥	قارورة من عمل النفوذ
١٣٥	الأرطى والغضا
١٣٦	حديث عن الرفاق
١٣٧	وآخر عن المطايا
١٣٨	الإبل وأمانها
١٣٩	بدأرا يصلون لله II
١٤٠	خطر العراف الرملية
١٤١	ليلة هادئة . ويوم شاق
١٤٢	مشيا على الأقدام . رحلة بالجمال
١٤٤	بذت معالم نجبة
١٤٥	وهذه تلال نجد أ
١٤٥	ونسى في الجمال . . وجراد
١٤٦	الوصول الى جبّة
١٤٧ - ١٤٨	القسم الرابع من نجبة الى حنان
١٤٩	جبّة للقرية الجميلة
١٥٠	وصف البلدة وبنياتها
١٥١	خير نجد من الحشرات المؤذية
١٥١	السكان وأخلاقهم
١٥٢	في صباغة أمير حبة
١٥٣	الدليل محمد . .

١٥٥	اطفال غير مؤدين
١٥٥	تصرف بسبب القلق
١٥٦	من تاريخ آل رشيد
١٥٧	عبيد الرشيد
١٥٩	طلال بن عبد الله
١٦٠	متعب بن عبد الله
١٦٠	بين محمد بن رشيد وبندر بن طلال
١٦١	كيف استولى محمد على الحكم ؟
١٦٣	قسوة وحشية وكرم
١٦٤	بندر بن طلال
١٦٥	نايف بن طلال
١٦٦	نسيم نجد ، وتمر الجبل ، وثار الأرضي 11
١٦٧	قربنا من حائل
١٦٩	منظر رائع يذكر بأسبانيا
١٦٩	موقع مدينة حائل
١٧١	محمد واسطورة آل عروج
١٧٢	تفكير في مطابقة الأمير 1
١٧٣	سهرة ممتعة في النفود
١٧٤	انواع من اللعب
١٧٦	الوصول الى ( قنا )
١٧٦	ذكريات رائحة
١٧٧	لا بلد يشبه جبل شمر

١٧٧	وصف قرية ( قنا )
١٧٨	القرية . والشباب . وحصل « ميناء »
١٧٨	روعة معالم جبل شمر
١٨٠	جماعة من شمر ورجل من حروب
١٨١	كان صباحاً جميلاً ١ .
١٨١	القبضة والوحيد من قرى حائل
١٨٢ - ٢٠١	الكسم الخامس . في بلاد ابن رشيد
١٨٥	وصف مدينة حائل
١٨٥	في فصر محمد بن رشيد
١٨٧	وصف ابن رشيد
١٨٧	ابن رشيد في محبس حكم
١٨٨	بيت لفضيلة
١٨٩	حوله في القصر
١٨٩	في الحديقة
١٩٠	اصطبل الحبس
١٩٠	الطبخ
١٩١	من صفات ابن رشيد
١٩٢	الأمير محمود
١٩٢	في زيارة الحرم
١٩٥	تحليل لفظة ابن رشيد
١٩٧	في بيت الأميرين حمود وسليمان

٢٠٠	عربي يرطن بالانجليزية ا
٢٠١	صائع من حائل
٢٠١	اطرف حادثة ا
٢٢٤ - ٢٠٣	القسم الخامس : حكم ابن رشيد
٢٠٥	طبيعة السكان
٢٠٦	طبيعة الصحراء
٢٠٧	المناطق الريفية
٢٠٨	الحكم القبلي واز الية
٢٠٩	بلاد نجد لم تخضع لأجنبي
٢١٠	دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب
٢١٠	قيام الدولة السعودية
٢١١	تأسيس حكومة ابن رشيد
٢١٢	عبدالله بن رشيد وثورته
٢١٣	الحالة السياسية والادارية
٢١٤	سياسة آل رشيد
٢١٥	الجند والحفاظة على الأمن
٢١٦	النظام والقانون وصفحة ٢٢١
٢١٦	الضرائب والالوات
٢١٧	الدخل والمصروفات
٢١٩	الازدهار في جبل شمر
٢١٩	لا يحكم العرب إلا العرب ا.

٢٢٠	عجز الترك عن حكم الصحراء
٢٢٠	الاستقرار والأمن
٢٢١	فوضى وراثته الحكم
٢٢٢	توقع نهاية ابن رشيد
٢٢٦ ٢٢٥	الشم السامع ، طريق العودة من حائل
٢٢٧	حديث عن الدليل
٢٢٨	تكدر من الأمير فصحاء
٢٣٠	زيارة نجم الحجاج
٢٣١	صفاء الجو في نجد
٢٣٢	معركة مصطنة
٢٣٤	مع رئيس حجاج المعجم
٢٣٥	حديث عن العرب
٢٣٦	زيارة بلدة عقدة
٢٣٦	وصف بلدة عقدة
٢٣٩	حيوان الوبر
٢٣٩	أغنية حربية لشمر
٢٤٠	إبالة عربي وترفع
٢٤٠	أجل أيام حائل
٢٤١	في وداع ابن رشيد
٢٤٢	عند الأمير محمود
٢٤٣	هدية للكاتبة وزوجها



٢٤١	خارج المدينة
٢٤١	صفاء الجو في الصحراء
٢٤٥	جمال ضواحي المدينة
٢٤٦	الكاتبة وزوجها يزجان بالعربية
٢٤٧	اللعاق بالحجاج
٢٤٧	الأمير يؤخر سير الحجاج
٢٤٩	مقارنة بين العرب والمعجم
٢٥١	يوم آخر للأذن بالسفر
٢٥٣	رحلة قصيرة
٢٥٤	مكان أثري فيه صور وكتابات
٢٥٥	مركب الحجاج
٢٥٦	مشاة الحجاج
٢٥٧	المركب والعلم الرشيدان
٢٥٨	بين الفارسي وبين الجبل
٢٥٨	وصف اليهودج ( الحمل )
٢٥٩	حجاج من أهل المدينة
٢٥٩	حديث مع شيخ الحرم المدني
٢٦١	من حائل إلى القنرات
٢٦٢	بلدة ( بقماء ) أو ( طيبة اسم )
٢٦٢	لحم أرانب . على ضوء القمر
٢٦٤	جيولوجية إقليم الجبل
٢٦٤	واحة ( بقماء )

٢٦٥	ابن الإبل ، رسالة من الأمير
٢٦٧ - ٢٨٨	القسم الأخير : عن الخيل
٢٦٩	شهرة خيل ابن رشيد
٢٧٠	خيل آل سعود
٢٧٢	انتقال الخيل الى آل رشيد
٢٧٢	عن ربيعة الخيل
٢٧٤	وصف خيل ابن رشيد
٢٧٤	مظهر لا يتم عن خيل
٢٧٥	من أنواع الخيل
٢٧٨	خيل ( عترة ) وخيل نجد
٢٨٠	وصف دقيق لأجسام الخيل
٢٨٢	ألوان الخيل الرشيدية
٢٨٣	سوء التربية في اصطبلات ابن رشيد
٢٨٤	عن خيل ( نجد ) وندرتها
٢٨٥	قلة الكلا في نجد
٢٨٦	تربيت الخيل في نجد
٢٨٧	سباق الخيل

ملاحظة: لم تتضح بعض الأعلام لمواضع وغيرها فكتبت  
بحسب نطق الحروف الانجليزية ووضع بحوارها علامة  
سقطها (٢).